



شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير أن هيا لي هذه الفرصة، وأعانني على التأليف والكتابة، وأمدني بالأوقات والنفقات، فله الحمد في بدأ هذا البحث وله الشكر في منتهاه.

كما أشكر لوالدي امتثالاً لأمر الله ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى النَّصِيرِ ﴾، فلهما مني الشكر، والتقدير.

ثم أشكر أستاذي فضيلة العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ أحمد ربيع أحمد يوسف / العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية، ورئيس قسم الثقافة بالكلية، على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، وعلى توجيهاته وإرشاداته، لا أقول على مدى عامين كاملين فقط ، وإنما منذ أن كنت طالباً بالكلية، ثم في الدراسات العليا، فقد استفدت من فضيلته كثيراً، فكم فتح لي مكتبه، وأجلسني بجواره، وأرشدني إلى المراجع والمناهج التي استفدت منها في كتابة هذا البحث ، فله الشكر والتقدير والله أسأل أن يجزيه خير الجزاء.

والشكر موصول لفضيلة الدكتور/ محمد عبد المولى قاسم عبد الرحمن/ المدرس بكلية الدعوة الإسلامية، قسم الثقافة على جهده واجتهاده في قراءة هذا البحث، فكان لي نعم المعلم والمرشد والناصح الأمين، والأخ الودود، فلقد غمرني بحبه، وأدبه، وكرمه، وعلمه، فجهده ماثل بين عيني لا أنساه، فكم تعب وتعاون معي منذ بداية الكتابة في هذا البحث وإلى منتهاه، والله أسأل أن يحفظه، وأن يجعل عمله في صحائف حسناته.

كما أشكر لزوجتي أم أحمد وابنتي هدى وزهرة على مساعدتهن لي وتعاونهن معي، والشكر موصول للأستاذ/ محمد عبد الستار عبد الحافظ/ على كتابة هذا البحث وطباعته، منذ بدايته وإلى نهايته، فجزاه الله خير الجزاء.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين خلق الأرض في يومين، وبارك فيها ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنٍ ﴾ [فصلت: ٩-١٠].

سبحانه ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهُمْ مُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله خالق الخلق وباسط الرزق، قال وهو أصدق القائلين: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسٍ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلَ يَوْمٍ ذُلِّ الْكَافِرِينَ ﴾ [المرسلات: ٢٥-٢٨].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله أرسله الله رحمة للعالمين فكان ولا يزال هديه ﷺ خير هدي، ونصحه خير نصح، قال في حديثه الشريف: «ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»^(١)، وقال: «إن شرف المؤمن في قيام الليل وعز المؤمن في استغنائه عن الناس»^(٢).

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإن من الأمور المتفق عليها بين الدعاة إلى الله ﷻ والمصلحين والمخلصين أن حراسة القيم الإسلامية في بلاد الإسلام وبين المسلمين واجب شرعي يصل إلى درجة الفروض العينية التي سيسأل عنها كل مسلم ومسلمة.

ومعلوم أن الإنسان سيد هذا الكون، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأرسل إليه الرسل، وأنزل إليه الكتب وسخر له ما بين السموات والأرض، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠]، وهذا التكريم وهذا التفضيل من الله ﷻ للإنسان لا

(١) رواه البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٧٣٠، دار ابن كثير اليمامة بيروت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، تحقيق مصطفى

ديب البغا، رقم الحديث ١٩٦٦.

(٢) رواه المنذري عن سهل بن سعد الساعدي برقم (٢٦)، وقال رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، انظر

الترغيب والترهيب ج ١ / ص ٢١٨، ط المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

لعنصره الذي خلق منه، ولا لقوته، وإنما لقيمه الإنسانية التي فطره الله عليها وطالبه بالتمسك بها، وحذره من التخلي عنها.

ولقد كان الأوائل - من أبناء هذه الأمة - يعرفون هذه القيم ويحرصون عليها ويعملون ليل نهار على حفظها وحمايتها مما يتهدها، ويربون أولادهم وزويهم على حبها والتفاني من أجلها والدفاع عنها، بل كانوا يعقدون - فيما بينهم وبين غيرهم من أجلها - عقود الولاء والنصرة، والحب والبغض، والقرب والبعد.

ولقد عاش أبناء المجتمع المصري على أساس هذه القيم الأصيلة التي ورثوها عن دينهم الحنيف وعن آبائهم الأماجد، ورأوا فيها عزهم ورفعتهم فما زهدوا فيها ولا رغبوا عنها. ومافئى الزمان يدور حتى تغيرت الأمور وصار المجتمع الذي تربى على هذه القيم والفضائل على مر العصور يتحول عنها رويدًا رويدًا إلى النقيض.

تحول البعض من الصدق إلى الكذب، ومن أداء الأمانة إلى الخيانة، ومن الوفاء بالعهود إلى نقضها والتبرم بها، ومن صلة الرحم إلى القطيعة، ومن التكافل الاجتماعي إلى الأنانية وحب الذات، ومن برّ الوالدين إلى العقوق ونكران الجميل، ومن الجد والاجتهاد إلى التكاسل والخمول.

ومما لا شك فيه أن هذا التحول لم يحدث بين عشية وضحاها ولم يحدث من تلقاء نفسه، بل هناك أسباب غيرت الطابع الأصيلة وجعلت البعض يقدم على فعل الرذيلة، ويجهر بها دون حياء أو خجل أو خوف عقاب أو حساب.

ولقد تباينت الآراء حول تحديد السبب الرئيس لهذا التحول أهو الجهل بهذه القيم أم هو التقليد الأعمى للغير أم ضعف الإرادة والعزيمة، أم هو الفقر والحاجة..... أم هو.....

والحق أن كل ذلك يشكل خطرًا على القيم والمبادئ، إلا أن الفقر هو السبب الرئيس والأقوى والأخطر فهو أحد الأعداء الثلاثة التي تعاني منها البشرية ولا زالت حائرة أمامها وعاجزة عن مكافحتها.

وإذا كان العلماء يرون أن أعداء الإنسان ثلاثة، الجهل والفقر والمرض، ويقولون أن الفقر يمثل ثلث المشاكل التي تواجه العالم، إلا أن حقيقة الفقر أكبر وأخطر في عداوتها على الإنسان وعدوانها على قيمه ومبادئه من كل الأسباب الأخرى مجتمعة.

فالفقر لم يكتفِ أنه استقل بثلاث مشاكل العالم بل له اتصال مباشر وصلة وثيقة بالثلثين الآخرين،

فالجهل أساسه الفقر، ومعلوم أن نسبة الجهل في الدول الفقيرة وبين الفقراء أكبر بكثير منها بين الأغنياء وقل مثل ذلك في المرض وغيره.

وما من سبب يؤثر سلباً على القيم الفاضلة إلا وللفقر دخل فيه من قريب أو بعيد، فلا يخفى على أحد أن المدخل الرئيس الذي يدخل منه المُنْصَرُّون إلى قلوب الناس وسرقة عقائدهم هو (الفقر). ولقد قرن النبي ﷺ بين الكفر والفقر فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»^(١)، وقد قيل: إذا قال الكفر إني ذاهب إلى بلد، قال الفقر: خذني معك.

والحق أن موضوع الفقر والتصدي له شغل ولا يزال يشغل العالم كله، ومصر من البلاد التي تصنف عالمياً على أنها فقيرة أو نامية، وأنها تواجه مشكلة فقر منذ زمن بعيد وأنها في حاجة إلى حلٍّ جذريٍّ بعد فشل أو إخفاق الحلول السابقة.

فالبנק الدولي - مثلاً - يحدد أن متوسط الدخل السنوي لمصر (٦٦) دولاراً أى حوالى (٥) دولار شهرياً أى جنيه واحد مصرى للفرد يومياً.

ومصر بها (١٤) مليون فقير أى خمس (١ / ٥) سكان مصر (مُعْدَمِينَ) والأصعب أن هناك أربعة ملايين مصرى لا يجدون رغيف العيش اليومى لفقرهم وشدة عوزهم ، وأن مصر تستورد (خمس) أرغفة من كل (سنة) أرغفة أى (٨٠٪) من طعامنا مستورد .

الأمر الذى يجعل العلماء وطلبة العلم يبحثون في هذا الموضوع بغية الوصول إلى حلول ناجعة ونافعة لمصر والمصريين وجميع المسلمين .

وإني لأرجو من الله ﷻ أن أكون قد وفقت - في هذه الدراسة - والله المستعان سبحانه وله الفضل في بدئه، وله الشكر في منتهاه.

(١) رواه أبو داود في الادب برقم (٥٠٩٠) وعن ابى هريرة برقم (١٢٩٢٩) ١٢/٧ ط دار الباز مكة المكرمة سنة ١٤٠٤ هـ ورواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط مسلم برقم ٩٩ في المستدرک، کتاب الإیمان ج ١ ص ٩٠، طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ورواه البيهقي عن انس انظر صحيح الجامع (١٢٥٨).

أهداف هذا البحث

لهذا البحث أهداف يمكن أن أجملها فيما يلي:

- أولاً: بيان قيم المجتمع المصري الأصيلة والتي ترسخت وثبتت عبر القرون حتى صارت معلماً من معالم هذا المجتمع وخصيصة من خصوصياته.
- ثانياً: توضيح مظاهر الفقر، وأسبابه، وآثاره من خلال حقائق واقعية وعينات مستهدفة في بيئات متباينة لمعرفة حجم المشكلة ومدى خطورتها على قيم المجتمع الدينية والإنسانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية... إلخ.
- ثالثاً: الكشف عن طبيعة المشكلة لبيان إن كانت (حقيقة) عصية على الحل، أم هناك أصابع خفية وراءها تحرص على خدمة أهداف وسياسات تستهدف المجتمع المصري وقيمه وتاريخه ومستقبله.
- رابعاً: تقديم دراسة علمية للمشكلة تقوم على أساس نظرة الإسلام للفقر ووضع الحلول المناسبة والعملية له، بعد تقييم الحلول السابقة وبيان سبب فشلها أو إخفاقها.
- خامساً: الإسهام - قدر الإمكان - في توعية المجتمع ومؤازرة المصلحين والباحثين - بصدق - عن حل هذه المشكلة إيماناً مني بالواجب الملحق على كاهل العلماء وطلبة العلم.
- سادساً: بيان أهمية قيم الإيمان التي أجمعت عليها الشرائع السماوية والقوانين الرشيدة في حياة الشعوب وخطورة التخلي عنها.
- سابعاً: التعريف بالموارد الطبيعية والبشرية الغنية بها مصر والكفيلة - إن صدقت النوايا وصلاح العمل - بحل المشكلة.
- ثامناً: معرفة أقوال وآراء أهل الاختصاص من العلماء والباحثين في مجال الاجتماع والاقتصاد والأخلاق، وما وصلوا إليه وبيان خطورة إهمالها وعدم العمل بمقتضاها.
- تاسعاً: كشف حقيقة المجتمع المصري في تعامله مع هذه المشكلة ومدى استعداداته لمواجهتها.
- عاشراً: معرفة آراء وأحوال العينة المختارة للدراسة الميدانية والاستفادة منها لاسيما في تحديد علاقة المشكلة بالقيم اللازمة لسعادة المجتمع، هذه هي أهم الأهداف التي يهدف إليها البحث.

والله المستعان

أسباب كتابة هذا البحث

لا تقل أسباب اختياري للكتابة في هذا الموضوع - في الأهمية - عن الأهداف السابقة؛ إذ تمثل هذه الأهداف الدافع الأساسي للبحث والكتابة، ثم تأتي بعد ذلك أسباب أخرى، دعت إلى اختيار هذا البحث، أجمالها فيما يلي:

١- قلة الكتابات في هذا الموضوع، أو اقتصرها على مسألة الأمن الغذائي، أو العلاج والتعليم والمادة دون مراعاة البعد الأخلاقي والقيمي المتعلق بالمشكلة.

٢- التغيير الملحوظ الذي طرأ على المجتمع المصري في السنوات الأخيرة لأسباب كثيرة منها (الفقر)، والذي بدأ كظاهرة ... حتى صار مشكلة ذات أبعاد كثيرة وخطيرة تؤثر المصلحين وتهدد المجتمع في أمنه ودينه.

٣- تبرير الانحراف الخلقي والسلوكي بدعوى البحث عن لقمة العيش... وتغير الزمان... وضروريات الحياة.

٤- حاجة المجتمع المصري - لاسيما في هذا العصر، عصر العولمة والإنترنت والقنوات الفضائية - إلى المحافظة على الهوية الإسلامية والعربية، في ظل الظروف الاقتصادية، التي تمر بها البلاد.

٥- دخول مفاهيم جديدة في لغة التخاطب والتعامل بين الشعب والسلطة الحاكمة تحتاج إلى تقييم وتصحيح.

٦- تخبط المجتمع في ظلمات الحلول المستوردة، وإنهاك قواه بالتجارب الفاشلة، وجريه وراء سراب الوعود الخارجية، والتي طالما خدرته، وعطلته، وخدعته وما زادته إلا بُعداً عن الهدف، مع الاستنزاف الكبير، والمستمر، لقدرات المجتمع المصري، جهداً، ووقتاً، ومالاً.

٧- زيادة معدلات الجريمة التي لها صلات مباشرة بالفقر والحرمان والجوع كالسرقة، والقتل، والطلاق وتفكك الأسر وغيرها من الجرائم التي ينسبها المراقبون إلى الفقر.

٨- اليأس من تغيير الواقع بدعوى الصبر، وعدم إثارة الفتن، والرضا بالقدر، وطاعة ولي الأمر فيما قسم وقدر وإلصاق ذلك بالإسلام، والحق أن الإسلام بريء من الفقر، ومن حلفائه، ومن يروج له.

٩- العمل على الارتقاء بالفكر الذي يتناول موضوع الفقر بالرصد، والتحليل، والبحث، ووضع الخطط والحلول، والوسائل، التي تعالج المشكلة، وتراعي ظروف الزمان، والمكان، والإنسان.

أهمية هذا البحث

أعتقد أن هذا الموضوع - في هذا الوقت بالذات - له طابع خاص وأهمية قصوى، وذلك لأمرين أذكر منها ما يلي:

أولاً: موقع مصر بين العالم ودورها الرائد والتاريخي في الدفاع عن قضايا، الإسلام وقيم وحقوق المسلمين، والذي تأثر سلباً لأسباب كثيرة على رأسها الفقر والهموم اليومية والمعيشة التي يعاني منها أبناء مصر.

ثانياً: استغلال هذه المشكلة استغلالاً سيئاً من قبل أعداء الإسلام والمتربصين بمصر واعتبارها نقطة ضعف وورقة ضغط لا يغفل عنها الكثيرون.

ثالثاً: ظهور بعض القوى الإقليمية التي تنافس مصر في كثير من المجالات والتي تريد أن تقوم بدور مصر التاريخي، والريادي، والذي عرفت به مصر عبر العصور، والأزمان.

رابعاً: هذا البحث يجيء بعد سنوات عجاف مرت بها مشكلة الفقر في مصر، وبعد تقديم الحلول والنظريات ووضع الاستراتيجيات التي أعلنت إفلاسها والبحث عن جديد، بل وتدق ناقوس الخطر إن لم تحل هذه المشكلة في أقرب وقت.

خامساً: المراهنة على مصر في الحاضر والمستقبل باعتبارها قلب العالم الإسلامي النابض، وعقله المفكر وأن ما تمر به من أزمات حادة تشغلها بنفسها وتعزلها عن محيطها الإقليمي والعالمي، لتتخلى عن مسؤوليتها الدينية وواجباتها القومية.

ولا يخفى أن التخلص من الفقر يسقط هذه الحسابات، ويوقف سيل المزايدات على قدرات مصر وأبنائها، وأنها - بفضل الله - قادرة على تخطي الصعاب وحل المشكلات وإن مصر هي (مصر) كما ذكرها الله في كتابه العزيز، وكما تكلم عنها نبيّه الكريم.

وإذا كان قدرنا في هذا الزمان أن يتكلم - في حل المشكلة - كل من يحلو له أن يتكلم، فلا عجب أن يتقدم أبناء الإسلام بالحل الإسلامي الشامل، والكامل لكل أبعاد المشكلة، بل وعليه نور من كتاب الله، وسنة نبيّه ﷺ، مع الاستفادة الكاملة - أيضاً - من معطيات العلم الحديث وتجارب الآخرين، طالما ذلك لا يضر بقيمتنا التي ارتضاها لنا ربنا.

وستبدوا أهمية هذا البحث جلية بوضوح عند مناقشة الحلول المطروحة - من قبل - لحل المشكلة وبيان عجزها وقصورها...

الدراسات السابقة والاستفادة منها

هذه الدراسة التي أنقدم بها - دراسة ميدانية - خاصة بالمجتمع المصري وقيمه التي عرف بها، وأثر مشكلة الفقر على هذه القيم لاسيما في العصر الحديث.

وهذه الدراسة - بهذا الخصوص والتحديد - لم يسبق إليها أحد - فيما أعلم - ومن خلال اطلاعي على رسائل الماجستير والدكتوراه في الكليات التي كُلفت بالبحث فيها، وكذلك شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) تبين لي أنه لا توجد رسالة جامعية ذات صلة مباشرة بالموضوع.

ولا أنكر أن هناك جهودًا بذلت ولا زالت تُبذل حول مشكلة الجوع والفقر والبطالة فيما يسمونه بدول (العالم الثالث)، أو الدول النامية ومنها مصر، إلا إن هذه الدراسات مع كونها عامة وعالمية ومنها ما ينظر للمشكلة نظرة مادية ويرى حلها من منظور مادي (إما غربي رأسمالي - وإما شرقي اشتراكي)، ومعلوم أن كلا النظامين طبق بالفعل في مصر ولم يحل المشكلة بل زادها سوءًا وتعقيدًا؛ لأن المجتمع المصري له قيم وخصوصيات لأبد وأن توضع في الاعتبار لتكون جزءًا من الحل. فالمشكلة في مصر لها أبعاد أخرى وتتطلب مع آليات العمل المادي، قيمًا واستعدادات أخرى يغفل عنها الكثيرون.

والذي أريد أن أؤكد عليه في هذه الدراسة أن المشكلة مشكلة قيم ومبادئ متصارعة تعمل على بقاء الفقر في مصر، وسأثبت ذلك - بفضل الله - لا من خلال الدراسة النظرية فقط ولا من خلال الجهات الرسمية فقط، وإنما من خلال الواقع الحالي، والنزول إلى الشارع والذهاب إلى عدة محافظات وأخذ عينات من خلال استمارات استبيان في بحث ميداني خاص ومتكامل لرصد الواقع الفعلي واستخراج نتائج هامة، ومراجعتها من قبل أساتذة وخبراء ومتخصصين في مجالات الاقتصاد والأخلاق مع ذكر آخر الأرقام والإحصائيات الحديثة التي لها صلة بموضوع المشكلة.

ولا أنكر أنني استفدت من الدراسات السابقة، القريبة من موضوع البحث كرسالة الماجستير للدكتور حلمي صابر رحمته وهي رسالة عامة تكلمت عن الجوع في العلم الإسلامي كله، وليست عن المجتمع المصري الحديث وقيمه، والرسالة وإن كانت مقدمة منذ أكثر من ثلاثين سنة ولم ترصد التحول الخطير للمجتمع المصري الحديث، إلا أنني استفدت منها لاسيما فيما يتعلق بحجم المشكلة في العالم الإسلامي - آنذاك - وحلها من منظور إسلامي مقارنة بالحلول الأخرى.

وبعيداً عن رسائل الماجستير والدكتوراه فقد استفدت من كتاب الدكتور يوسف القرضاوي «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، إذ ردّ فيه الأستاذ على مَنْ يقدسون الفقر، ويرون أنه قدر محتوم لا يمكن تغييره، وأنه خير للأمة من الغني ويفسرون أحاديث رسول الله ﷺ، الواردة في فضل الفقراء على غير ما فهمه العلماء، ردّ الدكتور القرضاوي على هذه المزاعم ثم بيّن أن الإسلام لا يدعو إلى الفقر وهو بريء منه.

والجدير بالذكر أن هذه المراجع والدراسات - مع أهميتها وعظم قدرها - إلا إنها لم تكن وحدها المراجع التي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة، فثمت أمور تتعلق بالبحث الميداني، ونتائج استبيان عينة الدراسة المختارة، والاتصال بأهل الخبرة والمتخصصين في طرق حل المشكلة، ومتابعة الإعلام وما يصرح به المسئولون وما ينتج عن ذلك من أحداث لها صلة بالمشكلة وآثارها على القيم، والطرق المتبعة في الحلول المطروحة.

* * *

فروض الدراسة

افترض الباحث فروضاً وعمل على التحقق من صحتها، وهي على النحو التالي:-

- ١- السن (المرحلة العمرية) والفقر.
- ٢- النوع (ذكر أو أنثى) والفقر.
- ٣- البيئة الاجتماعية، وعلاقتها بالفقر.
- ٤- يوجد اتفاق بين عينة البحث، والخبراء المختصين، حول الإقرار بوجود المشكلة، وضرورة التصدي لها.
- ٥- المهنة أو العمل، والفقر.
- ٦- وجود علل خفية، تؤثر سلباً على حل المشكلة.
- ٧- وجود قصور في فهم طبيعة المشكلة، وطبيعة المجتمع المصري.

* * *

منهج البحث

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي باعتباره متناسباً مع أهداف البحث، والنتيجة التي يريد الباحث الوصول إليها، كما استخدم الباحث المنهج المقارن لعقد مقارنة إحصائية بين الإجابات لتحليل النتائج الدالة على استجابات عينة الدراسة.

ولقد اعتمدت هذه الدراسة مع الوصف على الملاحظة والكشف عن الحقائق القائمة على الأرض، ومن ثم فقد قامت الدراسة على الاتصال المباشر بالفئات المستهدفة بالبحث والاستبيان، بالاتصال بالأساتذة المتخصصين، وبالرجوع إلى المراجع المعتمدة والأبحاث العلمية لإثبات حقائق واقعية، وكان ذلك من خلال مراحل ثلاث هي:

المرحلة الأولى: وصف دقيق للمجتمع المصري وقيمه التي امتاز بها والتي ارتضاها الله له، ودليل ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب التاريخ وعلماء الاجتماع وغيرهم، مع مراعاة استخراج الأدلة من مظانها، وبيان رقم الآيات، واسم السور التابعة لها، ونقلها من المصحف بالخط العثماني، وتخراج الأحاديث النبوية من كتب الحديث الأصلية، وإن كانت في غير الصحيحين، ذكر الباحث درجة الحديث مع تحري الصحيح والحسن، والبعد عن الضعيف قدر الإمكان.

المرحلة الثانية: وصف دقيق لمظاهر المشكلة منذ أن كانت ظاهرة إلى أن صارت مشكلة ذات أبعاد كثيرة، وأسباب متنوعة، وآثار خطيرة، ومظاهر واضحة.

المرحلة الثالثة: المقترحات المقدمة لحل المشكلة - قديماً وحديثاً - وعدم نفعها للمجتمع المصري وبعدها عن روح الإسلام، وذكر مزايا الحل الإسلامي، وسبب إقصائه، وضرورة العودة إليه.

خطة البحث

بعد ذكر المقدمة، وأسباب البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة والاستفادة منها، يجدر بي أن أذكر - باختصار - الخطة التي سرت عليها في كتابة هذا البحث وترتيب فصوله ومباحثه، فأقول: يتكون هذا البحث من جانبين (جانب نظري، وآخر ميداني).

أولاً: الباب الأول (الإطار النظري):

ويتكون من أربعة فصول في كل منها مباحث ومطالب يسبقها مقدمة، وتمهيد ثم الخاتمة وسيكون - إن شاء الله - على النحو التالي:

١ - المقدمة: وفيها ذكرت أهمية الموضوع وسبب اختياري له، والدراسات السابقة ومنهجتي في البحث.

٢ - التمهيد: وفيه التعريف بأهم المفردات والكلمات التي يدور حولها البحث، وخصوصيات المجتمع المصري الثابتة له في الكتاب والسنة وعبر العصور.

الفصل الأول

المجتمع المصري وعلاقته بالقيم:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: قيمة التدين الفطري والاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية.

المطلب الثاني: قيمة التكافل وحسن الجوار.

المطلب الثالث: قيمة الصبر الإيجابي ومواجهة الأزمات بحكمة واقتدار.

المطلب الرابع: قيمة تفعيل الإحساس بالمسؤولية نحو الإسلام والمسلمين.

الفصل الثاني

أهم مظاهر الفقر في المجتمع المصري:

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: قلة مستوى الدخل الفردي والأسرى في مصر.

المطلب الثاني: عدم كفاية المساكن ورداءة مستواها.

المطلب الثالث: البنية الأساسية ومستوى الخدمات.

الفصل الثالث

أسباب الفقر في المجتمع المصري:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الخارجية:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رغبة الدول الكبرى في إبقاء مصر دولة فقيرة.

المطلب الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية الغير متكافئة.

المطلب الثالث: تصدير التكنولوجيا الاستهلاكية لنا، وتسهيل الحصول عليها.

المطلب الرابع: الإعانات المشروطة والتي تصب في خدمة المانح .

المبحث الثاني: الأسباب الداخلية:

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: عدم دراسة المشكلة بالقدر الكافي.

المطلب الثاني: الاعتماد شبه التام على الاستيراد، لسد حاجات المجتمع.

المطلب الثالث: وجود العقبات أمام المشاريع الإنتاجية.

المطلب الرابع: عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل

المطلب الخامس: الانشغال عن الانتاج بوسائل غير جادة ونافعة.

المطلب السادس: الإسراف والتبذير.

المطلب السابع: الفساد المالي والإداري وغياب الرقابة الرادعة للدولة.

الفصل الرابع

علاقة الفقر بالقيم والأخلاق:

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

التمهيد: وفيه مناقشة مسائل ثلاث تتعلق بعلاقة الفقر بالقيم.

المبحث الأول: أثر مشكلة الفقر على العقيدة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سوء الظن - بالله تعالى - والشك في عدله والاعتماد على غيره.

المطلب الثاني: الاستعداد لقبول الأفكار الهدامة والمذاهب الإلحادية.

المبحث الثاني: أثر مشكلة الفقر على العبادة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التقاعس في التزام الفرائض بدعوى (العمل عبادة).

المطلب الثاني: تقلص الوقف الإسلامي.

المطلب الثالث: البخل وعدم إخراج الزكاة بالقدر الذي يسد حاجة المجتمع.

المطلب الرابع: رفع الأصوات في المساجد، ومزاحمة الشعائر بالمشاريع الإنتاجية.

المطلب الخامس: كثرة عدد المتسولين والشحاذين أمام المساجد.

المبحث الثالث: أثر مشكلة الفقر على الأخلاق والسلوك:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ظاهرة السب والمجاهرة بالألفاظ غير اللائقة.

المطلب الثاني: الاعتداء على الوالدين والأولاد والمحارم.

المطلب الثالث: قبول العمل في المهن اللاأخلاقية، والكسب اللامشروع.

المطلب الرابع: الحقد والحسد من الفقراء على الأغنياء.

المطلب الخامس: إهمال قيم التسامح في المعاملات وكثرة التقاضي بين الناس.

المبحث الرابع: أثر مشكلة الفقر على العلم والفكر والإبداع: وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الرغبة عن التعليم الديني إلى المدارس الأجنبية خشية الفقر.
- المطلب الثاني: التفكير المستمر في الحصول على مقومات الحياة.
- المطلب الثالث: ضعف الإرادة وفقد الثقة في النفس والقدرة على التفكير والإبداع.
- المبحث الخامس: أثر مشكلة الفقر على الترابط الأسري:

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: التفكك الأسري وزيادة معدلات الطلاق.
- المطلب الثاني: ضعف دور الوالدين في تربية الأولاد بسبب الخروج للكسب ومضاعفة ساعات العمل.

- المطلب الثالث: الهروب من المسؤولية بدعوى عدم القدرة على النفقة.
- المطلب الرابع: العزوف عن الزواج والإحساس بالعجز عن تكوين الأسرة.
- المطلب الخامس: كثرة العداوات والخلافات بين الأقارب.
- المبحث السادس: أثر مشكلة الفقر على أمن المجتمع واستقراره:

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: زيادة معدلات الجريمة.
- المطلب الثاني: تبدل الحس وترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- المطلب الثالث: زيادة عدد اللقطاء وأطفال الشوارع.

المبحث السابع: أثر مشكلة الفقر على الكيان السياسي للدولة: وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: فتور العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة.
- المطلب الثاني: السخرية والاستهزاء وكتمان العداء للسلطة.
- المطلب الثالث: قيام الاحتجاجات للمطالبة بتوفير ضرورات الحياة.
- المطلب الرابع: ظهور التيارات المناوئة لنظام الحكم سياسية كانت أو اجتماعية.
- المطلب الخامس: ظهور الثورات المطالبة بالحرية والعدالة الاجتماعية.

ثانيًا: الباب الثاني (الإطار الميداني):

الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة.

الفصل السادس: تحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية.

الفصل السابع

الحلول والمقترحات:

وفيه تمهيد ومبحثان:

التمهيد: وفيه مناقشة الحلول المطروحة لحل المشكلة.

المبحث الأول: الحلول الثقافية الضرورية لمواجهة المشكلة:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاهتمام بالتوعية والتعليم والثقافة الإنتاجية، وغيرها.

المطلب الثاني: الاستفادة من الأبحاث العلمية ومن أهل الخبرة وتفعيل مقترحاتهم

المبحث الثاني: الحلول المادية الضرورية لمواجهة المشكلة:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل.

المطلب الثاني: المزيد من تشجيع العمل والإنتاج بالوسائل الممكنة.

المطلب الثالث: الاهتمام الخاص بالأمن الغذائي ومشكلة السكن والعلاج.

المطلب الرابع: محاسبة المتسببين في الفساد ليكونوا عبرة لغيرهم.

خاتمة البحث: وتشتمل على:

أولاً: نتائج البحث.

ثانيًا: توصيات البحث.

ثالثًا: ملحق البحث.

رابعًا: مراجع البحث.

خامسًا: فهارس البحث.

التمهيد

وفيه التعريف بمفردات وكلمات البحث، وخصوصيات المجتمع المصري الثابتة له في الكتاب والسنة وعبر العصور؛ فمن البديهي لمن يبحث في موضوع أن يوضح - بدقة - مدلول الكلمات التي يدور حولها البحث، وهي هنا ستّ كلمات:

- تعريف كلمة (مشكلة): وهي لغة: من الإشكال، والاختلاط، والصعوبة في الفهم، أو التنفيذ، أو التداخل، والاشتباه.

- وعند أهل البديع: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

- وعند الأصوليين: ما لا يفهم حتى يدل عليه دليل غيره، واشتكل عليه الأمر، أي: اختلط والتبس، وشكل الدابة، أي: قيدها بالشكال^(١)، أي: جمع يدها اليمنى مع رجلها اليسرى أو العكس، بقصد المخالفة حتى تصعب الحركة، والشيء المشكل هو ما لا ينال المراد منه إلا بالتأمل والطلب.

- «وقيل: هو في أشكاله وأمثاله وأشباهه، مأخوذ من قولهم، أشكل أي: صار ذا شكل»^(٢).

- تعريف كلمة (الفقر): «وهي لغة: بمعنى العوز والحاجة، وجمعه: مفاقر على غير قياس، والفقر هو: الشق والحجز - والفقر: الهم والحرص، والفقر: المكسور الفقار - والفقر من الناس: من لا يملك إلا القوت، والجمع: فقراء، وفُقِرَ، و(المفاقر): وجوه الفقر - يقال: سدّ الله مفاقره أي: أغناه، وافتقر: صار فقيراً، وافتقر إلى الأمر: احتاج إليه»^(٣)، فكل من له حاجة ملحة لشيء فهو فقير لهذا الشيء، والفقر ضد الغنى.

- «والفقر عند الإمام أبي حنيفة هو: من لا يملك نصاب الزكاة، أو هو من له أدنى شيء»^(٤).

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ط وزارة التربية والتعليم سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٣٤٩، ٣٤٨.

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني ط دار الرشاد ص ٢٤٤ بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط الجزء الثاني، ص ٦٩٧، وانظر كذلك المنجد في اللغة والأدب والعلوم ص ٥٩٠، ط دار الكتاب

المقدس بمصر بدون تاريخ.

(٤) تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ج ٤ ص ١٢٠ طبعة دار الفكر، بدون تاريخ.

- وعرفه الحنفية بأنه: (من يملك دون النصاب، أو قدر نصاب غير نام مستغرق في حاجته) ^(١).
- وعرفه الشافعية والحنابلة: (من لا يملك شيئاً ألبته، أو يجد شيئاً يسيراً لا يقع موقع كفايته) ^(٢).
- وعرفه المالكية بأنه: (من يملك شيئاً لا يكفيه قوت عامه) ^(٣).
- وقيل: الفقير مَنْ لا يملك قوته وضروريات حياته وَمَنْ يعول.
- «يقول الجرجاني في التعريفات: والفقر عبارة عن فقد ما يحتاج إليه، أما ما لا حاجة إليه لا يسمى فقراً» ^(٤).
- ومنه: فقر الدم، وهو نقص به واضطراب في تكوينه يصحبه شحوب وتتابع في النفس وخفقان في القلب.
- والفقير من لا يملك أقل القوت، وسمي الفقر فقراً؛ لأن صاحبه يشكي حاجته وألمه يقال: فقر الرجل فقراً، أي: كسر فقار ظهره أو اشتكى فقاره من مرض أو كسر فهو فقير» ^(٥).
- وفي رأي علماء الاقتصاد:
- «أن الفقر يعني عجز الموارد المالية للفرد أو المجتمع عن الوفاء بحاجاته الاقتصادية» ^(٦).
- ورود كلمة «الفقر» في القرآن الكريم:
- وردت كلمة (الفقر) بصيغة المفرد والجمع والمصدر والوصف في القرآن الكريم أربعة عشر مرة.
- ١- قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].
- ٢- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].
-
- (١) حاشية ابن عابدين على الدر المختار للعلامة/ محمد أمين المعروف بابن عابدين، ج ٢ ص ٥٨، ط الأولى المكتبة الأميرية ببولاق سنة ١٣١٥هـ.
- (٢) مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج لأبي ذكريا يحيى بن شرف النووي ج ٣ ص ١٠٦، مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٨م / ١٣٧٧هـ.
- (٣) حاشية الدسوقي على شرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، ج ١ ص ٤٩٢، دار إحياء الكتب العربية مكتبة عيسى الباني الحلبي بدون تاريخ.
- (٤) التعريفات للجرجاني ص ١٩١، مرجع سابق.
- (٥) المعجم الوجيز ص ٤٧٧ مرجع سابق.
- (٦) المعجم الوسيط ص ٦٩٧ مرجع سابق.

- ٣- ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا أَبَايَسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].
- ٤- ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].
- ٥- ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَصَّدَقَتٍ فَنِعِمَّا هِيَ ۚ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].
- ٦- ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].
- ٧- ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥].
- ٨- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].
- ٩- ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة: ٦٠].
- ١٠- ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمِهِ﴾ [النور: ٣٢].
- ١١- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].
- ١٢- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].
- ١٣- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨].
- ١٤- ﴿تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥].

«وبالنظر إلى هذه الآيات التي ذكرت الفقر والأوضاع التي وردت فيها تجدها - غالباً - ما تقترب من الغنى، أو مفهوم الغنى، أي أن الفقر يعني: عدم الكفاية لحاجة الإنسان الغذائية، وغيرها من مستلزمات الحياة»^(١).

والفقر بمعناه الواسع لا يقف عند حد الاحتياجات المادية فقط، بل يتعداها إلى احتياجات أخرى لا تقل في الأهمية عن المادة التي لا يستغنى عنها الإنسان، وهي القيم الإيمانية والقيم الإنسانية والروحية... التي هي محل إجماع واحترام العقلاء فهي غذاء للروح وحارس للضمير.

- تعريف كلمة (المجتمع): المجتمع من الاجتماع عكس الافتراق.

وهو لغة: من مادة (ج م ع)، أي: ضم الشيء إلى الشيء، والاجتماع مصدر: اجتماع، ومنه (الاجتماع البشري)، و(المجتمع البشري)، و(علم الاجتماع): علم يعني دراسة العلاقات القائمة بين الناس.

(١) د/ حلمي صابر مشكلة الجوع في العالم وعلاج الإسلام لها، رسالة ماجستير غير منشورة، مكتبة كلية أصول الدين

واجتمع اجتماعاً - انضم - تجمّع - تألف، ومنه (اجتمع المدعوون)^(١).
 «والاجتماع: علم يدرس الظواهر الاجتماعية، ويقرر أن المجتمع حقيقة متميزة عن الفرد، وأن
 ظواهره خاضعة لقوانين ثابتة كالظواهر الفيزيائية»^(٢).
 يقول ابن خلدون في المقدمة: «الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عنه بقولهم الإنسان مدني
 الطبع، أي: لا بد له من الاجتماع وهو العمران»^(٣).
 إذاً المجتمع هو: العدد الكثير من الناس أو الأسر على اختلاف أحوالهم تجمعهم أرض واحدة
 وتحكمهم عادات وقوانين مشتركة.

- تعريف كلمة: (المصري):

وفي لسان العرب «المصر، هو الحد في كل شيء، وقيل: الحد في الأرض، والمصر: الكورة والجمع:
 أمصار، وفلان مصر الأمصار أي مدن المدن»^(٤).
 وفي القاموس القويم: المصر: البلد العظيم، وقوله تعالى: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾، [البقرة: ٦١] أي: بلدًا
 عظيمًا كبيرًا، أو مصر - بغير تنوين - ممنوع من الصرف، هي بلادنا العزيزة كلها حماها الله وحرسها^(٥).
 المصري أي: المنسوب إلى الدولة المعروفة بحدودها الجغرافية وتاريخها القديم والحديث والمعروفة
 بشعبها وعلمائها وقادتها ومكانتها وقيمها.

«ومصر كان اسمها (مصر) دائمًا هكذا جاء اسمها في العهد القديم، وفي الإنجيل وفي القرآن
 الكريم، ولقد ذكرت مصر باسمها (مصر) في كتاب (فتوح مصر وأخبارها) لابن عبد الحكم
 ٢٥٧هـ / ٨٧٠م، وكذلك في كل كتب التاريخ العربي والإسلامي التي أفردت بابًا ثابتًا لـ (فضائل
 مصر)، خصت به كنانة الله في أرضه»^(٦).

(١) رائد الطلاب ط دار العلم للملايين بيروت ص ٢٨، سنة ١٩٩٧م، جبران مسعود.

(٢) المعجم الوجيز ص ١١٦ مرجع سابق.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٠ ط دار ابن خلدون، بدون تاريخ.

(٤) لسان العرب ابن منظور ص ٨٤ مجلد ١٤ الطبعة الأولى، دار صادر بيروت ٢٠٠٠م.

(٥) أ. إبراهيم أحمد عبد الفتاح القاموس القويم للقرآن الكريم، ج ٢، ص ٢٢٩، ط ١٩٨٣م، مجمع البحوث الإسلامية

بالقاهرة.

(٦) د/ محمد عمارة الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا، ص ٦٧، ط دار الشروق الدولية سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

والمجتمع المصري يتكون من العاصمة (القاهرة) وتمثل ١/٥ خمس عدد السكان تقريباً ثم المحافظات الأخرى وعددها (٢٧) محافظة، وتتكون كل محافظة من عدة مراكز، ويتكون المركز من مدينة وعدة قرى ونجوع.

وكلمة المصري بلغة العصر: الحاصل على الجنسية المصرية أو المواطن المعترف أنه من أبناء الدولة ومن رعاياها، فكل من كان كذلك كان مصرياً له ما لأبناء مصر، وعليه ما عليهم من حيث عموم الحقوق والواجبات.

- تعريف كلمة (وأثرها):

(الأثر) يأتي بمعان عدة منها: الأحاديث والروايات المنقولة لنا عن رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة.

ويأتي بمعنى العلامة الباقية، أو الأمانة والرسم يتركه الشيء المؤثر بسبب احتكاكه أو ضغوطه، أو قدمه، أو خواصه.

والمؤثر هو الشيء، الفاعل للأثر.

والمؤثر فيه هو المفعول به، من وقع عليه فعل الفاعل.

والأثر هو مصدر التأثير، «يقال: أثر فيه أي ترك فيه أثراً»^(١)، ويقال: ما بقي من أثره شيء، أي: من رسمه».

«وخرج في أثره، أي: في عقبه وبعده، واقتفى أثره، أي: تتبع خطاه، والتأثير: إبقاء الأثر»^(٢).

- تعريف كلمة (القيم):

القيم في اللغة: جمع قيمة، «قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه، و شيء ذا قيمة أي: ذا مكانة، وقوام كل شيء عماده ونظامه الذي يعرف به، وكتاب قيم، أي: ذا قيمة»^(٣).

يقال: قوم الشيء تقويماً فهو قويم، أي: مستقيم ومعتدل.

وقوام الأمر، ملاكه الذي يقوم به»^(٤).

(١) رائد الطلاب، ص - ٢٥ -، مرجع سابق.

(٢) مختار الصحاح ط دار الحديث القاهرة ص ٥، ٦ بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوجيز ص - ٥٢١ - مرجع سابق.

(٤) مختار الصحاح ص - ٥٥١ - مرجع سابق.

وقوم الشيء، أي: عالج اعوجاجه، أو رده إلى أصله.
ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥] والأمة القيمة أي: الأمة المستقيمة على منهج الله والأمة المعتدلة.

والألف واللام في كلمة (القيم) للعهد، أي القيم المعهودة والمعروفة بامتياز في المجتمع المصري، وليست الألف واللام للجنس؛ لأن القيم عندنا تختلف عن بعض القيم عند غيرنا من أصحاب الملل والنحل والمذاهب.

مثلاً: «الفلاسفة ينظرون إلى القيم على أنها المقياس المثالي الميتافيزيقي للخير والشر، والصواب والخطأ، ويرون أن للقيم مدلولاً مادياً ومدلولاً معنوياً.... رياضياً... تقويمياً، ويرجعون ذلك جلّه للعقل والوجدان.

والمفهوم الاجتماعي للقيم يختلف عن المفهوم الفلسفي، فهناك قدر كبير من التباين حول التعريف الاصطلاحي للقيم، فمنهم من ينظر للقيم من زاوية التفضيلات الإنسانية والتصورات عما هو مرغوب فيه ومزهود عنه، أو هي الإطار المرجعي لسلوك الفرد وترشيد علاقة الإنسان بذاته والمجتمع وإدراك أهمية الدين في الحياة والتعاون والالتزام بالأدوار والمسؤوليات والواجبات الفردية والاجتماعية»^(١).

وبناء على ما تقدم، فإن البحث يُعنى بالقيم التي ورثها المجتمع (بحق) عن الأنبياء والحكماء والعلماء والتي تمثل الإطار المرجعي والمعياري الحاكم لسلوك الإنسان الناشئ عن الفهم الصحيح للدين والكون والحياة، وهي من حيث الجملة:

القيم الإسلامية، والقيم الإنسانية، بشروط وحدود الإسلام.

(أ) فالقيم الإسلامية هي: التي اعترف بها الإسلام وأضفى عليها الشرعية، وهي كل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد الإيمانية ومن الأقوال والأفعال ومن الأخلاق والأحوال ومن العلاقات والسلوك.

وفي مقدمة ذلك، أركان الإسلام الخمس، وأركان الإيمان الست والواجبات والحقوق المتبادلة بين الناس والتي تقوم على قوة الإيمان بالله تعالى ويقظة الضمير.

(١) للمزيد انظر القيم الدينية للشباب ص ٣١ وما بعدها / نورهان منير حسن، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية ببناها، ط المكتب الجامعي الحديث سنة ١٩٩٩م، وكتاب القيم والعادات الاجتماعية تأليف/ فوزية دياب، باحثة اجتماعية، ص ١٩ وما بعدها، ط دار الكتاب العربي للنشر، بدون تاريخ.

ولا ينكر عاقل أن الدين هو أصل القيم النافعة وأساسها، فالنبي السليم للقيم هو الدين؛ لأنه يكبح جماح القيم الضارة.

(ب) القيم الإنسانية: «(القانون) وهو أحد ضوابط السلوك الإنساني وهو مع قواعد الدين والأخلاق يمثل منظومة لتجديد الحقوق وبيان الواجبات.

أو هو مجموعة القواعد العامة المجردة التي تنظم العلاقات الاجتماعية، فالقانون يرتبط بالمجتمع، بل يرتبط بالسلوك الخارجي للفرد والجماعة فهو يضبط سلوك الإنسان في علاقته بالآخرين حتى لا يتعدى أحد على أحد ولا يظلم أحد أحدًا»^(١).

وليس كل مواد القانون تمثل قيمًا مقبولة شرعًا وعقلًا، تقول الدكتورة سامية عبد الرحمن:

«(والقيمة **Value** أو **Valeur** هي من حق وخير وجمال تكون)؛ لأنها صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، والقيمة عند المثاليين والعقلانيين هي: صفة عينية في طبيعة الأقوال (في المعرفة)، والأفعال، وفي الأخلاق والأشياء (في الفنون) ما دامت كامنة في طبيعتها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات وهي بهذا المعنى تطلب لذاتها»^(٢).

والقيم الإنسانية التي وضعها الإنسان وورثها عن الفلاسفة وأهل الحكمة والتي وضعت لرعاية مصالح الناس على الوجه الأكمل ولا تتعارض مع القيم الدينية و هي محل تقدير واحترام، يجب العمل بها والحرص على حمايتها.

(١) أ.د جعفر عبد السلام الموسوعة الإسلامية العامة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٤٣٣ هـ، سنة ٢٠١١ م ص ١١٠٦، بتصرف..

(٢) د. سامية عبد الرحمن كتاب القيم الأخلاقية - دراسة نقدية - ص ١٤، ط الأولى ١٩٩٢ م مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، وانظر كتاب إشكالية القيم بين التهميش والتأصيل، مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي مؤتمر القيم الأخلاقية، في الفترة من ١٥: ١٦ أبريل، سنة ٢٠٠٠، التي عقدت بالمركز، وانظر كتاب القيم الأخلاقية والإسلامية والاقتصاد ص ٥٥، ص ١٤٢، وما بعدها بمركز صالح كامل أيضا في المدة السابقة ذاتها عن الصدق، والوفاء، والأمانة، والبيان، والإفصاح، والشفافية، وتحريم الاحتكار، وقصد منفعة الغير.

- شروط القيمة في الإسلام:

هناك شروط وضعها الإسلام للقيمة: «لا يمكن أن نتصور وجودها بدونها وهي: حرية الإرادة، وصدق النية، والغيرة المحمودة، والإيثار المنزه عن انتظار العوض، والإيمان بالله، وبجانب هذه الشروط الجوهرية توجد للقيمة الأخلاقية شروط ثانوية تؤدي إلى كمالها، كالممارسة الفعلية، أو العمل ورد الفعل»^(١)، وإذا كانت هذه أهم شروط القيم في الإسلام لتمييزها عن غيرها فإن هناك حدوداً حددها الإسلام للقيمة التي يريد، ويحث عليها، ويعمل على حفظها ورعايتها.

حدود القيمة في الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ٨-١١] ومع أن الله ﷻ خلق النفس البشرية وأعطاهما القدرة على الاهتداء وتمييز الحسن من القبيح، إلا أنه ﷻ أرسل الرسل وأنزل الكتب، ووضح المنهج الذي يسير عليه الإنسان، والواجب المنوط به، ولذلك فهم العلماء: «أن القيمة في الإسلام ترتبط بمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثواب والعقاب، والأوامر والنواهي، لا تكون إلا من سلطة عليا، هي التي تأمر وتنهى، وتثيب وتعاقب، وتراقب وتحاسب المنحرفين في سلوكهم عن الصراط المستقيم»^(٢).

وقل مثل ذلك: في القيم الروحية، والقيم الرياضية، والقيم الاقتصادية، والقيم التربوية والاجتماعية؛ لأن العقل السليم لا يتعارض مع الدين.

والمجتمع المصري منذ القدم وهو يحرص على مجموعة من القيم الدينية والإنسانية، والتي رفعت من قدره وأعلت من شأنه وميزته على غيره من الأمم الأخرى، وهذا ما سأذكره بالتفصيل - إن شاء الله -.

(١) القيم الأخلاقية دراسة نقدية، ص ٣٤ مرجع سابق.

(٢) القيم الأخلاقية ص ٢٧ مرجع سابق.

خصوصيات المجتمع المصري الثابتة له في الكتاب والسنة وعبر العصور: أولاً: القرآن الكريم:

ذكر الله ﷻ مصر باسمها صراحة في القرآن الكريم خمس مرات وذكرها بصفاتها وصفات أهلها وبعض مدنها مثل ذلك العدد تقريباً.
وهذه الآيات هي:

قوله سبحانه: ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسًا أَنتُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٦١].

قوله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ الْقَوْمَ كَمَا يُبَصِّرُ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا يَبُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ [سورة يونس: ٧٨].

قوله سبحانه: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ [سورة يوسف: ٢١].

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ [سورة الزخرف: ٥١].

أما الآيات التي ورد فيها ذكر مصر بصفاتها أو بصفة بعض أهلها أو مدنها فهي:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٠].

قال المفسرون: «هي مصر وقال بعض علماء مصر، هي البهنسا، وقبط مصر مجمعون على أن المسيح عليه السلام وأمه كانا بالبهنسا وانتقلا عنها إلى القدس»^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتُنْهَضُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [سورة يوسف: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْبُونِ ﴿٥٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَنَعَمْتَ كَانُوا فِيهَا فَنَكِهِنَ ﴾

[سورة الدخان: ٢٥، ٢٦، ٢٧].

وفي تفسيرها يقول ابن كثير رحمه الله: ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْبُونِ ﴾، الجنات وهي البساتين (وعيون) المراد بها الأنهار والآبار (ومقام كريم)، المناجر.

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَنَعَمْتَ كَانُوا فِيهَا فَنَكِهِنَ ﴾، كانت الجنان بحافتي نهر النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعاً، ما بين أسوان إلى رشيد وكان له تسع خلج، خليج الإسكندرية وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنتهى، كلها

(١) كتاب فضائل مصر لعمر بن محمد الكندي ص ٢٤ ط دار الفكر ١٣٩١ هـ، والبهنسا قرية تابعة لمحافظة المنيا

متصلة لا ينقطع منها شيء، وزرع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعاً لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلوجها (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أي: عيشة كانوا يتفكهون فيها، فيأكلون ما شاءوا، ويلبسون ما أحبوه، مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة، وفارقوا الدنيا وساروا إلى جهنم وبئس المصير^(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، يقول ابن كثير: الأرض التي تحتاج إلى ماء كثير لزراعتها ولا تحتمل المطر يسوق الله إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر يسوق الله إليها ماء النيل ومعها طين يجرفه من بلاد الحبشة، فيسقي أرض مصر ويقر الطين ليزرع فيه فسبحان اللطيف الخبير.

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، يقول: يعني الزيتون والطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ^(٢)، وأقسم الله بالتين والزيتون وطور سيناء كما أقسم بالبلد الأمين، يقول ابن كثير: «وفي آخر التوراه ذكر هذه الأماكن الثلاث: جاء الله من طور سيناء - وأشرق من ساعير - واستعلن من جبال فاران، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منهم ثم الأشرف منهما»^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة القصص: ١٥]، قال المفسرون هي: منف مدينة فرعون، وأهلها ساكنها والذي دخلها هو موسى ﷺ^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [سورة القصص: ٢٠]، قالوا هي: منف أيضاً، والرجل هو مؤمن من أهل مصر. وقال تعالى حكاية عن يوسف مع إخوته:

قال يوسف ﷺ: ﴿يَكُونُهَا الْعَزِيزُ﴾ [سورة يوسف: ٧٨]، وهو منصب رفيع في مصر.

(٦) ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]، جعل الشام بدواً.

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٤٤ ط دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٣٥.

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٥٢٨.

(٤) كتاب فضائل مصر ص ٢٥ مرجع سابق، وتفسير صفوة البيان ط ٣ ص ٤٩١، وزارة الأوقاف بالكويت

سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

يقول صاحب فضائل مصر: «فهل تعلم أن بلدًا من البلدان في جميع أقطار الأرض أثنى عليه الكتاب بمثل هذا الثناء، أو وَصَفَه بمثل هذا لوصف أو شهد له بالكرم غير مصر»^(١).
وخلاصة ما تشير إليه الآيات وما يقوله المفسرون:

- ١- أن الله ذكر مصر صراحة ووصفًا أكثر من غيرها من بلدان العالم.
 - ٢- أن الله تبارك وتعالى أثنى على أهل الإيمان والعدل من أهل مصر.
 - ٣- أن الله ﷻ ميز مصر بخيرات وبركات كفيلة بإقامة الدين والدنيا معًا.
 - ٤- أن مصر بلد الأمن والأمان، يأوي إليها المؤمنون بالله ورسوله.
- هذا خلاصة ما أفهمه من الآيات السابقة وتفسيرها.

(١) المرجع السابق ص ٢٦، وانظر كتاب أوراق مصر ص ١٨ تأليف د/ مختار عبد العال ود/ جلال أبو زيد، ط الأولى

سنة ١٩٩٩ م كليوباترا للطباعة والكمبيوتر.

ثانياً: ما ورد في فضل مصر وأهلها في سنة النبي ﷺ:

دعا النبي الصحابة الكرام إلى حسن معاملة أهل مصر، فقال ﷺ: «ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لكم منهم رحماً وذمة»^(١).

أما الرحم فهاجر أم إسماعيل بن إبراهيم ﷺ وهي من مصر، وإسماعيل أبو العرب ويصدق من يقول عن أهل مصر أنهم أخوال العرب.

وأما الذمة فزواج النبي ﷺ:

من مارية القبطية التي ولدت له إبراهيم عليه السلام، وقال عليه الصلاة والسلام في رواية أخرى: «ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً»^(٢).

وورد في السنة: أن نهر مصر من أنهار الجنة، قال ﷺ: «رأيت عند سدرة المنتهى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين، وأخبرني جبريل أن الظاهرين النيل والفرات»^(٣).

ذكر صاحب الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام في تفسير الحديث السابق، حديث أنس رضي الله عنه أن هذين النهرين في السماء الدنيا، وقال له الملك: هما النيل والفرات، أصلهما وعنصرهما^(٤)، يحتمل أن يكون رأى في حالة اليقظة منبعضهما، قال صاحب كتاب الرحيق المختوم: «ومعنى ذلك أن رسالته ﷺ ستستوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات، وسيكون أهلها حملة الإسلام جيلاً بعد جيل، وليس معناه أن مياه النهرين ينبع من الجنة»^(٥)، وسواء أكان النهران ينبعان من الجنة، أو هما في السماء حقيقة، أو مجازاً فلا خلاف أن للنهرين مكانة خاصة عند الله ورسوله ﷺ، وإلا لَمَا كان لذكرهما بهذا الخصوص معنى له فائدة، والذي ذكره صاحب الرحيق المختوم، قاله

(١) رواه مسلم عن أبي ذر، باب وصية النبي ﷺ عن أهل مصر، كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٣ موسوعة الحديث الشريف، وزارة الأوقاف المصرية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) رواه مسلم المرجع السابق، نفس الباب والفصل والصفحة.

(٣) صحيح البخاري عن أنس، رقم ٥٢٨٧ باب استعذاب الماء ج ٥/ ص ٢١٢٨ ط دار ابن كثير اليمامة بيروت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م الطبعة الثالثة تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا.

(٤) الروض الأنف المجلد الأول/ ج ٢/ ص ١٥٠، ط مؤسسة مختار للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٣ م.

(٥) الرحيق المختوم تأليف الشيخ صفى الرحمن المباركفوري الجامعة السلفية الهند، ص ١٣٦ ط دار الفكر ١٤١٠ هـ /

الشيخ محمد الغزالي رحمته الله في كتاب فقه السيرة ^(١)، وهو تفسير لعله أشمل من تفسير النص على ظاهره. إذ إن تفسير النص على ظاهره لا يعدو كونه بيان لفضل النهرين عن غيرهما من أنهار الدنيا، حيث أنهما ينبعان من الجنة ورآهما النبي صلى الله عليه وسلم في السماء.

أما التفسير الثاني فهو يتحدث عن فضل أبناء البلاد التي تحيا بماء النهرين وتستوطن الأودية التي يمر بها هذا الماء المبارك، فالأرض بساكنيها وإلا فما قيمة الأرض الخصبة وقد أهملها أهلها فصارت جرداء؟ وما قيمة القلاع العظيمة وليس بها رجال؟ وما فائدة المساجد الخالية من الناس، والتي لا تقام فيها شعائر ولا تعظم فيها حرما؟ فالأرض بالإنسان الذي يحيا عليها ويعرف قدرها وفضلها وما أودع الله فيها من بركات وخيرات.

والنيل حقيقة هو في الأرض وينبع فيها، ولكن بينه وبين أنها الجنة شبهة، ووجه هذا الشبه البركة في العطاء والدوام وعدم الانقطاع. فكما أن أنهار الجنة لا ينفد عطاؤها فكذلك النيل والفرات، «ولقد أجمع أهل الدنيا أنه ليس في الأرض نهرٌ أطول منه ولا أكثر عطاءً وخيراً منه، ولا يزرع حول نهر من أنهار الدنيا كما يزرع حول نهر مصر» ^(٢).

هذا أهم ما ورد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مصر وأهلها، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بمصر، قبل أن تفتح، فكيف لو فتحت في زمانه صلى الله عليه وسلم، وتشرفت بقدومه صلى الله عليه وسلم إليها ورآها رأي العين.

أعتقد أنه ربما حظيت عنده بمزيد من الاهتمام والتعريف بفضلها، وفضل أهلها، والله أقدار وكل شيء عنده بمقدار.

(١) فقه السيرة ص ١٤٠، ط دار الكتاب الحديث سنة ١٩٧٦ م.

(٢) فضائل مصر بتصرف ص ٦٣ مرجع سابق.

ثالثاً: أحداث التاريخ:

رغم أن كثيراً من تاريخ مصر القديم والحديث بات معلوماً للكثيرين بفضل ما يقوم به الإعلام من ذكر أمجاد الماضي والتغني بها، وإقامة التماثيل والرموز الدالة عليها؛ إلا إنه ينبغي ذكر بعض الأحداث التاريخية التي تؤكد ما أهدف إليه من بيان القيم الأصيلة التي عاش بها ولها المصريون، والتي تغيرت كثيراً في أيامنا هذه لأسباب من أهمها وأخطرها مشكلة الفقر، والمرء يرقى بالقيم إلى أعلى الدرجات في الكمال البشري، ويهبط بفقدانها إلى أحط الدرجات، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿سورة التين: ٤ - ٥﴾، والتاريخ يؤكد أن أبناء مصر - من حيث المجموع - هم من المعادن الطيبة التي ارتقت بالقيم والمبادئ الأصيلة، فمنذ زمن بعيد وأهل مصر - يعرفون الكثير من العلوم والمعارف والآداب.

يقول كل من «دوجلاس بريور» و «إيميلي تيتز»، عن مصر ما يلي:

«في وقت ما حوالي ٧٦٠٠ قبل الميلاد ... وهو ما يُطلق عليه علماء الآثار بالعصر الحجري ... وقد تم التحول من الحياة البدائية القائمة على الصيد وجمع النباتات إلى الحياة القائمة على زراعة المحاصيل وتربية الحيوانات لاستهلاك الإنسان ... خلفت مزيداً من التفاعلات الاجتماعية المركزية، كما يوحى الفن المصري في صحراء مصر الغربية بالمعرفة المبكرة للنباتات والحيوانات الداجنة في بيئة الصحراء»^(١).

وورد في كتاب قصص الأنبياء: «أن جميع العلوم التي صدرت قبل طوفان نوح عليه السلام، إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ النبي وهو إدريس عليه السلام، قيل إنه ولد بمصر بمدينة منف ودعا إلى التوحيد وعلم العلوم العلوية والطب والفلك، ومجد الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر»^(٢).

(١) كتاب مصر والمصريون ترجمة د/ عاطف معتمد، كلية الآداب جامعة القاهرة، ود/ محمد رزق معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، ط دار الشروق ص ٦٥ بتصرف، تاريخ الطبعة ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
(٢) قصص الأنبياء الدكتور عبد الوهاب النجار ص ٤٣، ط مكتبة دار التراث بالقاهرة، بدون تاريخ.

وكما ذكرت مصر في القرآن والسنة، ذكرت في التوراة والإنجيل^(١) في مواضع كثيرة مما جعل اسم مصر باقٍ، بل ويتردد على ألسنة الناس إلى يوم القيامة فهي البلد العظيم الذي يذخر بالخير العميم ويفخر بالانتماء له كل من آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ولا يخفى على أحد ما للكعبة من قدسية واحترام، فهي بيت الله الحرام وهي قبلة المسلمين لا تصح الصلاة إلا بالتوجه إليها، والتاريخ يؤكد أن الكعبة هي بيت هاجر وابنها إسماعيل، ولم يكن ذلك بمحض الصدفة، وإنما بقدر من الله تعالى، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وظل أهل مصر يولون هذا البيت عناية خاصة واهتماماً كبيراً، وإلى وقت قريب كانت ترسل كسوة الكعبة كل عام من مصر.

ويقول عمر بن يوسف الكندي: «إن منافع مصر في الحرمين لبينة؛ لأنها تميزها بطعامها وكسوتها وسائر مرافقها فلها بذلك فضل كبير، ومع ذلك فإنها تطعم أهل الدنيا من أقصى جنوب الأرض وشمالها في بلاد الهند والأندلس وما بينهما، ولا ينكر هذا مُنْكَرٍ»^(٢).

وعن وزراء فرعون وجلسائه بعدما استشارهم فرعون في أمر موسى وأخيه هارون، قالوا: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾^(٣) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ [سورة الشعراء: ٣٤-٣٧].

يقول: «فهل في الدنيا جلساء ملك أرجح عقلاً وأحسن محضراً منهم؟ حيث أنصفوا وأمروا أن يمتحن بمثل ما وقع لهم، فقالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٣٧]. «وأجمعت الرواة على أنه لا يعلم جماعة أسلمت في وقت واحد أكثر من جماعة القبط، وروي أنه لم يفتن رجل واحد منهم كما افتتن بنو إسرائيل بعبادة العجل»^(٤).

(١) ومن نصوص التوراة والإنجيل التي ذكرت مصر وفضلها، وأنها جنة الرب في الأرض كما في (سفر التكوين ١٣ / ١٠)، وسميت بـ (رهب)، يعني ما يرهب بكبريائه وقوته (سفر الأيام ٩ / ١٣ / ٢٦)، وللمزيد أرجع إلى ما يسمى بالكتاب المقدس (سفر التكوين ١٢ / ١٠ / ١٦) وما بعدها وأعمال الرسل (٧ / ٣٣)، وإنجيل متى (٢ / ١٣ / ١٥ / ١٩ / ٢١)، ط العيد المثوي سنة ١٩٨٣ م مكتبة دار الكتاب المقدس بمصر.

(٢) فضائل مصر ص ٢٣، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣٠ - ٣١.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه عن مصر: «إن ولايتها جامعة تعدل الخلافة، وقال عنها سفيان بن عيينة (١٠٧ - ١٩٨ هـ)، إنها كنانة الله يحمل فيها خير سهامه»^(١).

وكما أقسم الله ﷻ بطور سيناء أقسم بالبلد الأمين، ولا أعلم أن مكاناً تجل ربنا إليه ورأى نور الله ﷻ غير هذا المكان.

ولا أعلم - أيضاً - أن بلداً من البلاد وصفها نبي من أنبياء الله بأنها (خزائن الأرض) في قول يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ [سورة يوسف: ٥٥]، إلا مصر.

هذا ليعرف كل مصري كيف كان آباؤه وأجداده، فإذا علم الحالة التي كانوا عليها، من الرفعة والعلو والمكانة عند الله وعند الناس، أدرك الفارق الشاسع بين ما كانوا عليه وما صرنا إليه.

فالضد يظهر حسنه الضدد وبضددها تتميز الأشياء

من دخل مصر من الأنبياء:

نبي الله إدريس عليه السلام ونبي الله إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزوجه سارة، وخرج منها بهاجر التي تزوجها، وولدت له إسماعيل أبا العرب، ونبي الله موسى عليه السلام وقصصه مع فرعون معلومة، ذكرها القرآن الكريم، وكذلك نبي الله هارون عليه السلام، وكذلك نبي الله يعقوب وابنه نبي الله يوسف عليه السلام، وأحفاد وأولاد نبي الله يعقوب هم الذين قال الله لهم ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٩٩]، ونبي الله المسيح بن مريم وأمه عليها السلام، ويوشع بن نون في عهد موسى، ودانيال عليه السلام^(٢).

ولا يخفى أن هذا العدد الكثير من الأنبياء عليهم السلام كان له الأثر الكبير على أخلاق وقيم المصريين، ولعل هناك أنبياءً آخرون كان لهم نشاطٌ دعوي في مصر لا نعرفهم.

قال تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر: ٧٨]، وهؤلاء الأنبياء وأصحابهم وأتباعهم كان لهم الفضل في تهيئة أبناء مصر لقبول تعاليم النبي الخاتم واستبشارهم به ونصرتهم له.

(١) الفتنة الطائفية ص ١٩ مرجع سابق.

(٢) فضائل مصر ص ٣٧، مرجع سابق.

«ذكر أهل العلم والمعرفة والرواية أنه دخل مصر ممن صحب رسول الله ﷺ مائة رجل ونيف، وقال يزيد بن أبي حبيب: وقف على قبلة المسجد الجامع - ثمانون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ»^(١).

وتأمل معي مدى تأثير دعوة مائة صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ وراءهم جيش من الدعاة والفقهاء والأتباع والجنود (في مصر) لتعليم أبنائها القيم التي جاء بها الإسلام. ناهيك عن الأعداد الغفيرة ممن أسلموا من الحكماء والعلماء من أهل الكتاب الذين ورثوا عن المسيح والأنبياء السابقين ﷺ الكثير من القيم والمبادئ، وكان لمصر أيضاً - عبر التاريخ - شرف استقبال أهل الفضل والتقوى من الخلفاء والعلماء والأدباء والفقهاء والشعراء.

والخلاصة:

أن مصر بلدٌ قديم له تاريخ عظيم سطره الله على صفحات كتبه التوراة والإنجيل والقرآن، وعلى ألسنة رسله الكرام ولا يزال وسيظل أتباع هؤلاء الرسل يذكرون مصر إلى يوم القيامة، وستظل مصر بأبنائها حصن الإسلام ومعقل المسلمين إلى يوم الدين.

(١) فضائل مصر ص ٣٩، ٣٧، مرجع سابق. (٢) وللمزيد انظر كتاب يوحنا النقيوسي (تاريخ مصر) ص ١٢٥ وما بعدها ترجمة د/ عمر عبد الجليل ط/ القاهرة سنة ٢٠٠٠م وكتاب توماس أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص ١٢٣-١٢٤ ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن، ود/ عبد الحميد عابدين ط/ القاهرة سنة ١٩٧٠م فالنصارى الموحدون أتباع أريوس (٢٦٥-٣٣٦م) كانوا يؤمنون - كما يقول يوحنا النقيوسي -: إن المسيح مخلوق وليس (إلهاً)، وهذه كانت ديانة معظم نصارى مصر، وإن أكثر من نصف هؤلاء دخلوا الإسلام قبل تمام الفتح، وقبل وصول عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الاسكندرية، وفي دراسة - للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - عن الأصول العرقية للشعب المصري تقول: إن ٦٪ من المصريين عرب جاءوا مع الفتح، و ٢٪ قبائل بربرية، و ٢٪ بدو من سكان البلاد، و ٢٪ بوهميون، و ٨٨٪ لعائلات مسيحية تحول ٩٠٪ منهم إلى الإسلام انظر كتاب (التطور الفكري لدى جماعات العنف في مصر) ص ٢٣٠، ط/ شبين الكوم سنة ٢٠٠٨م للدكتور كامل عبد الفتاح بحيري.

الفصل الأول

المجتمع المصرى وعلاقته بالقيم.

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: قيمة التدين الفطرى والاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية

المطلب الثانى: قيمة التكافل وحسن الجوار

المطلب الثالث: قيمة الصبر الإيجابى ومواجهة الأزمات بحكمة واقتدار

المطلب الرابع: قيمة تفعيل الإحساس بالمسئولية نحو الإسلام والمسلمين.

المطلب الأول:

قيمة التدين الفطري والاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية:

ويشتمل هذا المطلب على أربع نقاط، وهي:

- ١ - مفهوم الفطرة.
- ٢ - مظاهر التدين في مصر وأدلتها، وفيه:
 - أ - حب الشخصية المصرية للتدين.
 - ب - الإيمان بالحياة بعد الموت.
 - ج - إرسال الرسل.
- ٣ - الاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية.
- ٤ - دور الأزهر في الحفاظ على الدين والهوية.

أولاً: تعريف الفطرة:

الفطرة لغة: من مادة (ف ط ر)، بالكسر: الخلقة، والفطرة: الابتداء والاختراع أو الخلق، والجمع: فِطَر، فطر الله الخلق خلقهم وبدأهم
قال أبو الهيثم الفطرة هي: الخلقة التي يخلق عليها المولود^(١).
والفطرة هي: «الجملة المتهيئة لقبول الدين»^(٢).

والفطرة هي: صفة الإنسان الطبيعية - شعوب تعيش على الفطرة، خُلِقَ خُلُقٌ عليها المولود^(٣).
والفطرة - أيضاً - «الخلقة السليمة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، أو الطبيعة السليمة التي لم تشب بعب»^(٤).

وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠]. وفي الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٥). والفطرة في اصطلاح الفلاسفة هي: «الاستعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل، والفطرية: القول بأن الأفكار والمبادئ جَبِلِيَّةٌ»^(٦).

والشيء الفطري في الإنسان هو الكامن في النفس والموجود في الذات قبل التلقين والتجربة، والذي يؤثر دائماً على سلوكه وعقيدته، وأهل مصر من أوائل الشعوب التي بحثت عن الدين واهتدت بالفطرة إلى كثير من حقائقه، أو اقتربت منها.

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٥، ص ٣٤٣٢، ٣٤٣٣، مادة (ف ط ر) مرجع سابق.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٩٠، مرجع سابق.

(٣) رائد الطلاب ص ٦١٢، جبران مسعود، مرجع سابق.

(٤) المعجم الوجيز ص ٤٧٦ مرجع سابق.

(٥) رواه البخاري في صحيحه باب الجنائز رقم ١٣٥٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم باب القدر رقم ٦٩٢٦، عن أبي هريرة أيضاً، وله طرق أخرى، انظر موسوعة الحديث الشريف ووزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٦) المعجم الوجيز ص ٤٧٦، مرجع سابق.

ثانيًا: مظاهر التدين في مصر وأدلته:

شعب مصر شعب متدين عبر تاريخه الطويل ما عَرَفَ الإلحاد ولا آمن به ولا دافع عنه «بل كان الدين والحياة في مصر متمازجين إلى حدٍّ يستحيل معه أن يكون المرء أدريًا^(١) فلقد كان الفلك والطب والجغرافيا والزراعة والفن والقانون... بل وكافة أوجه الثقافة والحضارة المصرية ترجمة لاعتقادات دينية، وقد وصفت ديانة إخناتون أثناء عصر العمارنة (الأسرة ١٨) بالوحداية»^(٢).

أ- حب الشخصية المصرية للتدين:

ويقول الدكتور أحمد عكاشة في كتابه (تشریح الشخصية المصرية): «تتميز الشخصية المصرية بالانبساطية، وحب الاختلاط، والدفع العاطفي وسهولة الإيحاء (فيما يسمى بطيبة القلب) مع الإحساس بالمسؤولية الأسرية والانتماء والتماسك مع الدين أكثر من الوطن.

يقول جيمس يرستد في كتابه الشهير (فجر الضمير): «إن المصريين هم الذين أوجدوا الضمير الإنساني؛ لأنهم أول من عرفوا الله وكذلك آمنوا بالعالم الآخر، ولم يتمكن أحد قبلهم من إدراك هذا الواقع، ويبدو أن الإيمان بالله واليوم الآخر يتوارثان من خلال جينات الوراثة في المصريين، فقد آمن المصريون بالله قبل الأديان السماوية ثم آمن المصريون باليهودية والمسيحية والإسلام، إذًا لا مفر من الاعتراف بأن الشعب المصري من أكثر الشعوب إيمانًا بالله»^(٣).

يقول الدكتور محمد عمارة: «لقد ظل التوحيد مع المدنية يشعان على أرض مصر عبر تاريخها الطويل يتجددان فيها ليغالبا الوثنية والتخلف اللذين يأتيانها في ركاب الغزاة.. لقد غالبت مصر العديد من التحديات، غالبت بداوة الهكسوس، ودمار الغزوة الفارسية التي قادها (قمبيز) ٥٢٩ - ٢٢ / ق م والقهر الروماني الذي فرضه الغرب الإغريقي البيزنطي على الشرق مدة عشرة قرون من (الإسكندر الأكبر) ٣٥٦ - ٣٢٤ ق م، إلى (هرقل) ٦١٠ - ٦٤١ / ق م، وعندما غلب الرومان

(١) الأدري: هو الذي يرفض الدين ويقول: لا أدري، مترجم كتاب مصر والمصريون د/ عاطف معتمد، د / محمد رزق.

(٢) مصر والمصريون ص- ١٦٣، مرجع سابق، وانظر كتاب أوراق مصر ص- ٢١٤ مرجع سابق.

(٣) تشریح الشخصية المصرية، د/ أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي كلية الطب جامعة عين شمس، رئيس الجمعية العالمية للطب النفسي سنة ٢٠٠٢/ ٢٠٠٥ ط دار الشروق سنة ٢٠١٠ م، ص- ١٥، وانظر ص- ٢١٠ كتاب أوراق مصر مرجع سابق.

التوحيد الذي جددته المسيح رفعت مصر لواء النقاء لهذا التوحيد مع أسكب الإسكندرية أريوس ٢٥٦ - ٣٣٦ م الذي أعلن أن الله جوهر أزلي أحد لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق»^(١).

نعم آمن المصريون القدماء بالإله الواحد، الخالق، المحيط بالناس، رب الدنيا والآخرة، وقد عرفت عنهم هذه العقيدة قبل الميلاد بأربعين قرنًا يوم أن كانت مصر مقسمة إلى ولايات كثيرة متصارعة.

وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد يتولى الملك (إخناتون) عرش مصر الموحدة، وينشط في دعوة الناس إلى الإيمان بإله واحد، هو خالق كل شيء، وهو المحيي والمميت^(*).

ب - الإيمان بالحياة بعد الموت:

اهتم المصريون القدماء بمسألة الحياة بعد الموت والاجتهاد - منقطع النظير - في حفظ أجساد الموتى في ما يعرف بالتحنيط، في حين أن الهند إلى اليوم تتفنن في إتلاف جسد الميت وحرقة بالنار وتحويله إلى رماد تذرّوه الرياح.

«آمن المصريون القدماء بالحياة بعد الموت على أساس إيمانهم بأن الروح لا تفنى بالموت، ولا تذهب بذهاب الجسد، لأن الموت في نظرهم عبارة عن مجرد مفارقة الروح للجسد، وحتى يضمن عودة الروح لجسدها مرة أخرى بعد الموت بذلوا جهدهم في العناية بالأجساد وتحنيطها ووضعها في توابيت قوية ومقابر ضخمة، وبالغوا في إخفائها حتى لا يعثرها أمر يضيعها أو يضعفها، وبذلك تكون مستعدة لاستقبال الروح والعيش في السلام الكامل»^(٢).

(١) الفتنة الطائفية متى وكيف ص ١١، ١٠ بتصرف، مرجع سابق، وللمزيد انظر كتاب البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٢١٤ ط دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٧ م.

(*) لا ينكر أحد أن كثيرًا من المصريين كان على الشرك وقد عبدوا مئات الآلهة؛ إلا أن الحق الذي يجب أن يعرف أن التوحيد كان في مصر من قديم الزمان وأنه ظل بارزًا يعارض الشرك وأهله؛ ورغبة في الاختصار أذكر الجانب المشرق والمشرق لمصر؛ لأن بحثي هذا يهدف إلى إبراز القيم الأصيلة التي يجب أن تبعث وتحرس وتدعم فالحق يحى بذكره ونشره، والباطل يموت بهجره وتركه، وللمزيد انظر المرجع السابق ص ١١ وما بعدها.

(٢) دراسات في الأديان والنحل ص ١٢٠ وما بعدها بتصرف، للأستاذ الدكتور أحمد أحمد غلوش، عميد كلية الدعوة الإسلامية سابقًا، طبعة مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

ج - الإيمان بإرسال الرسل:

وإذا كان من العلماء مَنْ يرى أن التوحيد ظهر في مصر من قديم، وكان بهذه الصورة الفطرية كما يتصورون آنذاك، أو بسبب التأمل المستمر والنظر في ملكوت السماوات والأرض إلا أن هناك من العلماء مَنْ يرى أن التوحيد والتدين في مصر، وإن كان من صنع الفطرة واهتداء العقل، إلا أنه سرعان ما تأثر بالتعاليم التي جاءت من السماء عن الرسل الكرام كنبِيِّ الله إدريس ونوح وداود وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام.

واستدلوا على ذلك بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَلِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٤]، ومصر أمة من أعرق الأمم فلا مانع - شرعاً ولا عقلاً - أن يكون الله تعالى قد أرسل إليهم رسلاً منهم مَنْ عرفنا ومنهم من لم نعرف، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر: ٧٨]، وسواء أكان هذا التدين بالفطرة أو اهتداء العقل، أو كان من بقايا تعاليم الأنبياء، ففي كلتا الحالتين شرف، ومندوحة تحسب لأهل مصر.

ففي الأولى تفكروا في عظمة الله ووحدانيته وما يريده من العباد بفطرتهم قبل أن تأتيهم الرسل، وفي الثانية يكون لهم شرف الاحتفاظ بمعظم ما جاء به المرسلون من عقيدة وأخلاق في حين أن غيرهم حَرَفَ وبَدَّلَ وَغَيَّرَ، ولم يبق من ذلك شيء.

يقول الدكتور أحمد غلوش بعد مناقشة آراء العلماء في هذه المسألة: «على الجملة فإن التوحيد ظهر في مصر القديمة وبلغه رسل الله تعالى وهذا ما نرجحه ونراه الأولى بالتسليم»^(١).

وهذه الحضارة التي ظلت تبحث عن الدين وتربط حياتها به سنين طويلة، بمجرد أن اهتدت إلى نور السماء وعرفت الإسلام وأملت به ولسان حالها يقول:

الله أكبر إن دين محمد	وكتابه أقوى وأقوم قِيلاً
لا تذكر الكتب السوالم قبله	جاء الصباح فأطفئوا القنديلا ^(٢)

(١) المرجع السابق ص ١٤١.

(٢) ديوان البوصيري ج ١ ص ١٨٢، بدون طبعة وبدون تاريخ.

ثالثاً: الاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية:

أجل، لقد سعد المصريون بالإسلام واعتزوا به، وكان لهم السبق في إنشاء المدارس، والمعاهد، والكتاتيب، والمساجد، ويكفي لتأكيد هذه الحقيقة ذكر بعض ما قام به الأزهر الشريف منذ نشأته (٦١ هـ - سنة ٩٧٢ م)، وإلى يوم الناس هذا من أعمال جلييلة لحراسة الهوية العربية الإسلامية. ما هي الهوية ؟

يقول الجرجاني في التعريفات: «الهوية هي الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق»^(١).

و«أنها تعني الذاتية الخاصة بالبصمة التي تميز الظاهرة عن الظواهر التي تشبهها، أما مجمع اللغة، فهو يعرف الهوية حديثاً فيقول: إنها حقيقة الشيء، المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، وليست أي صفات، والتي يميزها عن غيرها ... منها الصفات الجوهرية وإذا كنا نقول: إن موروثنا فيه الثوابت والمتغيرات فهذا يعني أن فيه ما هو (هوية) وفيه ما هو متغيرات»^(٢).

وليس هناك أدل - على حب اللغة العربية في المجتمع المصري منذ عرف العروبة - من هذا التحول الكلي للمجتمع من لغته القديمة (الحامية السامية - أو ما يعرف بالأفروآسيوية) (المصرية القديمة) التي استخدمت لأكثر من ٥٠٠٠ آلاف سنة أطول من أي لغة أخرى إلى اللغة العربية.

والعجيب أن هذا التحول كان سريعاً وشاملاً لمن دخل في الإسلام ولمن بقي على دينه، فالجميع صار يتحدث بالعربية ويعتز بها، ولم يبقَ للغة المصرية القديمة شأن يذكر.

«فالعروبة بالنسبة لهذه الأمة (هوية) لأنه على مر العصور ومنذ أن اندمجت هذه الجماعة البشرية بالتعريب في هذه الأمة الجديدة وأصبح ولاؤهم للعروبة.

والموارث التي سبقت الفتح الإسلامي قد تعربت كما تعرب البشر ودخلت أثناء (عصر التدوين) في نسيج الحضارة الجديدة وصيغت بصيغة الإسلام، إن أمتنا هذه أمة متدينة - وهذا الكلام - الذي يتردد كثيراً، ليس عبثاً - فالتدين قسمة من قسّمات الهوية التي تتميز بها أمتنا العربية الإسلامية والقيم والأخلاقيات هي الأخرى من ثوابت الهوية»^(٣).

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٨٦، مرجع سابق، حرف الهاء.

(٢) الاستقلال الحضاري ص ١٦٦: ١٦٨ بتصرف، ط / نهضة مصر أبريل سنة ٢٠٠٨ م.

(٣) المرجع السابق ص ٦٦.

رابعاً: درو الأزهر الشريف في الحفاظ على القيم:

قام الأزهر الشريف بالدور العظيم والرائد في حفظ هذه القيم بما فيها (الوسطية بالمفهوم الإسلامي) واللغة العربية، وكان هذا الجهد ولا يزال نصراً للإسلام والمسلمين.

يقول الدكتور محمد عمارة: «أما الأزهر فهو - رغم انعدام الحاجة إلى تعريف مشاهير الأعلام - ذلك المسجد الجامع (الجامعة) التي اقترن قيامه بقيام (القاهرة) فأعلننا تحول مصر من دور الولاية إلى مركز (الخلافة) فكان منارة أهلها لتنهض بعبء هذا الدور الجديد، فإلى جانب الصلاة كانت تلقى فيه دروس العلم، فلما كان الخليفة العزيز بالله (٣١٩ - ٣٦٥ هـ، ٩٣١ - ٩٧٥ م) استوى الأزهر جامعة علمية ومنارة فكرية وقبلة للعلماء والطلاب من كل الأجناس والأقاليم واللغات والطبقات، ثم توالى القرون وتعاقبت الدول وتغيرت النظم، وتنوعت حروف الدهر، والأزهر باقٍ يزداد رسوخاً، ويزداد دوره ويتوهج ضياؤه، فلقد احتضن العربية والإسلام فغدا له في حياة أهلها مكان الحمى والحارس كان اتجاه سهام التغريب إلى (العروبة والإسلام) ومن ثم كان أحداق المخاطر، مخاطر التغريب بالأزهر الشريف حصن (العروبة) وقلعة (الإسلام) وكان الدور الرائد والفريد الذي نهض به الأزهر من أخطر ميادين صراع أمتنا ضد الغزوة الاستعمارية الحديثة»^(١).

فما من أمة استهدفت العالم الإسلامي لاسيما عروبتة وإسلامه (هويته) أو أرضه وثرواته، إلا وكان لعلماء الأزهر وطلابه مواقف مشهورة في مواجهة وجهاد هؤلاء الغزاة، سواء أكانوا صليبيين أو تتاراً... رغم الاغراءات.

إن مقاومة التغريب والأهداف الاستعمارية دليلٌ على الاستمسك بالقيم الإيمانية. لقد عاش الأزهر حياة مصر والعروبة والإسلام كائنًا حيًّا يفعل في الأمة وينفعل بها، يقوى بقوتها ويضعف بضعفها.

لقد كان للأزهر شرف المقاومة، شارك في ذلك المحافظون من أبنائه والمجددون»^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٢٩، بتصرف، وللمزيد انظر كتاب قاموس العادات والتقاليد المصرية ص ٣٥، ٣٦ ط دار الشروق سنة ٢٠١٠ م د/ أحمد أمين، (١٨٨٦ / ١٩٩٤) درس بالأزهر الشريف، وعمل قاضيًا ومدرسًا في مدرسة القضاء الشرعي، ثم مدرسًا بكلية آداب القاهرة، ثم عميدًا بالكلية نفسها.

ولم يقف الأزهر - كما هو معلوم - عند حد مقاومة التغريب والأهداف الاستعمارية، أو عند حد إثبات الذات والدفاع عن الهوية، بل تجاوز ذلك إلى غزو أفكار هؤلاء وغيرهم والتأثير فيهم وذلك من خلال إرسال الدعاة والوعاظ ومساندة الوافدين من الدول الأخرى - وتدريبهم وفتح المدارس والمعاهد خارج مصر، والتعاون مع أهلها وإرسال الكتب والمدرسين ومنح الفرص المجانية للمتفوقين... إلخ، ما هو معلوم وقائم إلى الآن.

ولعل هذه الصحنات التي ظهرت في مصر، والعالم الإسلامي، والتي ترفض التبعية للغير والزوبان في شخصيته والرضوخ لما يريد، وتتطالب بعودة المجتمع إلى ثوابته وقيمه لعل للأزهر الشريف الفضل في تكوين هذه الروح المؤمنة الواعية التي وقفت وتقف بالمرصاد لدعاة التغريب وسفاسرة الاستعمار، ولولا فضل الله على مصر - بوجود الأزهر - لصارت مصر الآن لا تعرف عن العروبة والإسلام إلا القليل.

ما عرف الأزهر التعصب للمذاهب والعلماء بل درس ويدرس المذاهب الإسلامية - في كل مجالات المعرفة - لا يتقدم مذهب على مذهب في مسألة، أو رأي على رأي، أو حكم على حكم، أو فتوى على أخرى إلا بالدليل الراجح من قرآن، أو سنة، أو إجماع.

فالطالب في الأزهر مطالب بتقديم الدليل عن كل ما يتعلق بمجال تخصصه، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً؛ لأن هوية الأمة في الإسلام بمفهومه الشامل والوسطية بمعناها الحقيقي وليس في التعصب لمذهب أو فكر أو شخص أو بلد.

المطلب الثاني: قيمة التكافل وحسن الجوار.

التكافل يعني: التضامن والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد، أقرباء كانوا أو جيران ليضمن الجميع - ولو - الحد الأدنى من الحياة الآدمية الكريمة.

يقال: «كفل الرجل بالرجل كفالة:» «ضمنه»، وكفل الصغير «رباه وأنفق عليه»، وفي القرآن الكريم ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: قام على رعايتها، وتكفل بالشيء: أوجبه على نفسه، وتكفل بالدين: التزم به^(١). ومنه كافل اليتيم: الذي يتولى تربيته ويوفر له ضروريات الحياة الكريمة ومقوماتها، «والكافل هو: العائل يكفل إنساناً، أي: يعوله»^(٢).

(١) المعجم الوجيز ص / ٥٣٧ مرجع سابق.

(٢) مختار الصحاح ص / ٥٧٥، مرجع سابق.

والتكافل بهذا المعنى - أو قريباً منه - كان معروفاً في المجتمع المصري منذ عصر الأسرات - جمع: أسرة - إذ أن المصريين بفضل نهر النيل الذي وهبه الله لهم، عرفوا العمران مبكراً، وبنوا المدن والقرى على ضفافه، وحتى المناطق الصحراوية كان بها تركز وعمران يجمع بين الأقارب والجيران. «كانت الأسرة النواة لب المجتمع المصري، وتشير قوائم نسبية لا تحصى على أهمية الروابط الأسرية، وفي معظم العصر الفرعوني كان الرجال والنساء يرثون بشكل متساوٍ، من كل من الأبوين»^(١).

وفي الأسرة المصرية، بكل طبقاتها، كان الأطفال بنوعيهما مقدرين مرغوبين (ولا توجد إشارة على ممارسة وأد البنات)، وكان لميلاد الطفل اهتماماً كبيراً وفرحاً عظيماً، وكانت الرضاعة الطبيعية أحد أفضل السبل للحفاظ على الطفل، وتشير دُمتى ولعب الأطفال إلى أنه كان يخصص وقت فسيح للعب وبمجرد أن كانوا يتجاوزون سن الطفولة يبدأون التأهل للبلوغ ومعاونة الأهل، ويعود الوالدان أبناءهما ويزودانهم بأفكار عن العالم، وعن الدين والأسس الأخلاقية، والسلوك القديم»^(٢).

عَرَفَ المصريون بناء الأكواخ والمساكن وتقسيم الأراضي الزراعية فيما بينهم، ولعل هذا التجاور وما له من تبعات واحتكاكات يومية وهموم مشتركة، تتمثل في زراعة الأراضي في وقت واحد، وحمايتها من فيضان النيل، والاحتفاظ بالبذور اللازمة للأعوام القادمة، وجمع المحصول عند الحصاد، وبناء البيوت وما له من احتياجات، كل ذلك أسهم في بقاء قيمة التكافل وحسن الجوار. ومما لا شك فيه (أن حياتنا قد تعقدت ولم تعد هي تلك الحياة البسيطة التي كنا نحياها في الماضي، والتي كانت تحكمها أعراف وتنطوي على قيم جليلة كالتواد والتراحم والحرص على إنسانية الآخرين، حين كان المجتمع يطرح الأنانية وحب الذات، وحين لم يكن شعار - أنا وبعدي الطوفان - قد ارتفع بعد، وحين لم نكن نعرف هذا التسبب العارم الذي اجتاحت حياتنا المعاصرة»^(٣).

(١) مصر والمصريون ص ١٦٩ / ١٧٦ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) عن الأسرة المصرية وعاداتها وقيمها الأصيلة، انظر كتاب قاموس العادات والتقاليد المصرية حرف الألف ص ٤٢ -

٤٣، مرجع سابق.

(٣) د/ أحمد عكاشة ثقبوب في الضمير ص ١٥، ١٦، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٩ م.

وجاء الإسلام فعرف المصريون أن هذه القيم فوق كونها عادات أصيلة في المجتمع المصري، فهي عبادات يثاب المرء بها أو يعاقب عليها وأن الإنسان خليفة في الأرض خلقه الله منها واستعمره فيها، وبعث إليه الأنبياء والمرسلين وشرع له الشرائع والقوانين التي تبين ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

منها: التكافل وحسن الجوار:

كانت هذه القيم - بعدما دخل الإسلام مصر - تنبع عن عقيدة وإيمان بالله ورسالاته، وكان المسلم يقوم بواجباته نحو المجتمع إما رغبة في ما عند الله تعالى وطلباً لرضاه، وإما رهبة من الله تعالى وخوفاً من عقابه وانتقامه^(١).

«فاق المجتمع الإسلامي المجتمعات الأخرى، ففي مجال القيم الإنسانية الرفيعة التي هي المظهر الحقيقي لعظمة المجتمعات فأنت تراها مجسده مطبوعة على تاريخنا الطويل، ولقد انطلقت تلك القيم السامية في أخوة الإيمان، وتحقيق الحق وتنفيذ العدل من مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [سورة النساء: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

والتقوى عن طريقها يظهر الإيمان الصادق وبها تنهذب النفس وتطمئن، ويتشرب القلب حلاوة الطاعة للمعبود^(٢).

لقد وضع الإسلام نظاماً كاملاً وشاملاً لكل مناحي الحياة ومنسجماً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وفي باب التكافل وحسن الجوار، حث الإسلام على برّ الوالدين، وصلة الرحم ورعاية الضعفاء وذكر حقوق الأبناء على الآباء، والآباء على الأبناء، وحق القربى، وشرع الزكاة، وجعلها ركن من أركان الإسلام، وحث على الإنفاق في أوجه الخير.

(١) انظر كتاب الدكتور رءوف شلبي : (الدعوة الإسلامية في عهدها المدني منهاجها وغاياتها) ص ٣٨٤ وما بعدها، مطبعة الفجر الجديد سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٢) منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، ص ٦٧، للدكتور محسن عبد الحميد، أستاذ التفسير والعقائد الإسلامية بكلية الشريعة ، والفكر الإسلامي الحديث بكلية الآداب جامعة بغداد، ط مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.

إن التكافل وحسن الجوار من القيم التي ما تخلى عنها المجتمع المصري طوال حياته، كان التعاون بين الأقارب والجيران إلى أبعد الحدود.

ما كان المرء يتخلى عن رعايته لأبويه ويدفع بهما إلى دار المسنين رغبة في التخلص منهما أو البعد عنهما أو طاعة لزوجته، بل كان المرء - وإلى عهد قريب - يُنزل عمّه منزلة والده، تسأله من هذا؟ يقول لك: أبي فلان، وينظر إلى ابن عمه نظرتة إلى أخيه، بل كانت الأسرة تعيش في بيت واحد بطعام واحد ودخل واحد، آباء وأبناء وأحفاد، لا يعرفون الأنانية وحب الذات، ما كان المرء يترك أخته أو أخاه يحبى أو تحبى حياة البؤس والجوع والمرض والعار، وهو غارق في الملذات لا يلتفت إليهم!!

كان الجيران والأقارب يتعاونون في بناء بيوتهم وجمع محاصيلهم وزراعة أراضيهم ومواساة مصابيهم وفقيرهم، كانت القرية التي يقطنها بضعة آلاف، كالأُسرة الواحدة في أفراحها وأتراحها ما كان يعقل أو يقبل أن يقام عرس أو أفراح بجوار أو قريب من بيت فيه حالة وفاة أو مصاب، فقد يتهياً أهل بيت لزواج ابنهم أو ابنتهم فيموت رجل أو امرأة من أسرة أخرى فيتوقف الزواج أربعين يوماً.

كان المرء الذي لم تتح له فرصة للتعليم ولم يحفظ شيئاً من القرآن أو السنة إذا رأى جاره مسيئاً إليه يقول للمسيء: (اتق الله، الجار ولو جار)، ولا يرضى أن يضار له جار - ولو كان ذمياً - بل يسعى بكل طاقاته في رد الإساءة عنه ولو أدى ذلك إلى فقد حياته.

إذا كان ذلك حال الإنسان الأمي، فكيف بمن وعي قول الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [سورة النساء آية: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٣]، وقول رسول الله ﷺ: «لا يزال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١)، وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»^(٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة، رقم (٥٦٦٨) باب الوصاء بالجار ج ٥ / ص ٢٢٣٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة برقم (٤٨٩٠) باب النقيع والشراب الذي لا يسكر في العرس ج ٥ /

تأمل: كيف ربط ﷺ بين الإيمان وحسن الجوار، في قوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: مَنْ يارسول الله - لقد خاب وخسر - قال: مَنْ لا يأمن جاره بوائقه»^(١)، وقوله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم»^(٢).

ولقد حافظت مصر على هذه القيمة واحتفظت بها وما تخلت عنها بسبب جوع أو فقر منذ أن دخل الإسلام مصر وقبل ذلك وإلى وقت قريب.

المطلب الثالث: قيمة الصبر الإيجابي ومواجهة الأزمات بحكمة واقتدار:

الصبر نوعان: صبر إيجابي وهو محمود، وصبر سلبي وهو مذموم. والصبر الإيجابي معناه: «ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى»^(٣). والصبر أيضاً: «حبس النفس عن الجذع - والصبر - بكسر الصاد - الدواء المر»^(٤). صبر، يصبر، صبراً - أي: تجلد وواجه المصائب والبلايا بجرأة - وصبر عن الشيء، حبس نفسه عنه، امتنع عنه^(٥).

هذا هو الصبر الإيجابي المحمود، وهو الصبر الجميل الذي أمر الله عز وجل به نبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا^(٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا^(٧) [سورة الماعن: ٥: ٧]. والصبر السلبي صبر مذموم لأنه استسلام وضعف وهزيمة ورضا بالواقع المر دون تكليف النفس بالبحث عن حلول لمواجهة الخطر والمصائب مع القدرة على ذلك.

وتاريخ مصر يشهد أن أبناء هذا البلد كانوا يتحلون بالصبر الإيجابي وليس الصبر السلبي.

(١) صحيح البخاري، عن أبي شريح العدوي الخزاعي برقم (٦٠١٦)، ورواه مسلم في صحيحه باب الإيمان برقم (١٨١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عباس، وصححه الألباني، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس بن مالك (١٧/٨)، وقال حديث حسن.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٤٩، مرجع سابق، ومن الأمثلة التي يرددها المصريون، (الشكوى لغير الله مذلة)، و(الصبر مفتاح الفرج).

(٤) مختار الصحاح ص ٣٥٤، ٣٥٥، مرجع سابق.

(٥) رائد الطلاب ص ٤٩٧، مرجع سابق.

انظر إلى آثارهم التي أثارت إعجاب بل واستغراب العالم ولا زالت قائمة تحكي لنا عن صبرهم في البناء والتعمير، وصبرهم في مواجهة الفيضانات الموسمية، وصبرهم في مواجهة الغزاة والمعتدين وصبرهم في مواجهة القحط والجفاف والآفات والأمراض... صبراً ليس فيه استسلام ولا هزيمة ولا ذل ولا انقياد ولا فقدان السيطرة على النظام العام.

يقول مؤلف كتاب مصر والمصريون: «حظيت آثار مصر القديمة بإعجاب العديد من الشعوب على مرّ العصور، وتسرد إحدى النقوش كيف كان المرء يمضي نهارة مبدياً إعجابه بمجمع هرم زوسر، وفي ٢٧ من يناير وصل الفرنسيون إلى الأقصر، كانوا مأخوذين بعظمة المعابد لدرجة أنهم أخذوا في التصفيق الجماعي إعجاباً، وشكلوا صفوفاً بطريقة تلقائية ورفعوا أسلحتهم تحية وتبجيلاً»^(١).

فهذه إطلالة على الماضي العتيق، أعني بها أو بغيرها من قيم الماضي، أن يعلم القارئ الكريم أن هناك «أصول» و «ثوابت»، تمثل صفات متميزة ومشاركة دامت قرونًا طويلة ولا تزال باقية وإن تحلى عنها الكثيرون إلا أنها تحمل صلاحيات العطاء المعاصر للخلوص من الأزمات الراهنة التي تعيشها مصر الآن.

إن هذه الآثار دليل على صبر وصمود هذه الأمة على مرّ العصور ثم جاء الإسلام فعلمهم أن الصبر المفهم بالحوية والنشاط والأمل عبادة لله تعالى قال ﷺ: «والصبر ضياء»، أي: نور من الله يضيء به البصيرة، ولا بدّ من الصبر الجميل في مواجهة الأزمات.

وكم من آيات وأحاديث بينت قيمة الصبر، عرفها المؤمنون وعملوا بها، فنجحوا في الدنيا وسعدوا بثواب الآخرة.

«لقد شهدت وقائع التاريخ أن المسلمين قد زرعوا وصدقوا في استصلاح الأرض وتنظيم الري وتحسين أساليب الزراعة وتنوع مزروعاتهم، نظم المسلمون شبكة شاملة محكمة للري في مصر والعراق وإيران وما وراء النهر»^(٢).

(١) مصر والمصريون ص ٢٣، ٣٢، مرجع سابق.

(٢) د/ محمد فتحي عثمان، أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كتاب القيم الحضارية في رسالة الإسلام،

ط الدار السعودية، الرياض ص ٧٨ - ٧٩، سنة ١٩٨٥.

يقول الدكتور جلال أمين: «كانت حرب ١٩٦٧م قد ضربت الاقتصاد المصري ضربة قاصمة، أصبح معها الاستمرار في التنمية شبه مستحيل، فالجيش يراود إعادة بناؤه، وسكان مدن القناة يجري تهجيرهم وإعادة إسكانهم، وبتروول سيناء أصبح في يد الإسرائيليين وقناة السويس مغلقة، والمعونات الخارجية انخفضت بشدة، كانت ضربة مباغته سرعان ما انتهت دون حرب، كانت ضربة للتأديب حتى تعلن مصر ندمها وأسفها واستعدادها لأن تفعل ما يطلب منها»^(١).

ومع هذا استمرت مصر في بناء جيشها والاستعداد لمواجهة عدوها والاعتماد على الله، ثم على عقول وسواعد وهمم أبنائها مع علمها بقوة عدوها ومن وراءه، وبقوة حصونه وتجهيزاته، منها خط بارليف الشهير^(٢) إلا إن مصر صبرت وصابرت ودربت أبنائها وأعادت إليهم الثقة والقدرة على مواجهة التحدي والقدرة على إثبات الذات وإيقاع الهزيمة بهذا الجيش المغرور الذي يزعم أنه لا يقهر.

إن ما قام به أبناء مصر في العاشر من رمضان الموافق السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م لدليل قاطع على إبراز قيمة الصبر الإيجابي ومواجهة الأزمات بحكمة واقتدار، والمتأمل في تاريخ مصر يجد من ذلك الكثير والكثير.

(١) مصر في عصر الجماهير الغفيرة، د/ جلال أمين، له عدة مؤلفات عن المجتمع المصري والدراسات الأكاديمية للاقتصاد، وله مقالات عدّة في مجلة الهلال ص ٧٣، ٧٥ بتصرف، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٩، ومما يحسب لمصر صمودها أمام الفتن والاعراض المصحوبة بالترغيب والترهيب والمتكررة من قبل المحتلين والغزاة لاغواء مصر حتى تنسلخ عن قيمها ومحيطها العربي والاقليمي انظر كتاب الفتنة الطائفية للدكتور/ محمد عمارة ص ٢٥ وما بعدها مرجع سابق.

(٢) خط بارليف: هو جبل صناعي تراي أقامته إسرائيل على طول قناة السويس من الجهة الشرقية وكان يمثل الحصن الحصين للقوات الإسرائيلية؛ إذ إنه مليء بالألغام الأرضية والمدافع الرشاشة وأنابيب غاز النابالم، شديد الاشتعال وسلوك الضغط العالي من الكهرباء والأسلاك المنبوعة الشائكة، ومن خلفه مراكز محصنة تسمى بالنقاط القوية لما لها من عمق تحت الأرض ودفاعات خرسانية مسلحة بأنواع من حديد الفولاذ..... استطاعت مصر - بفضل الله - تدمير هذا الخط في وقت قياسي بعرف العسكريين، مما أذهل العالم، وأثبت الجدارة لمصر وجندها، والقدرة على تخطي الصعاب والتغلب على العقبات.

المطلب الرابع: قيمة تفعيل الإحساس بالمسؤولية نحو الإسلام والمسلمين:

معلوم أن للإسلام والمسلمين أعداءً استخدموا كافة الوسائل والإمكانات في حربهم على الإسلام والمسلمين، منذ أن بزغ فجر الإسلام وانتشر نوره، منهم من هاجم ديار المسلمين من جهة الشرق من آسيا «كالتتار أو المغول»، ومنهم من هاجم من جهة الغرب «من أوروبا»، كالصليبيين والاستعمار الحديث في القرن العشرين والواحد والعشرين.

يقول الدكتور محمد عمارة: «منذ بدء الهجمة الاستعمارية على ديار العروبة والإسلام ووضحت نوايا وأهداف هذه الموجة من موجات التحدي، فهي لا تبغي فقط السيطرة على طريق التجارة الدولية، ولا تقنع بالنهب الاقتصادي، ولا تكتفي بتفتيت وطن أمتنا فتحول دون وحدتها فقوتها فنهوضها، ولا تقف أطماعها عند تحويل شرقنا العربي والإسلامي إلى «هامش أمن» للغرب الأوروبي. لا تكتفي هذه الهجمة الاستعمارية بكل ذلك، بل إنها تسعى إلى سحق شخصيتنا القومية الخاصة، ومسح هويتنا الحضارية المتميزة.

من هنا، وبسبب هذه الأهداف الاستعمارية تنوعت أسلحة الصراع وتعددت ميادينه، فشملت ساحة (الفكر) و (المادة) وخاصة (المفكرون) و (العامة) واستنفر (العلماء) و (الجند)، واحتاج إلى القلم والسيوف عبر تاريخه الطويل»^(١).

هذه الأهداف المعلنة والخفية من قبل الاستعمار، تعلمها مصر جيداً، كما تعلم أسلحة هذا الصراع المتنوعة وميادينه المتعددة.

وبما لها من خبرة طويلة في مواجهة الأعداء، وموقع متميز بين القارات وما لديها من علماء وعظماء وجنود.

تأبى مصر إلا أن تقف في وجه المعتدين، إحساساً منها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها نحو الإسلام والمسلمين، فهي الشقيقة الكبرى، وهي بلد الأزهر الشريف وهي بلد الفكر والمفكرين والأبطال الشجعان المجاهدين.

نوعت مصر أسلحة الدفاع كما تنوعت أسلحة الخصوم في الهجوم، فكان في مصر الفكر الذي يردّ الفكر، وكان فيها الحديد الذي يفل الحديد، فكانت مصر السد المنيع أمام هذه الهجمات، وكانت خط الدفاع الأول والمنيع أمام أي عدوان على الإسلام أو المسلمين.

(١) الاستقلال الحضاري ص ٩، ١٠، مرجع سابق.

والتاريخ حافل بذكر وتأكيد هذه الحقيقة، ولنأخذ بعض المواقف التي تحسب لمصر، كموقفها من الحروب الصليبية، والمغول (التتار)، والاستعمار الحديث، لم تكن مصر لتدافع عن نفسها وحدودها فقط بل كانت تدافع عن الإسلام عقيدة وشريعة وتدافع عن العروبة هوية وحضارة وتدافع عن كل مسلم دان بالإسلام أو عاش في كنفه.

١ - الحروب الصليبية سنة ١٠٩٦م إلى ١٢٠٩م.

سميت هذه الحروب بالحروب الصليبية؛ لأن المحاربين الأوربيين رسموا الصليب على صدورهم ودروعهم وخيلهم وأعلامهم، وإلى جانب هذه الأهداف والدوافع الدينية المعلنة كانت هناك دوافع اقتصادية وسياسية ومطامع أخرى، أراد هؤلاء الغزاة تحقيقها عن طريق الحرب على الإسلام والمسلمين^(١).

«واستمرت هذه الحروب بين المسلمين والصليبيين قرابة القرنين من الزمان مستهدفة بلاد الشام وبالأخص مدينة القدس، وما حولها ومستهدفة أيضاً مصر - قلعة الإسلام آنذاك وحصنه المتين - نجح الصليبيون في تحقيق بعض أحلامهم أول الأمر، لكن سرعان ما استيقظ العالم الإسلامي وأحس بالخطر الداهم الذي استهدف تاريخه وعقيدته وحضارته، وعادت الوحدة لهذا العالم على يد الأيوبيين والمماليك الذين نجحوا في إيقاع الهزائم بالصليبيين حتى انتهى الأمر بتحطيم آخر معاقلهم في عكا سنة ١٢٩١م على يد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن طولون، فظهرت بلاد الإسلام من رجسهم»^(٢).

لقد جعلت مصر من المماليك أبطالاً كقلوون وبيرس وقطر وغيرهم ممن أبو الدنية في دينهم والذل والهوان لأبناء عقيدتهم فلقبوا أنفسهم بالناصرين فكانوا كذلك، في حين أن المماليك في الأمم الأخرى لا تحسن سوى الخدمة لأسيادها، لا تعرف عن فنون القتال ما يؤهلها لمثل هذه المواقف التي لا تنسى في التاريخ.

(١) راجع كتاب الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث، ط وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ٢٠٠٩م/ ٢٠١٠

ص ٥٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ٥٨.

إن القيم التي تربي عليها هؤلاء تختلف عن القيم التي تربي عليها سائر العبيد. إن ممالك مصر - على ما بهم من أمور - ^(١)، كانوا بلا منازع أساتذة الكر والفر، عمل لهم الغزاة والطامعين ألف حساب وحساب فقد استطاعوا أن يوقظوا الأمة ويردوا عنها كيد الأعداء.

٢ - الغزو المغولي و معركة (عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م)، «هذا الغزو قامت به قبائل المغول من الصين - وهو ما يعرف بـ (التتار) وسقطت جميع البلاد الإسلامية التي غزتها هذه القوات بما في ذلك عاصمة الخلافة الإسلامية في بغداد وبلاد الشام» ^(٢).

ويطول بنا الحديث إن شرحت بالتفصيل أحداث هذه الغزوات ومواقف البطولة التي بدت من القادة والجنود، ولكن حسبي أن نهاية هذا العدوان الصليبي والمغولي كان على أرض فلسطين بقوات معظمها خرج من مصر.

« استقل صلاح الدين بحكم مصر، وعلم ﷺ أنه لا يمكن النصر على الصليبيين والأمة ممزقة فوحد بين مصر والشام، وأقام الدولة الأيوبية وجعل مقرها مصر.

وإذا كان الأيوبيون قد تصدوا للغزو الصليبي، فإن سلاطين المماليك قد تصدوا للغزو الصليبي والمغولي (التتار) معاً فكان عليهم مواجهة الخطر المشترك في وقت واحد والحيلولة دون قيام اتحاد بينهما يحقق لهما النصر على المسلمين، ونجح المماليك في دحرهما معاً وفي وقت واحد وعلى جبهات متعددة في حرب سجال دامت قرابة القرنين من الزمان حتى كان النصر الحاسم في عين جالوت - بفضل الله - الذي قيض لفرسان المماليك أن يقودوا جيوش المسلمين في مصر والشام لصد هذا الخطر الداهم عن ديار الإسلام وحضارة المسلمين» ^(٣).

كانت مصر تتألم بآلام المسلمين وتسعد بسعادتهم وما كانت تبخل ببالها ورجالها وعتادها، على إخوانها المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا.

(١) المجال هنا لا يسمح بذكر تاريخ المماليك وما لهم وما عليهم، وإنما أردت أن أبين أن القيم في مصر لم تنخفض رايتهما قط، تنطلق من مصر سواء أكان ذلك على يد المصريين أو مواليهم، ومن عاشوا على أرضهم وتأثروا بهم.

(٢) انظر كتاب الحضارة الإسلامية ص ٥٩ بتصرف، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص ٦٤.

٣- الاستعمار الحديث في القرن الثامن عشر والتاسع عشر:

ظل العدوان الأجنبي على بلاد المسلمين ولم يتنه وظلت الأطماع القديمة التي كان الصليبيون والمغول يهدفون إلى تحقيقها ظلت تراود كثيرًا من القادة الأوربيين، بل وزادت هذه الأطماع وتطورت.

فكانت الحملة الفرنسية على مصر والشام سنة ١٧٩٨م / ١٨٠١م وكانت الحرب العالمية الأولى سنة ١٨٨١م / ١٩١٤م، ولم تكن مصر بعيدة عن مسرح العمليات، بل لازالت تعاني من الألغام التي زرعت في صحرائها والتي تعد بالملايين وتحتاج إلى جهود جبارة، واموال طائلة لإزالتها، مما يعيق الاستفادة من مليون فدان قابلة للزراعة واستغلال بترول هذه الأرض، وقد تسببت الألغام خلال ٢٢ عامًا في موت ٦٩٦ شهيدًا وإصابة ٧٦٠٠ بإصابات جسيمة^(١).

وكذلك العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م عقب تأميم قناة السويس، الذي أجبرته مصر - بفضل إبنائها وعزة أبنائها - على الخروج من مصر والعودة من حيث أتى.

وكذلك الصراع المريع بين العرب وإسرائيل والذي قدمت فيه مصر أغلى ما تملك من خيرة شبابها وأفلاذ أكبادها وقوت أبنائها، ففي حرب ١٩٤٨ / ١٩٥٢ / ١٩٦٧م، فقدت مصر أكثر من مائة ألف شهيد وضاعت سيناء بالكامل، وأصبحت مدن القناة بالشلل، وكان ما هو معلوم للجميع ولا يحتاج إلى دليل^(٢).

«إن المصريين قد نهضوا في الحرب الطرابلسية نهضة - هي دون شك - ترضي كل مسلم، بل ترضي كل إنسان يقدر قدر الحمية، فانظر إلى ما كان لذلك من نتائج، أهمها: حفظ شرف الإسلام وإفهام الأوربيين أن الإسلام لم يمت، وأن المسلمين لا يسلمون بلادهم بدون حرب، وفي ذلك من الفوائد المادية والمعنوية للإسلام ما لا ينكره إلا مكابر»^(٣).

وكما تعاونت مصر مع شقيقتها (ليبيا) في طرد الاحتلال تعاونت أيضًا بالمال والرجال والسلاح والخبرة مع دول إسلامية أخرى، كالجزار واليمن وسوريا ولبنان لنيل الاستقلال.

(١) انظر كتاب الدراسات الاجتماعية للصف الخامس الابتدائي، الفصل الدراسي الأول، ص ٤٠، وزارة التربية والتعليم سنة ٢٠٠٩ / ٢٠١٠م، مطابع دار الشعب للنشر.

(٢) للمزيد انظر كتاب الحضارة الإسلامية، مرجع سابق.

(٣) لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، ط دار البشير ص ٥٤، بدون تاريخ، تقديم محمد رشيد رضا، وتأليف الأمير شكيب أرسلان.

هذه القيمة العظيمة التي تحلى بها أبناء مصر وما تخلوا عنها على مدار تاريخهم الطويل تؤكد قيمة تفعيل الإحساس بالمسؤولية نحو الإسلام والمسلمين حيثما كانوا وأينما وجدوا. وكما لمصر دور رائد وفاعل في ردّ العدوان المسلح ودحر الجيوش المعتدية على الإسلام والمسلمين، كان لمصر - أيضًا - دورًا بارزًا ورائدًا في منع الحملات التنصيرية وما صاحبها من غزو فكري من التغلغل في بلاد المسلمين.

هذا الدور لا يقل في الأهمية - إن لم يزد - عن الدور السابق، وسأذكر بعضًا من الأمثلة الدالة على ذلك.

أ - حملات التوعية والإرشاد التي يقوم بها العلماء في مصر، وحول العالم الإسلامي لكشف نوايا المحتلين وسماسة الغزو الفكري داخل وخارج بلاد الإسلام، ولتحصين أبناء المسلمين ضد سموم هذا الغزو.

ب - إقامة المعاهد والمدارس والجامعات في العالم الإسلامي كفروع للجامعات والمدارس المصرية، ومنها الأزهر الشريف^(١) مع الإشراف التام وإرسال المواد التعليمية ووسائل التدريس والمدرسين، وهذا واضح في السودان وماليزيا وأندونيسيا - مثلاً لا حصرًا - فضلًا عن استقبال الوافدين والاعتناء الكامل بهم، وهذا أيضًا واقع ملموس لا ينكره أحد.

ج - قيادة الصحوة الإسلامية وترشيدها والتقريب بينها وإمدادها بالمعارف والمراجع والكتب الفقهية والعلمية التي تزخر بها المكاتب المصرية ودور الطبع والنشر ومنها الرسائل الجامعية المتخصصة في كل فنون المعرفة^(٢).

يذكر الدكتور/ محمد عمارة ما أسماه (بالنهضة المصرية والاستقلال الحضاري)، فيقول: «الأمر الذي لا شك فيه أن النهضة المصرية التي قادها محمد علي (١١٨٤هـ: ١٢٦٥هـ)، هي التي دخلت بعالمنا العربي، وبشرقنا الإسلامي إلى رحاب عصر اليقظة والبعث والإحياء، لقد تتطلعت مصر إلى هذه النهضة على عهد حكم علي بك الكبير (١١٤٠هـ - ١١٨٧هـ) ثم جاءت الحملة الفرنسية (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) لتنبه الأذهان بواسطة الخطر القادم، وتلعب دور «الماس الكهربائي» المنبه لها كي تستيقظ وتعي العصر وتدخل فيما يدخل فيه الأحياء المعاصرون»^(٣).

(١) سبق الحديث عن دور الأزهر في الحفاظ عن الدين والهوية ص ٥٥٥. من هذا البحث.

(٢) راجع كتاب الأقليات الإسلامية مصاعبها مشاكلها وسائل الحفظ عليها، أ.د. محمد إبراهيم الجيوشي، العميد الأسبق لكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

(٣) الحضارة الإسلامية ص ٢١٤، مرجع سابق.

لقد سبقت مصر العالم الإسلامي في تدريس العقيدة الإسلامية الصافية والفلسفة والتصوف الإسلامي وجعلت أقسامًا كاملة في جامعاتها لدراسة هذه المواد وميزت بين الغث منها والسمين، في حين أن كثيرًا من الدول الإسلامية ينظر إلى هذه المواد على أنها بكل ما فيها بدع وضلالات.

والخلاصة :

- ١ - أن الله ﷻ قيض لأهل مصر في كل عصر من يجدد لهم أمر دينهم وقيمهم الفاضلة وأخلاقهم النبيلة.
- ٢ - ما عرفت مصر الأنانية وحبّ الذات وما عاشت لنفسها، بل عرفت واجبها نحو ربها ودينها وإخوانها.
- ٣ - واجهت مصر جميع التحديات عبر تاريخها الطويل، فكانت محل تقدير واحترام جميع المسلمين.

الفصل الثاني

أهم مظاهر الفقر في المجتمع المصري ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قلة مستوى الدخل الفردي في مصر.

المطلب الثاني: عدم كفاية المساكن ورداءة مستوياتها.

المطلب الثالث: البنية الأساسية ومستوى الخدمات.

أهم مظاهر الفقر في المجتمع المصري:

للفقر مظاهر عديدة في مصر، وهذه المظاهر ظاهرة للعيان، ولا أظن أن يختلف عليها اثنان، وذلك لكثرتها، وانتشارها وتنوعها، حيث توجد في تدني الأجور والمرتبات، والبنية التحتية والمساكن، والعشوائيات، والشوارع، والمدارس، والمستشفيات بل ومعظم الخدمات، وهذا ما سأوضحه بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: قلة مستوى الدخل الفردي في مصر:

إن أهم العوامل التي توفر للإنسان الحياة الكريمة، والتي تعد من ضروريات الحياة، التي لا يستغنى عنها الإنسان، العمل المثمر المناسب الذي يدر على صاحبه ما يكفي لاحتياجاته ومن يعول، وتوفير الغذاء والدواء والسكن الضروري واللازم لحياة الأدميين، ومصر تشكو من بطالة ومن فجوة خطيرة في حياة الأفراد والأسر وأزمات لم يسبق لها مثيل.

١ - انتشار البطالة بين أبناء الشعب:

يقول السيد رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء: إن معدل البطالة سجل ارتفاعاً طفيفاً خلال ديسمبر الماضي بنسبة ٠.٥٦٪ حيث سجل ارتفاعاً بنسبة ٩.٤٪ بدلاً من ٨.٨٤٪ خلال ديسمبر ٢٠٠٨م.

وأوضح أن نتائج القوى العاملة للربع الرابع «أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر» ٢٠٠٩ .. انتهى إلى أن معدل البطالة خلال هذه الفترة بلغ ٩.٤٪ بينما بلغ ٩.٣٦٪ خلال الربع المماثل من عام ٢٠٠٨م.

وأضاف أن عدد المتعطلين بلغ ٢ مليون و ٣٧٥ ألف متعطل بزيادة قدرها ١٦٦ ألف متعطل عن نفس الربع من عام ٢٠٠٨، وأنه تم رصد ارتفاع محدود في معدل البطالة بين الذكور خلال تلك الفترة حيث بلغ ٥.٢٧٪ كما ارتفع معدل البطالة بين الإناث مسجلاً ٢٢.٨٥٪.

وبلغت نسبة المتعطلين الذين سبق لهم العمل ١٢.٦٪ من إجمالي المتعطلين .. وبلغ معدل البطالة في الحضر ١٢.٩٪ وبلغ في الريف ٦.٧٪.

وسجلت أعلى معدلات للبطالة في المحافظات الحضرية .. حيث بلغت ١٣.٦٪ يليها حضر الوجه القبلي بنسبة ١٢.٨٪ وسجلت أقل معدلات للبطالة في حضر محافظات الحدود وحيث بلغت ٥.٦٪ .. وأضاف أن نسبة المتعطلين من الشباب «١٥ - ٢٩ سنة» ٨٧.٢٪ حيث بلغ عدد المتعطلين «١٥ - ١٩ سنة»، ٣٨٣ ألفاً بينما بلغ عدد المتعطلين «٢٠ - ٢٤ سنة» مليون و١٦١ ألف متعطل.

وبلغ عدد المتعطلين الذين تتراوح أعمارهم «٢٥ - ٢٩ سنة» ٥٢٧ ألف متعطل، كما بلغت نسبة المتعطلين من حملة الشهادات المتوسطة وفوق المتوسطة والجامعية وما فوقها حوالي ٩٥٪ .. حيث بلغ عدد المتعطلين الحاصلين على مؤهلات متوسطة وفوق المتوسطة مليوناً و٣٥٧ ألف متعطل .. وبلغ عدد المتعطلين من حملة المؤهلات الجامعية وما فوقها ٨٩٨ ألف متعطل^(١).

هؤلاء العاطلين ومنهم مَن بلغ الثلاثين والأربعين من عمره، ومنهم مَن حصل على أعلى الشهادات الجامعية، ولا يزال يعيش على نفقة والديه، الأمر الذي أخرج كثيراً من الوالدين أمام الأبناء، بل وأخرج كثيراً من المسؤولين أمام الإحصائيات الدولية والمحلية على السواء، وعلى سبيل المثال ما نشرته معظم الصحف في مصر في يوم واحد^(٢)، عن الفقر وتأثيره على معيشة المصريين قالت منظمة الشفافية الدولية ومقرها برلين:

لا يخلو يوم من الأيام إلا ويطالعنا الإعلام، والعلماء المختصين ... بأخبار وأحداث عن الفقر في مصر، وما وصل إليه حال الفقراء والمحتاجين، وباعتراف المسؤولين المعنيين بحل هذه المشكلة وبتقارير المنظمات العالمية والمحلية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر «أن استطلاعاً أجراه الحزب الوطني في مصر على المواطنين عن أهم مشكلة في مصر كانت الإجابات كالتالي: «البطالة وتوفير فرص العمل وارتفاع الأسعار»^(٣).

(١) صحيفة الأخبار العدد (١٨٠٥٥)، صفحة ٢ بتاريخ ٢٨/٢/٢٠١٠م، وانظر بيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء (الكتاب الإحصائي السنوي ٢٠٠٩م) جدول رقم (٢/١٤) ص ٤٤، متوسط دخل الأسرة والفرد.

(٢) ومنها صحيفة الجمهورية والمصري اليوم والوفد في الصفحة الأولى بتاريخ يوم الأحد، الموافق ٢١/٣/٢٠١٠م، ففي المصري اليوم بالتاريخ المذكور العدد (٢١٠٧)، عن مواجهات ساخنة بين الحكومة والمعارضة بسبب بيانات جهاز المحاسبة عن الفقر في مصر، وعن ما نشرته منظمة الشفافية الدولية عن هذا الموضوع بشرح يطول ذكره.

(٣) صحيفة المصري اليوم العدد (١٨٧٦)، بتاريخ ٢/٨/٢٠٠٩م.

وعن تقرير التنمية البشرية الأخير، أوضح وجود ٦ قرى في محافظة دمياط وحدها من بين (١٠٠) مائة قرية الأفقر في مصر منها قرية تصل نسبة الفقر فيها إلى ١٠٠٪^(١).

«أفاد تقرير صادر عن الأمم المتحدة عن التنمية البشرية في مصر، أن أربعة عشر مليون مصري يعيشون تحت خط الفقر بينهم أربعة ملايين لا يجدون قوت يومهم حيث تم تصنيف مصر الدولة (١١١) بين دول العالم الأكثر فقرًا»^(٢).

وتقدر بعض الدراسات عدد المصريين الذين يعيشون في فقر مدقع بنسبة ٢٣٪ بينما لا تزيد نسبة الضمان الاجتماعي عن ١.١٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وإن اسقراء بعض الدراسات التي قام بها البنك الدولي تشير إلى أن ١٦.٧٪ من المواطنين يعيشون عند خط الفقر القومي الأدنى.

أي ما يعادل (١) واحد دولار أمريكي في اليوم، أي: أن ١٠.٧ مليون لا يستطيعون الحصول على احتياجاتهم الأساسية من الطعام وغيره وتوضح نفس الدراسة أن ٤٢٪ من المصريين أي: ٢٦.٩ مليون مصري يعيشون تحت خط الفقر القومي الأعلى [٢- دولار يوميًا]، ويتواكب مع مشكلة الفقر مأساة الجوع»^(٣).

وما بلغت مصر حدًا قياسيًا في الفقر بهذه النسب المخيفة والمتزايدة مثل ما وصلت إليه الآن، ولا أدري كيف يوفق المرء بين متطلبات الحياة الضرورية اليومية الملحة - وهو يقضي الساعات الطوال في طبور رغيف العيش - وبين ما تطالبه به الدولة من حب لها والتغني بأمجادها وبذل المهج في سبيل الدفاع عنها.

في معظم دول أوروبا تمنح إعانة مالية تكفل لكل مواطن الحياة الكريمة وزيادة، ففي إيطاليا مثلاً يعطي للمواطن (٢٥٠) يورو لمجرد حصوله على الجنسية وأن يكون متزوجًا^(٤).

(١) صحيفة العربي العدد (١١٦٩) صفحة ٧، بتاريخ ٢/٨/٢٠٠٩م.

(٢) بحث مقدم من السيد عبد الله السيد محمد إلى إدارة التعليم العالي - البرنامج التدريبي لصيف ٢٠٠٨م، رقم الكود (٢٣٨٧)، انظر كتاب د/ محمد عبدالحليم عمر/ أبحاث ندوة الفقر والفقراء في نظر الإسلام، ص ١٤ وما بعدها، ط مركز صالح كامل للاقتصاد جامعة الأزهر الأحد ٨/ رجب/ ١٤٢٠هـ - ١٧/ ١٠/ ١٩٩٩م.

(٣) أ.د على السلمي مصر المحروسة من تاني ص ٢١٥/ ٢١٦، ط مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ/ نوفمبر ٢٠٠٩م، بتصرف، وانظر كتاب الإسلام والضمان الاجتماعي ص ٢٣ وما بعدها للدكتور محمد شوقي الفنجري طبعة سنة ١٩٨٠م/ دار ثقيف للنشر والتأليف، المملكة العربية السعودية.

(٤) هذا ما أكدته لي أكثر من واحد ممن يعملون في أوروبا.

« إن هناك حاجة لقوانين تحكم تضارب المصالح، وإن الجهاز الحكومي في مصر مثقل بأعباء ثقافة التوظيف لتفادي معدلات البطالة، الأمر الذي جعل الدخول منخفض ... وشدد تقرير المنظمة العالمية وقال: بدون نظام جاد لتنظيم الأجور في تغطية نفقات المعيشة»^(١).

٢- تدني مستوى المعيشة وعدم توفر السلع الغذائية:

ويقول المستشار جودت الملط: «النمو الذي حققته الحكومة ٤.٢٪ لم ينعكس هذا النمو الاقتصادي على معيشة المصريين، وأن نسبة الفقر في مصر في ارتفاع من ٢٠٪ عام ٢٠٠٨م إلى ٢٣٪ عام ٢٠٠٩م، وأن مظاهر الفقر في الريف في مصر تصل إلى ٧٧٪ من إجمالي الفقراء، وأن مصر تحتل الترتيب ٨٢ من بين ١٣٥ دولة في العالم من حيث مستوى الفقر»^(٢).

ويطول الحديث عن شكاوي المواطنين لعدم توافر السلع الضرورية، وغلاء الأسعار؛ لأن الإنسان بشر لابد وأن يأكل ويشرب ويعيش في جو صحي مناسب للحياة الآدمية وهذا كله يحتاج إلى دخل مستمر يغطي تكاليف الحياة، فكيف يعيش من دخله جنيه واحد، واحتياجاته الضرورية لا تقل عن ثلاث جنيهات.

إن متوسط دخل الفرد في مصر لا يزيد عن دولارين واحتياجاته اليومية تزيد عن دولارين، وهناك من هو أفقر وأكثر احتياجاً وأقل دخلاً^(٣).

(١) المصدر السابق المصري اليوم بنفس التاريخ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر كتاب مصر المحروسة ص ٣٠ مرجع سابق، وكتاب الإصلاح الاقتصادي في مصر ص ٢٠ للدكتورة منى

قاسم، الناشر الدار المصرية اللبنانية للكتاب سنة ١٩٩٨م.

المطلب الثاني: عدم كفاية المساكن ورداءة مستواها:

العامل الثانى الذى لا بد منه حياة مستقرة تحفظ للإنسان كرامته وتستر عورته، وتقيه الحر والبرد، المسكن المناسب قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى خَمْسِينَ ۗ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقَ ظِلَالٍ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرِيرًا ۚ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرِيرًا تَقِيكُمْ بِأَسْكُنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ رَحْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٨٠، ٨١].

ذهبت إلى الأحياء الفقيرة في القاهرة والريف، ورأيت مظاهر الفقر بادية لكل ذي عينين، من العشوائيات ومساكن الطين اللبن والأكوخ البدائية التي يصعب على أصحابها اصلاحها أو سقفها بما يمنع عنهم المطر والبرد ... وهذه المنازل التي لا تصلح لسكنى الأدميين موجودة بأعداد كبيرة في الريف المصري ومعظمها لأيتام وعجزة يعيشون على الصدقات، والأعجب من هذا أن هناك من لا يملك هذا الكوخ؛ لأنه بني على أرض الأوقاف أو الدولة أو الشارع العام أو على ضفاف الترع ومشاريع الصرف الصحي أو في أملاك وزارة الري، والأعجب من هذا أن هؤلاء ليسوا في الريف فقط بل منهم من يسكن في محيط المدن الكبرى ففي القاهرة مثلاً أحياء بأكملها كحي منشأة ناصر والدويقة وعزبة الهجانة والهايكستب وغير ذلك كثير.

«وتعد محافظة الدقهلية ودمياط والقاهرة والشرقية والبحيرة وقنا وبني سويف وأسيوط من أعلى محافظات الجمهورية في عدد العشوائيات، ففي القاهرة وحدها ٦٨ منطقة عشوائية من إجمالي ٧٩ منطقة عشوائية»^(١).

أما عن مزاحمة الأحياء للأموات وسكنى المقابر، ذهبت أيضاً إلى مناطق القبور فوجدت أعداداً كبيرة تسكن القبور معظمهم لا يجد سكيناً، وبعضهم يعمل في تغسيل ودفن الموتى، ففي مقابر القاهرة الكبرى القديمة كمقابر البساتين ومقابر الغفير وغيرهما، وفي الريف - أيضاً - يعيش كثير من الأحياء مع الأموات.

(١) كتاب الديموجرافيا الأمنية (المفاهيم والأساليب) ص-١٣٣-، مرجع سابق.

«ومع ضخامة المشكلة وتكدس الطبقات الفقيرة في العشش أصبح سكن القبور نمطاً عادياً، ويضم قسم الخليفة أكبر تجمع لسكان المقابر، حيث تصل النسبة إلى ٤١٪ من إجمالي السكان، يليه قسم الجمالية، إذ تصل النسبة إلى ٤٨،٨٪، يليه الدرب الأحمر ١٣،٣٪، ويقدر عدد سكان المقابر في القاهرة وحدها بـ (١٠٠) ألف أسرة، أي: إن واحداً من كل عشرين فرداً من سكان القاهرة يسكن المقابر»^(١).

يقول الأستاذ/ أحمد عبد العزيز: «الأحياء يزاحمون الأموات في المقابر والفقراء يدفنون موتاهم في مقابر الصدقة، ففي المقابر - على مستوى الجمهورية - يسكن مع الأموات ١٢ مليون»، ويذكر الأستاذ/ أحمد شرحاً مفصلاً عن حال ساكني القبور وعن احتكار بيع المدافن والتحكم في دفن الموتى، ويعجب الأستاذ مجدي قرقر الأستاذ بمعهد التخطيط من الحالة التي وصل إليها الفقر في مصر، والتي جعلت الملايين يقيمون في القبور إقامة دائمة»^(٢)، ولا يخفى عن أحد ما لهذا الأمر من تأثير سلبي على القيم والأخلاق.

(١) الديموجرافيا الأمنية ص ١٣٣، مرجع سابق.

(٢) صحيفة صوت الأمة صفحة ٤ بتاريخ ٣١/١٠/٢٠٠٩ م.

المطلب الثالث: البنية الأساسية ومستوى الخدمات:

أولاً: الخدمات الصحية:

يكفي لتأكيد هذه الحقيقة أن ينظر المرء إلى الشوارع والمستشفيات في القاهرة وضواحيها وفي الأقاليم والأرياف.

ومع أنه حدث تحسن بعض الشيء إلا إن الواقع يؤكد أن ما تم إنجازه في هذا المجال أقل بكثير مما يحتاجه الشعب، فهناك دراسة حديثة أعدها الدكتور/ رضا حجاج الأستاذ بكلية التخطيط الإقليمي والعمراني في جامعة القاهرة: «كشفت عن حرمان ٩٧٪ من سكان مصر من الصرف الصحي الحقيقي واعتماد ٤٠ مليوناً على صرف تقليدي كما في القرى والنجوع والمناطق الشعبية و ١٢ مليون مواطن يعيشون بلا مراحيض منزلية، وأن في مصر ٤٥٠٠ قرية منها ٣٧٠ بها مبادئ صرف صحي ممول من جهات أجنبية»^(١).

مع «أن الدولة مسئولة عن توفير الخدمات والمقومات الحيوية التي تهيم جودة رأس المال البشري - وهو الرأس مال الحقيقي للمجتمع - : التغذية الأساسية، والخدمات الصحية ، والمعلومات والمقومات للصحة الإنجابية السليمة، وخدمات الصرف الصحي لا تصل إلا إلى ٥٠٪ فقط»^(٢).

وما يقال عن خدمات الصرف الصحي يقال عن خدمات العلاج، ولنا أن نقارن بين المستشفيات العامة وبين العيادات الخاصة التي لا يقدر على كلفة العلاج بها إلا الأغنياء.

وانظر إلى معاملة المرضى هنا ومعاملتهم هناك، الأمر الذي جعل الأصوات ترتفع بمطالبة الدولة بتعديل قانون العلاج على نفقتها، وأن تعقد جلسة ساخنة في مجلس الشعب لمناقشة قرارات العلاج وينشر تفاصيل ذلك في الجرائد الرسمية، ففي أخبار اليوم تأييد بالإجماع في مجلس الشعب للتحري عن قرارات العلاج على نفقة الدولة^(٣).

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة والتاريخ والناشر.

(٢) مصر المحروسة من تانى ص٢١٥ بتصرف مرجع سابق.

(٣) صحيفة الأخبار يوم ٢٨/٢/٢٠١٠م الصفحة (٥)، العدد (١٨٠٥٥)، نقل وتابع المناقشات كل من/ محمد عبد الحافظ،

وأحمد عبد الحفيظ، وأحمد أبو زيد.

لقد أثبت الأطباء أن الهموم المعيشية وسوء التغذية توهن الجسد والعقل، وتأتي بالأمراض الخطيرة كالأنيميا وضعف جهاز المناعة وهشاشة العظام عند الحوامل بسبب نقص الكالسيوم، وتأخر النمو الطبيعي للأطفال وشحوب واصفرار في الوجه وأمراض أخرى ليس هنا مجال عدّها^(١). والإنسان ليس ملكاً يستمد طاقته وقوته من ذكر الله فقط بل هو إنسان يتكون من جسد وروح، ولكل منهما غذاء ودواء لا بدّ منهما معاً، وبنسبة كافية، وإلا أصيب الإنسان بالمرض وأثر ذلك على صحته ومظهره وعلاقته بمن حوله في مجتمعه الذي يعيش فيه.

يقول رسول الله ﷺ «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٢)، ولا يجب أن يرى أثر الفقر والفاقة سيما وقد ملأ الله البلاد بكثير من الخيرات، والإسلام يعلم أن الإنسان له احتياجات لا بدّ منها، وإلا انعكس ذلك سلباً على سلوكه ومظهره، وعلى صحته وعقله وعلى دينه وخلقه.

كيف يعيش المرء بدون علاج وبدون مياه صالحة للشرب وبدون مأوى يليق بآدميته؟
ثانياً: مجالات التعليم والمواصلات:

وما يقال عن المستشفيات العامة يقال: أيضاً عن المدارس العامة، والواقع الميداني يؤكد ضعف أداء هذه المؤسسات وافتقارها للكفاءات، والمعدات، والوسائل التعليمية اللازمة، والمواصلات، وما ينشر حول ذلك يطول ذكره وحصره، وعلى سبيل المثال: انظر إلى المواصلات العامة وإلى حال ازدحام الناس حولها، وإلى ما يحدث بداخلها حيث لا رحمة لصغير ولا وقار لكبير ولا حرمة لامرأة إلا في القليل النادر، ناهيك بالحوادث التي تنجم عن ذلك الازدحام، كل ذلك بسبب سوء الخدمات وانهايار البنية الأساسية في المجتمع بشقيها المادي، والأخلاقي.

(١) انظر كتاب أمراض الفقر ص ٤٣ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) رواه الترمذي عن ابن مسعود الجامع الصحيح ج ٥ ص ١٢٣، ط دار النشر ودار إحياء التراث العربي بيروت برقم

(٢٨١٩) وقال حديث حسن، وانظر كتاب صحيح وضعيف الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط دار

النشر المكتب الإسلامي برقم (١٧١١) وقال حديث حسن صحيح.

تلاميذ معهد الأزهرى بسياء يتلقون دروسهم داخل مخزن سلع تموينية .. ومسئول: «لا توجد ميزانية لإنشاء معهد».

جنوب سيناء - أيمن أبو زيد:

يتلقى أكثر من ٢٠٠ تلميذ بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية بمعهد الجليل الأزهرى بطور سيناء دروسهم داخل مخزن للسلع التموينية أشبه بسجن إذ لا تزيد مساحته على ٥٠ مترًا، ومساحات الفصل الدراسي ٦ أمتار فقط، ويفتقد التهوية الصحية ولا يوجد ملعب أو حوش صغير أو حجرات أنشطة، أو حتى دورات مياه سواء للمدرسين أو التلاميذ، كما يقضي التلاميذ الفسحة في الشوارع الجانبية، للمعهد مما يعرضهم للخطر والحوادث، كما يعرضهم ضيق الفصول للأمراض المعدية.

من جانبه، قال الشيخ أحمد عابدين، مدير منطقة الأزهر بجنوب سيناء، إنه تقرر تقسيم تلاميذ معهد الجليل الأزهرى على فترتين لحل مشكلة ضيق المكان وكثافة التلاميذ الكبيرة، مشيرًا إلى أن المكان مستأجر من المحافظة، وأوضح أنه لا توجد ميزانية لإنشاء معهد الأزهرى رغم أن الأرض مخصصة منذ سنوات طويلة وتم إنشاء سور حولها^(١).

وعن الطريق انظر إلى فوضى الشوارع؛ لا نظام ولا انضباط ولا التزام بقواعد المرور ولا احترام لدين أو عرف أو قانون ... تحولت الشوارع إلى ما يشبه العشوائية، الباعة الجائلون والقابعون على الأرصفة وقد احتلوها وترى وتسمع ما لا يسر من مفردات الكلمات الهابطة والألفاظ النابية.

وخلاصة هذا الفصل:

أن مظاهر الفقر في المجتمع المصري كثيرة جدًا ومتنوعة، وأنها بادية وظاهرة للعيان، في الشوارع والميادين العامة والمدارس والمواصلات والمنازل العشوائية وقلة مستوى الدخل والعلم والخلق والصحة العامة، وأن الأحداث اليومية وما ينشر عن الحوادث يؤكد ذلك.

(١) صحيفة المصري اليوم الصفحة (٥)، العدد (١٩٥١) بتاريخ ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٩ م.

الفصل الثالث

أسباب الفقر في المجتمع المصري.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسباب الخارجية:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رغبة الدول الكبرى في إبقاء مصر دولة فقيرة من أجل الضغط عليها.

المطلب الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية الغير متكافئة.

المطلب الثالث: تصدير التكنولوجيا الاستهلاكية لنا، وتسهيل حصولنا عليها.

المطلب الرابع: الإعانات المشروطة والتي تصب في خدمة المانح لها.

المبحث الثاني: الأسباب الداخلية:

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: عدم دراسة المشكلة بالقدر الكافي.

المطلب الثاني: الاعتماد شبه التام على الاستيراد لسد حاجات المجتمع.

المطلب الثالث: وجود العقبات أمام المشاريع الإنتاجية.

المطلب الرابع: عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل.

المطلب الخامس: الانشغال عن الانتاج بوسائل غير جادة ونافعة.

المطلب السادس: الإسراف والتبذير.

المطلب السابع: الفساد المالي والإداري وغياب الرقابة الرادعة.

المبحث الأول

الأسباب الخارجية:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رغبة الدول الكبرى في إبقاء مصر دولة فقيرة.

المطلب الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية الغير متكافئة.

المطلب الثالث: تصدير التكنولوجيا الاستهلاكية لنا، وتسهيل حصولنا عليها.

المطلب الرابع: الإعانات المشروطة والتي تصب في خدمة المانح لها .

المطلب الأول: رغبة الدول الكبرى في إبقاء مصر دولة فقيرة:

استخدم الاستعمار بجانب الغزو العسكري لبلاد المسلمين الغزو الفكري، وتنوع هذا الغزو وتعددت وسائله، وإن كان الهدف واحدًا وهو السيطرة على بلاد العالم الإسلامي ونهب ثرواته والحيلولة دون قيام نهضة حتى يبقى ضعيفًا تابعًا محتاجًا له على الدوام، «وقد تركزت أهداف هذا الغزو أخيرًا في خلق التخاذل الروحي وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية»^(١)، ومعلوم أن مصر هي من أوائل الدول الإسلامية - إن لم تكن أول الدول - التي يعمل لها ألف حساب، لاسيما الدول الكبرى التي تعرف جيدًا تاريخ مصر ورغبة المخلصين من أبنائها في النهوض بها لتنبوء مكانتها التي كانت عليها^(٢). وإليك بعضًا من الأدلة لتأكيد هذه الحقيقة:

١- إضعاف المعنويات وبث روح الهزيمة وإشاعة الخيالات والغرائب عن قدرة المحتل التي هي أشبه بالمعجزات والتي لا تقاوم أو تضاهيها.... إلخ.

يقول الأمير شكيب أرسلان: «من أعظم أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير فقدهم كل الثقة بأنفسهم، كيف يرجو الشفاء عليل يعتقد - بحق أو بباطل - أن علته قاتله، أصبح المسلمون في الأعصر الأخيرة يعتقدون أنه ما من صراع بين المسلم والأوربي إلا وينتهي بمصرع المسلم ولو طال كفاحه، وقر ذلك في نفوسهم و تخمر في رءوسهم، لاسيما الطبقة التي تزعم أنها الطبقة المفكرة، مازالت تنفخ في بوق التشبيط وتبث في سواد الأمة دعاية العجز، بل زعمت أن مجارة الفرنجة في علم أو صناعة أو زراعة أو حرب هو ضرب من المحال، و كان الفرنجة من طينة والمسلمين من طينة أخرى، وقد أحسن الأوربيون بما عند المسلمين من هذه الحالة التي توافق أهدافهم فصاروا يروجونها فيهم»^(٣).

(١) الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٣٠، وكذلك كتاب ثقوب في الضمير ص ٧٦، مرجع سابق، وكتاب الحقيقة والوهم في الواقع المصري ص ٤٥، وما بعدها، د / رشدي سعيد، ط دار الهلال سنة ٢٠٠٢ م.

(٢) انظر كتاب مصر والدائرة المتوسطة الواقع والمستقبل حتى عام ٢٠٢٠ / د. سمعان بطرس فرج الله، أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، ص ٢٨ وما بعدها، ط دار الشروق ٢٠٠٢.

(٣) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ص ١٤٢: ١٤١ بتصرف، مرجع سابق.

والغزو الفكري المنظم والممول إذا طال مكثه في البلاد لاشك أنه مؤثر على العزائم والإرادات ويبحث على الخمول والكسل وهذا كله قد وقع في مصر.

والحق أن هذه الروح الانهزامية هي سبب في كثير من المشاكل الاقتصادية والإنتاجية، ترى معظم المشاريع الكبرى بدءاً من السد العالي والصناعات الحربية، وانتهاءً بمترو الأنفاق قامت ولا زالت تسير وتدار بمعرفة الخواجات - من قريب أو بعيد - وقل مثل ذلك في أشياء كثيرة كالطاقة الذرية التي لاتزال مصر لا تساوي إيران أو حتى إسرائيل التي ولدت عام ١٩٤٨م، وربما تساق المبررات والحجج، لكن الذي لا أجد له مبرراً هو ما يتعلق بمقومات الحياة كالزراعة والدواء، والسلاح مع القدرة على ذلك.

وكما قال القائل:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام^(١)

٢ - تعطيل المشاريع القومية الكبرى

إما بإجهاضها في مهدها، وإما بعرقلة نموها وإضعاف عطائها، وإما بتقنينها وفرض الوصاية عليها.

يسأل الدكتور علي السلمي ويقول: لماذا تجمد المشروع القومي لتنمية سيناء؟ وقد كتب جمال حمدان في كتابه سيناء من الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا: «إن سيناء ليست مجرد صندوق من الرمال، إنما هي صندوق من الذهب مجازاً كما هي حقيقة، استراتيجياً كما هي اقتصادياً لقد تحررت سيناء سنة ١٩٧٣م.

وعادت طابا سنة ١٩٨٢م، كما قامت وزارة التعمير بوضع خطة لتعمير سيناء تشمل عمل امتداد لترعة الإسماعيلية يتحقق عنه زراعة ٤٠٠ ألف فدان واستقطاب ثلاثة ملايين مصري للحياة في سيناء بحلول عام ٢٠١٧م ولكن ها نحن بعد أربعة عشر عاماً ونراه وقد تباطأ تنفيذه بشكل ملحوظ»^(٢).

(١) ديوان المتنبي (١/ ١٦٣) دارالمعرفة بيروت، تحقيق/ مصطفى السقا وآخرون.

(٢) د/ علي السلمي / كتاب مصر المحروسة ص ٣٩٦ بتصرف، مرجع سابق.

وقل مثل ذلك في مشاريع كثيرة قامت ونهضت ثم هوت وتلاشت أو ضعفت وما عادت تعطي بالقدر المرجو منها، كمشروع توشكى، وشرق العوينات.

يقول علماء التاريخ: «في أوائل القرن التاسع عشر وبرز قوة محمد علي باشا في مصر، حدث رد فعل عنيف بين إنجلترا وفرنسا وروسيا في مؤتمر لندن لضرب القوات المصرية التي كانت تمثل طليعة القوة العربية، والمعبرة عن قوة مصر التي بدأت تتحول من كيان قطري إلى كيان قومي مع الشام والحجاز وغيرهما»^(١).

والأدلة على تورط هذه الدول الكبرى في المؤامرة على مصر أكثر من أن تحصى، وليس آخرها إسقاط الطائرة التي تقل عشرات العلماء والعسكريين في المحيط ولا تدخل صندوق النقد الدولي ولا الخصخصة، ولا التلويح بالعقوبات وزرع الفتن والكلام في مثل ذلك يطول^(٢).

(١) حاضِر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، الدكتور السعيد رزق فرج/ أستاذ قسم التاريخ جامعة الأزهر، والدكتور محمد المنسي عاصي/ أستاذ قسم التاريخ جامعة الأزهر، ص ٢٨ مكتبة وصفي سنة ١٤٠٨: ١٩٨٧ م.

(٢) انظر ثقب في الضمير ص ٦٨، مرجع سابق، وكتاب حاضِر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة ص ٣٠، ٣١ مرجع سابق.

المطلب الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية غير المتكافئة:

الاستعمار الغربي ماضٍ في مخططاته على قدم وساق، لا يكل ولا يمل، يسن القوانين التي يريد، ويطبقها على من يحب، وله من التأثير على المنظمات الدولية كمجلس الأمن، ومنظمة الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات التي تعمل لصالح الدول الكبرى.

ناهيك بما يسمى بـ «حق الفيتو» وامتلاك وسائل الضغط المادية والمعنوية وأخيراً النظام العالمي الجديد «العولمة»^(١).

يقول الدكتور كمال مصطفى تحت عنوان اتفاق الأقوياء: «ورغم تصارع النظامين نظام سيطرة رأس المال على الحكم، ونظام سيطرة الحكم على رأس المال و رغم اختلافهما إلا أنهما يتفقان في مواجهة إخراج دول العالم الثالث من حالة التخلف والمعاناة في حدود تجعل الضعيف ضعيفاً وتبقي القوي قوياً، يعرف اللصوص كل شيء عن بلادنا ومقدرتنا.

عن الشركات عابرة القارات غول قادم من الغرب يلبس رداء الحمل، أفلا يستيقظ المسلمون للاستفادة بما في أيدي خصومهم من تقدم مادي ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: ٢٤]، أليس في هذا القرآن: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: ٢].

لكن يبدو أن الصغار لا يفهمون البر والتقوى إلا في حدود الصدقات والحسنات التي تعطى للشحاذين^(٢)، كما تم نقل شركات مصر للتجارة الخارجية، ومصر للاستيراد والتصدير، ومصر لتجارة السيارات، والنصر للتصدير والاستيراد، والتجارة للأخشاب، إلى الشركة القابضة للنقل البحري والبري، ومرة أخرى ما علاقة شركة النقل البحري والبري بشركات التجارة الخارجية؟ اللهم إلا كونها تستخدم سفنها في نقل البضائع المستوردة^(٣).

إن تعاليم صندوق النقد الدولي والاتفاقيات الاقتصادية بين مصر والدول الكبرى جعلت كثيراً من المراقبين والمتخصصين يقلق من الوضع الذي وصلت إليه مصر^(٤).

(١) انظر كتاب ماذا أعدت مصر لنفسها ص ٢٥ وما بعدها، ط دار الاعتصام سنة ١٩٩٦م، د/ عبد الصبور شاهين، إعداد عبد الله المهدي، وكتاب الاستقلال الحضاري د/ محمد عمارة ص ٩ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) كتاب منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين ص ١٩ وما بعدها، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م د/ كمال مصطفى محمد - رحمه الله - المدرس السابق بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

(٣) مصر المحروسة من تاني ص ٦٨: ٦٩ مرجع سابق.

(٤) انظر كتاب مصر والدائرة المتوسطة الواقع والمستقبل، ص ٢٨ وما بعدها، مرجع سابق.

أنت الآن ترى المنتجات الصينية وقد غزت الأسواق المصرية وهجمت على الناس في عقر دارهم، فأبناء وبنات الصين يجوبون الشوارع والميادين، ويذهبون إلى القرى والنجوع، ويدخلون البيوت، ويبيعون بأسعار تغري الكثيرين من المصريين، وقُلْ مثل ذلك في اتفاقيات كثيرة والنتيجة إضعاف مصر واقتصادها للهيمنة عليها.

إن « في الواقع المصري الحزين، يشهد المصريون تصاعد التحديات الخارجية وتضائل الدور المصري في مواجهة القوى الإسرائيلية المتزايدة، والسيطرة في المنطقة بالكامل مع السياسة الأمريكية الساعية إلى تأكيد السيطرة على ثروات ومقدرات المنطقة، كما يشهدون مصر المحروسة تستجدي الشقيقات العربيات وتحصل على مليون طن قمح منحة من رئيس دولة الإمارات !!! »^(١).

ولعل من أكبر الأدلة على ذلك، عجز مصر عن منع الغزاة المعتدين من عبور قناة السويس أثناء حربهم على العراق، مع أنها أعلنت عن رفضها للحرب ونددت به ولم تشارك فيه، إلا أن هناك اتفاقيات، وكذلك الحال مع إسرائيل وتصدير الغاز المصري لها وحصار غزة، وتدخل الدول الكبرى في سياسة مصر وخصوصاً أمريكا^(٢).

« حيث بدأ الأمر وكأن الولايات المتحدة تخطط بشكل قصدي لعزل مصر عن العالم العربي وعن مشاكله، مثل الحرب الأهلية في لبنان، وحرب العراق وإيران، ... كذلك ارتبطت الولايات المتحدة بالانهيار الاقتصادي المستمر والمتزايد في مصر »^(٣).

إن ما حدث لمصر عام ١٩٤٨ م، وعام ١٩٦٨ م وضعف التعاون العربي - لاسيما التعاون العسكري والمادي - جعل مصر تعمل ألف حساب وحساب للاتفاقيات الدولية التي وقعت عليها، خصوصاً ما يتعلق بالسياسة الخارجية والإنتاج المحلي^(٤).

(١) مصر المحروسة من تانى ص ٤١ مرجع سابق.

(٢) كتاب مصر المحروسة ص ٤١٧، وما بعدها، وص ٤٤٧ مرجع سابق، وكتاب رسالتي إلى الأمة د/ زغلول النجار، أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والأجنبية ص ٤٩٨ إلى ٥٠٠، ط نهضة مصر سنة ٢٠٠٩ م الطبعة الأولى، وصحيفة المصري اليوم ص ٩ بتاريخ ١٦/٥/٢٠١٠، تحت عنوان: وزير البترول: تصدير الغاز لإسرائيل تمّ بناءً على معاهدة كامب ديفيد، وهذا الذي ذكره الوزير غير صحيح يقول الدكتور/ جلال أمين في كتاب مصر والمصريون في عهد مبارك، ط دار الشروق سنة ٢٠١١ م ص ٤٥: (....) ففي عام ١٩٩٩ م تم تأسيس شركة شرق المتوسط للغاز بالمشاركة مع رجل أعمال إسرائيلي، واتفقت تلك الشركة مع غسرائيل على تصدير ١٢٠ مليار متر مكعب غازاً طبيعياً لإسرائيل).

(٣) ثقبوب في الضمير ص ٦٨ مرجع سابق.

(٤) للمزيد انظر كتاب الإصلاح الاقتصادي في مصر ص ٢١، ٢٠، د/ منى قاسم مدير مركز البحوث الاقتصادية ط

المطلب الثالث: تصدير التكنولوجيا الاستهلاكية لنا، وتسهيل حصولنا عليها:

الإنسان لا يستغني عن الطعام والشراب والدواء والسكن وقد يستغني عن الترفيه والكماليات والمتع الزائدة عن الحاجة الضرورية، لذا يجب الاهتمام أولاً بما يسمى (بالأساسيات أو الأمن الغذائي)، وجعل ذلك على رأس الأولويات التي تسعى الأمة في إصلاحها، ثم إذا ما استغنت الأمة بإنتاجها لهذه المواد الضرورية، وحصلت على الاكتفاء الذاتي جاز لها أن تفكر في الكماليات والترفيه - ومع الأسف - لا يراعى هذا الأمر منذ خمسين سنة، مما أدى إلى تفاقم مشكلة الفقر والجوع، والدول الغربية تعلم أن مصر قابلة للاستثمار، وأن أبناءها جادين في تنمية بلادهم - لو أتيحت لهم الفرصة لذلك - لذا فهي تستثمر في مصر ما هو خاضع للاستهلاك اليومي ولا يخدم عملية التنمية، وإليك هذا المثال:

«بروكتر أند جامبل» تضخ ١٨ مليار جنيه في السوق المحلية..

محمد سلطان: مليار جنيه لمصنع جديد للحفظات والمبالغ الأخرى لتوسيع نشاط المنظفات. قررت مجموعة «بروكتر أند جامبل - مصر» ضخ نحو ١٨ مليار جنيه في السوق المحلية خلال السنوات العشر المقبلة، منها مليار جنيه لإقامة مصنع جديد للحفظات في العام ٢٠١٢. وقال محمد سلطان: مدير المجموعة في مصر والشرق الأدنى في تصريح خاص لـ «المصري اليوم»: إن المصنع سيقام في مدينة السادس من أكتوبر على مساحة ٢٥٠ ألف متر مربع، مشيراً إلى أنه سيتم ضخ ٨٠٠ مليون أخرى في تطوير وتوسعة مصنع المجموعة القائم حالياً والمتخصص في المنظفات بشكل رئيس.

وتقدر استثمارات الشركة العالمية في مصر حالياً بنحو ١٨ مليار جنيه خلال مصنعها في السادس من أكتوبر.

كانت الشركة الأم قد أغلقت مصانعها في كينيا ولبنان واليمن لضعف الجدوى الاقتصادية، إلا إنها ما زالت تعتبر مصر مناخاً مشجعاً على الاستثمار.

وأشار سلطان إلى أن المجموعة الأم، قررت ضخ هذه الاستثمارات في السوق المحلية بالنظر إلى الموقع الجغرافي وانخفاض التكلفة، وارتفاع نمو الطلب المحلي على حفظات الأطفال^(١).

الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٨م، والاستقلال الحضاري ص١٤٧، ١٤٨ مرجع سابق، وانظر كتاب ماذا حدث للمصريين ص٦٨ وما بعدها، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٩م، د/ جلال أمين.

(١) صحيفة المصري اليوم ص٩، يوم ١٦ / ٥ / ٢٠١٠م.

يقول الدكتور جلال أمين تحت عنوان مصر و حضارة السوق منذ نحو خمسين عامًا كتب الأستاذ كاربولاني المؤرخ الاقتصادي و أستاذ علم الاجتماع الشهير كتابًا مهمًا ذاع صيته / عنوانه «الانقلاب الكبير» وكان يقصد بالانقلاب تحولًا معيّنًا حدث في أوروبا هذا الانقلاب هو (نظام السوق) يقوم هذا النظام على تكثير وبيع جميع الأشياء مقابل كميات من النقود، هذا النظام يتسارع معدل انتشاره كانتشار النار في الهشيم، ففي كل يوم يتدع نظام السوق منتجًا أو خدمة جديدة لم تكن من قبل تخضع للبيع والشراء بحيث تزيد تكلفتها كلما زاد الاستهلاك منها كخدمة الاتصال التلفوني، هذا الحل العبقري الذي تفتق عنه ذهن المنتجين، والبائعين الباحثين عن أقصى ربح.

أحد الأمثلة الصارخة لذلك ما حدث من تحويل الحاجة إلى مياه الشرب إلى الحاجة إلى المشروبات الغازية حتى يستقر في الذهن أن هذه المياه الغازية هي الطريقة لري الظمّاء فيتذكرها المرء بمجرد الشعور بالعطش بدلًا من أن يتذكر الماء الطبيعي وقل مثل ذلك في بنطلونات الجينز، والموضه وذلك لاصطياد المستهلك وإجباره على الشراء»^(١).

ومعلوم أن شركات الكوكاكولا، ولعب الأطفال، والمأكولات السريعة، ودور الأزياء العالمية، والمحمول والمجلات الهابطة وغيرها جاء لنا من الخارج، ناهيك عن التفنن في اصطياد الشباب بالإدمان وتوفير أنواع و أنواع من المخدرات وتيسير الحصول عليها في حين أن السلع الخدمية المهمة لا تصدر إلينا إلا بأضعاف سعرها الحقيقي، ناهيك عن دور الإعلام في الترويج لهذه السلع الاستهلاكية.

والحقيقة «أنه احتلت قيمة التسلية والابتياح المرتبة الأولى يليها الحاجة للطعام والشراب، ثم التملك والنظافة، ويعتبر الاهتمام بهذه القيم دليلًا على أن الرسالة الإعلامية، تسعى إلى تشجيع سلوكيات وقيم غير مطلوبة، باعتبار أنها قيم استهلاكية، وإسراف فيما يضر بالمجتمع»^(٢).

ويكفي أن تقارن بين سعر آلة تصوير حديثة وسعر تلفزيون حديث، وبين ثمن وسائل اللهو وأدوات الطرب والمجلات الهابطة، وبين ثمن وسائل الإنتاج والكتاب المفيد ستري الفرق واضحًا.

(١) ماذا حدث للمصريين ص ١٧٨-١٧٩ مرجع سابق.

(٢) د/ محمود عبد العاطي مسلم: القيم التي تعكسها الإعلانات في التلفزيون المصري، ص ١٩٧، ط مركز صالح

كامل (مؤتمر القيم) الفترة ٨/ ١٢/ ١٩٩٩، وحتى ٦/ ١/ ٢٠٠٠.

المطلب الرابع: الإعانات المشروطة والتي تصب في خدمة المانع:

تحت عنوان: ليس بالدعم وحده يحيا المصريون كتب الدكتور علي السلمي يقول: «لقد بلغ حجم المعونات الاقتصادية التي تتلقاها مصر من هيئة المعونة الأمريكية فقط خلال الفترة من ١٩٧٥م حتى ٢٠٠٧ ما يزيد عن ٢٥ مليار دولار أمريكي بخلاف ١٣ مليار دولارًا سنويًا معونة عسكرية.

والسؤال الذي يطرح نفسه: أين ذهبت تلك المليارات؟ وماذا حققت للمواطن المصري؟ في مقال نشرته مجلة (كريستال ساينس مونيتور) بتاريخ ١٢ من أبريل ٢٠٠٤م كتب «تشارلز ليفنسون» يقول: إن الأموال التي تقدمها المعونة الأمريكية لمصر- ينظر إليها على أنها مساعدة على تحقيق الاستقرار، ودعم سياسات الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وتمكين المرور الأمريكي عبر قناة السويس، واستمرار السلام مع إسرائيل.

ثم يقول الكاتب: «إن المعونة توفر سبيلًا سهلاً لمصر كي تتفادى الإصلاح وأنهم - أي المصريين - يستخدمون أموال المعونة لدعم برامج متقدمة ومقاومة الإصلاح»، ويواصل الكاتب نقل كلمات السفير الأمريكي فيقول: «إنه بدلاً من أن تكون المعونة سبيلًا للمساعدة فهي تحبط الرغبة في الإصلاح»^(١).

فالمعونات تتدفق على مصر ليس من أمريكا فقط، بل ومن غيرها ومع ذلك لم نرَ مشروعًا كبيرًا مثمرًا يستوعب العاطلين عن العمل، ويعود على مصر وأبنائها بالخير.

ثم يقول: «الفقر المز وضروراته وما يترتب عليه من الالتجاء إلى طلب المنح والمساعدات من الخارج، وما يمثله من ذلك من إهدار للكرامة الوطنية وتأثير على حرية القرار الوطني، فإلى جانب أمريكا أكبر مانح للمساعدات لمصر.

تحصل حكومتنا على مساعدات من ألمانيا، وكندا، وفرنسا وإيطاليا، والنمسا، وهولندا، وأسبانيا، وفرنلندا، والدنمارك، وسويسرا، وصندوق النقد الدولي، والاتحاد الأوروبي وبرنامج الأمم المتحدة اليونيسيف وبرنامج الغذاء العالمي وغيرهم»^(٢).

(١) مصر المحروسة ص ٢٣٠ - ٢٣١، مرجع سابق، نقلًا عن (إدوارد والكر) السفير الأمريكي في مصر من ١٩٩٤ حتى ١٩٩٨م.

(٢) مصر المحروسة ص ٢١٩، مرجع سابق.

والحقيقة «أن هذه الأموال التي تدفقت على مصر (المعونات الأجنبية)، كانت ضعيفة الصلة جداً ببذل جهد حقيقي في الإنتاج، وهذا واضح لا يحتاج إلى دليل، بل لعل العلاقة بينها وبين الإنتاج، علاقة عكسية»^(١)؛ لأنها كانت بمثابة الإسعافات السريعة والمخدرة أو المنومة للشعب لا هو يستفيد من هذه الإعانات في بناء المستقبل إيماناً بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ إِلَيْكُمْ رَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^[١] سورة التوبة آية: ١٠٥، ولا هو آخذ بالمثل الصيني الذي يقول: «لا تعطني سمكة أسدُّ بها رمقي ولكن أعطني شبكة وعلمني كيف أصطاد»^(٢).

«ارتبطت الولايات المتحدة بالانهيار الاقتصادي المستمر والمتزايد في مصر والذي انعكس في تقديم مساعدات اقتصادية لا يتم بها دعم أي تنمية اقتصادية حقيقية في مجال الصناعة والزراعة، وأصبح في مصر سوق للمنتجات الأمريكية جاهزة الإنتاج مما أدى إلى مزيد من الضعف الاقتصادي والسياسي لمصر»^(٣).

وهذا يؤكد أن هؤلاء القوم لا يعطون مصر هذه الإعانة لوجه الله الكريم، إنهم يعطون هذه الإعانات بحسابات دقيقة ولأهداف باتت معروفة لا ينكرها إلا مكابر وإن أعطوا بيد أخذوا بالأخرى أضعاف ما أعطوا.

إن هذه الإعانات يحدد مسارها سلفاً ومعظمها ينفق - وفق شروط محددة - كوسائل منع الحمل في حدود تضمن بقاء التفوق لإسرائيل وبقاء الفقر والحاجة والتبعية والانقياد للدول المانحة^(٤).

الخلاصة:

١ - أن الدول الكبرى (المهيمنة على السياسة والاقتصاد) ماضية في مخططاتها على قدم وساق تهدف إلى إضعاف الدول النامية ومنها مصر.

٢ - تتخذ هذه الدول وسائل خطيرة للوصول إلى ما تصبوا إليه، لتصبح الدول الفقيرة سوقاً استهلاكية، فتعتمد على الاستيراد والإعانات، ولا تفكر في الإنتاج أو العمل.

وهذا من أخطر أسباب الفقر.

(١) ماذا حدث للمصريين ص ٥٩، مرجع سابق.

(٢) انظر ص ٣٢٩ منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين، د/ كمال مصطفى، مرجع سابق.

(٣) ثقب في الضمير ص ٦٧: ٦٨، مرجع سابق.

(٤) انظر كتاب مصر المحروسة ص ٢٣٠ وما بعدها، ص ٤١٤، مرجع سابق.

المبحث الثاني

المبحث الثالث: الأسباب الداخلية:

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: عدم دراسة المشكلة بالقدر الكافي.

المطلب الثاني: الاعتماد شبه التام على الاستيراد .

المطلب الثالث: وجود العقبات أمام المشاريع الإنتاجية.

المطلب الرابع: عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل.

المطلب الخامس: الانشغال عن الإنتاج بوسائل غير جادة ونافعة.

المطلب السادس: الإسراف، والتبذير.

المطلب السابع: الفساد المالي، والإداري وغياب الرقابة الرادعة.

المطلب الأول: عدم دراسة المشكلة بالقدر الكافي:

ظهرت مشكلة الفقر في مصر - على الراجح - في منتصف القرن الماضي سنة ١٩٥٠م، عندما هيئت الدولة المصرية الاقتصاد المصري للاندماج في الاقتصاد العالمي، منذ هذا الحين والفقر يسلك طريقه إلى الأمة المصرية، ومع أنه ظل موجوداً وظاهراً في الخمسينيات والستينات والسبعينات؛ إلا أنه لم يصل إلى حد المشكلة إلا في العشرين سنة الأخيرة منذ ١٩٩٠م وإلى الآن «بمجرد أن تراجع دور الدولة المصرية عن إدارة الاقتصاد عندما انصاعت للطغوط الأنجلو غربية وقبلت معاهدة لندن، بدأ رأس المال الأجنبي في التدفق على مصر والقيام بالدور الذي كانت تقوم به الدولة في إدارة الاقتصاد وتوجيهه في غياب البديل الوطني، وقد قدمت الامتيازات الأجنبية والنظام القضائي القنصلي، ثم المحاكم المختلطة والمظلة القانونية التي تحمي رأس المال الأجنبي في السوق المصري، ولهذا نجح رأس المال الأجنبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في نصب شباك التبعية حول مصر»^(١).

وهذا بالطبع أدى إلى ضعف الإنتاج، وانخفاض المشاريع اللازمة لتغذية سوق العمل بما يناسب ظروف مصر.

تقول الدكتورة منى قاسم: «أما بالنسبة لمصر فإن سكانها يدرجون في جداول البنك الدولي ضمن فئة الدول المنخفضة الدخل (متوسط دخل الفرد السنوي ٦٦ دولاراً)، مما يعني ضعف القدرة الشرائية داخل المجتمع وضعف فرص اتساع السوق المصرية، وقدرته على استيعاب منتجاته، وما يحصل عليه السكان من داخل مصر يكاد يكفيهم بالكاد تكاليف المعيشة الأساسية (الطعام، والشراب، والسكن، وتعليم الأولاد في المدارس الحكومية)، فضعف القدرة الشرائية داخل المجتمع المصري سيضعف الفرصة أمام اتساع السوق وأمام الصناعات الجديدة، وبالتالي انخفاض تكاليف الإنتاج وتحقيق الربحية»^(٢).

(١) كتاب المجتمع المصري ص ٢٧٣، ٢٧٤، تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب جامعة القاهرة، مراجعة أ.د/ محمد

حمدي إبراهيم سنة ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م، طبعة خاصة بالكلية، بتصرف.

(٢) الإصلاح الاقتصادي في مصر ص ٢٠، مرجع سابق.

وهذا يدل على عدم دراسة المشكلة بالقدر الكافي لمعرفة أبعادها، وخطورتها، وكيفية التصدي لها؛ لأننا «نرى أن الحكومة ليس لديها استراتيجية واضحة للتعامل مع مشكلة الفقر، ولا تتوجه بعناية خاصة للتحقيق من حدته سوى من خلال دعم السلع التي تحاول الآن التخلص منها، وابتداع أساليب مختلفة لتخفيف ما تخصصه لهذا البند، وقد كان إنشاء الصندوق الاجتماعي للتنمية في عام ١٩٩١ م يهدف إلى المساعدة في تخفيف الفقر، ولكن يبدو أن شيئاً ذا بال قد تحقق في هذا الصدد، فضلاً عن ذلك فلا يوجد في الحكومة الآن جهة واحدة مهمتها تنسيق كافة البرامج و الأنشطة الموجهة للتعامل مع قضية الفقر»^(١).

والعجيب أن كثيراً من المسؤولين يقيسون نسبة الفقر بامتلاك الثلاجات والتليفونات «في مصر مركز أبحاث، يتبع مجلس الوزراء، اسمه (مركز المعلومات ودعم القرار) في أبريل ٢٠٠٦ م، أدلى رئيس هذا المركز بتصريح نفى فيه بشدة أن الفقراء يزدادون فقراً في مصر، والدليل الذي اعتبره قاطعاً على ذلك، أن امتلاك الثلاجات في مصر زاد من ٥٦٪ (من مجموع الأسر المصرية) إلى ٨٦٪ في العشر سنوات من ١٩٩٥: ٢٠٠٠ م، وقال: إن نفس الشيء ينطبق على التليفونات»^(٢).

وهناك دراسة قام بها الأستاذ أحمد توفيق في تحقيق أجراه مع بعض المسؤولين وبعض علماء الاقتصاد في صحيفة الجمهورية عن أسباب الفقر، وعدد الفقراء، وطرق حل المشكلة:

يقول: ١٤ مليون فقير .. أربعة ملايين منهم لا يجدون قوت يومهم.

مكافحة الفقر .. قضية عاجلة.

الخبراء: نحتاج إلى خريطة للفقراء .. ودعم المشروعات الصغيرة هو الحل.

٥٥٪ هي نسبة الفقر في مصر بعد ما كانت لا تتعدى في أسوأ الأحوال من قبل أكثر من ٤١٪ ومن المتوقع ازدياد عدد الفقراء بشكل أكبر في الفترة القادمة في الوقت الذي انتهى تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية في وقت سابق إلى أن هناك ١٤ مليون مصري تحت خط الفقر، منهم ٤ ملايين لا يجدون قوت يومهم !!..

(١) مصر المحروسة ص ٢٢٤، ٢٢٥ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) د/ جلال أمين، كتاب مصر والمصريون في عهد مبارك، ص ١٢٥، مرجع سابق.

ما أكدته التقريران الأخيران دفع نائباً بمجلس الشعب إلى التقدم باستجواب إلى الحكومة حول حالة الفقر التي توغلت - وفقاً له - داخل المجتمع المصري مما دفع كثيرين للموت غرقاً في رحلات الهجرة غير المشروعة إلى عدد من الدول الأوروبية بحثاً عن تحسين أحوالهم المعيشية. ورغم أن نسبة من يقعون تحت خط الفقر .. كما يؤكد مسئولو منظمة العمل لا تتعدى ٢٠٪ إلى جانب نسبة مماثلة قريبة منه لتدني ظروفهم الاقتصادية من جانبهم. تضارب مثل هذه التقارير التي تسجل نسباً غير دقيقة لا تستند إلى أسس وقواعد حقيقية، إلا أننا طرحنا القضية برمتها في سطور هذا التحقيق بحثاً عن الحقيقة والحلول الواقعية التي ترفع من مستوى معيشة المواطنين^(١).

ورغبة في الاختصار، أذكر أهم ما توصلت إليه الدراسة:

- ١- أن عشرين في المائة (٢٠٪) من المصريين يقعون تحت خط الفقر، لا يجدون قوتهم اليومي بصورة منتظمة، ومثلهم مهددون بالفقر ويقربون منه.
 - ٢- أن المشكلة لم تدرس بالقدر الكافي وأن هناك تقارير تصدر عن بعض المنظمات تقول: إن نسبة الفقر تزيد عن ٢٥٪ وتقارير أخرى تقول إنها وصلت إلى ٤٠٪ و ٦٠٪ والمتفق عليه بين الجميع نسبة ٢٠٪ فقط^(٢).
 - ٣- أن معدل الفقر تزايد في الآونة الأخيرة وأن هذه النسب قابلة للارتفاع نتيجة غياب العدالة في توزيع الثروات وثمار التنمية.
- يقول الدكتور علي السلمي: «أكثر من نصف المصريين يعيشون تحت خط الفقر بما يقل عن دولار أمريكي واحد يومياً وتنهمر الوعود والأحلام على الشعب المصري الذي يعاني الفقر والبطالة والمرض فضلاً عن الجهل، فيما يقارب نصف المصريين يعيشون تحت خط الفقر، أي: ٢١ مليون مصري، أي: حوالي ١٠٪ من قوة العمل متعطلون وأغلبهم في فئة العمر الأزهر (٢٥ - ٢٩ سنة)، ويفتقر أكثر المصريين إلى الخدمات العلاجية الكافية»^(٣).

(١) صحيفة الجمهورية عدد ٢٠٣٨٨، صفحة ٣، بتاريخ ٢٣/١٠/٢٠٠٩م.

(٢) الكتاب السنوي بالجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ص ٥١٨ ج ١ / ٢٢، نسبة السكان ذوي الدخل أقل من واحد دولار أمريكي يومياً، أكثر من ٢٠٪.

(٣) مصر المحروسة ص ٣٠، مرجع سابق بتصرف، وانظر كتاب الحقيقة والوهم في الواقع المصري، ص ١٥،

إذن هناك اختلاف واضح بين العلماء والجهات الرسمية في تقدير عدد الفقراء وفي بيان أسباب المشكلة، وأبعادها، وخطورتها والطرق المثلى لحلها، وهذا يؤكد عدم دراسة المشكلة دراسة كافية وشاملة.

يقول شفاء عبد الغني:

«إننا نرجوا مخلصين وقبل فوات الأوان وتفاقم المشكلات أن نواجه المشكلات بكل شجاعة، وبالوسائل العلمية، بحيث تنبع من واقعنا دون نقل عشوائي من الغرب لإعادة توزيع السكان وتوفير فرص العمل وإقامة مشروعات عملاقة واستزراع ملايين الأفدنة.

إن الأمانة والضمير وحب الوطن وإنكار الذات مفردات غابت وتغيب في هذا الزمن، ولابد من إعادتها لأهميتها في تنمية المجتمع وتحقيق التقدم والازدهار، إن تغيير الطريقة التي نعمل بها أمر ليس بالسهل فهذه العملية تتطلب تغيير جذري في نظرنا للعمل نفسه، وهو الشيء الذي لا يفضل أحد على الإطلاق، مع أن التقدم عادة لا يحدث بدون تغييرات في طريقة الأداء وإقامة مشروعات عملاقة، فالمشروعات العملاقة هي معيار تقدم الدول وازدهار الشعوب فالفولاز والطائرات والأسلحة والسيارات والزراعة والسياحة والتعليم والتكنولوجيا مشروعات عملاقة و من علامات التقدم بين الدول»^(١).

ويقول: عن المدن الجديدة المقامة حاليًا حول المدن الكبرى: «ظهور العديد من الأماكن والمراكز العمرانية حول المدن الكبرى خط من خطوط التنمية التي تسير عكس الاتجاه، ولها آثارها السلبية على التنمية الاقتصادية، تزيد من الكثافة السكانية لاعتمادها على المدن الكبرى، والواقع الفعلي يشير بوضوح إلى أن هذه المراكز لم تقوم بالدور المنتظر منها وخاصة في جذب السكان إليها، كما أنها لم تسهم في القضاء على ارتفاع نسبة الجريمة وانتشار الأمية والبطالة والفقر»^(٢).

١٦، د/ رشدي سعيد أستاذ الجولوجيا وله مؤلفات ومقالات عن المجتمع المصري، مرجع سابق، للمزيد انظر ص ٧ من الكتاب المذكور.

(١) انظر مصر دولة عظمى خلال خمسين عامًا ص ١٣، ص ١٧، مطابع الفاروق الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧، رقم الإيداع بدار الكتب / ١٧٩٧٤ سنة ٢٠٠٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣.

ولقد ورد في الأثر أن: «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها»^(١)، والحكمة: وضع الشيء في موضعه المؤدي إلى الغاية منه، وحتى يوضع الشيء في موضعه لابد من علم يتعلق بهذا الشيء ومظانه ومواضعه... والعاقل هو الذي يستفيد من تجارب الآخرين، «ولقد ارتبط ازدهار الإسلام وانتشاره بحركات الترجمة والنقد وتعريب العلوم وتطويرها والاستفادة منها»^(٢)، والله ﷻ يقول: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧]، ولقد قص لنا ربنا تبارك وتعالى قصة نبي الله موسى مع العبد الصالح (الخضر) وقص لنا قصة نبي الله يوسف في مصر... ثم قال لنا ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، والإنسان إن عرف شيئاً، غابت عنه أشياء، والحياة لها مستجدات، وتتطور باستمرار، ولابد من مواجهة الأحداث بحكمة ووعي.... كل ذلك لا يتم ولا يكون إلا بالاستفادة من جهود أهل الخبرة والمعرفة.

وكم من أبحاث علمية بذلت فيها الأوقات والنفقات ولا يستفاد منها لا على مستوى الفرد والجماعة، ولا على مستوى الدولة والمجتمع، اللهم إلا في حدود ضيقة لا تف بالمطلوب.

منذ أكثر من ثلاثين سنة والعلماء يقدمون الحلول لمعالجة مشكلة الجوع والفقر والبطالة في العالم كله لا في مصر وحدها^(٣)، - ومع الأسف - الحال كما هو، بل يزداد سوءاً وينذر بما لا يحمد عقباه. قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ^(١٣) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ^(١٤) وَاتَّقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [الأنفال: ٢٢: ٢٥].

يقول الدكتور على السلمي: «وعلى الرغم من كل عوامل الإحباط المحيط بالمناخ العام في مصر ورغمًا عن عدم الاهتمام الرسمي بقضية مصر المستقبل - باستثناء تلك الكلمات العارضة عن المستقبل التي تظهر في بعض المناسبات في الخطب الرئاسية - فإننا نطرح تصورًا سريعًا لمصر يتجدد

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة، في الجامع الصحيح برقم (٢٦٨٧) دار إحياء التراث بيروت، تحقيق/ محمد أحمد شاكر.

(٢) انظر كتاب بينات الحل الإسلامي ص ١٥ وما بعدها / القرضاوي مكتبة وهبة، ط الثانية سنة ١٩٩٢ م.

(٣) من هذه الأبحاث، رسالة الماجستير للدكتور/ حلمي صابر (مشكلة الجوع وكيف عالجها الإسلام)، وكتب الدكتور القرضاوي، والشيخ الغزالي، والدكتور محمد شوقي الفنجرى، وغيرهم.

في أنه بحلول العام ٢٠٣٠ ستكون مصر أمة متقدمة، يضمها مجتمع مصري متماسك واثق من نفسه، مشبع بقيم أخلاقية وسلوكية قوية، ووفق هذه الرؤية يمكن إنجاز نقلة موضوعية في الواقع المصري تعالج ما يعانيه المصريون من متاعب ومعاناة وتحقق تحسين جودة الحياة لجميع المواطنين والارتفاع بمستوى وجودة التعليم والوصول إلى المعايير العالمية في جودة التعليم، إن وضع مثل تلك الرؤية المستقبلية وتفعيلها بقوة وإصرار هو التحدي الحقيقي للشعب المصري، إن نجاح وضع وتطبيق استراتيجية مستقبلية لمصر يتطلب الإفادة من تجارب الآخرين واستثمار الخبرات والمنهجيات التي أثبتت نجاحها في دول أخرى - خاصة ماليزيا، والهند، والصين - والاستفادة من مفاهيم الإدارة الغربية التي تمثل أساساً وركيزة في نجاح المشروعات إذا أحسن تطبيقها^(١)، وشيء من ذلك لم يحدث، مما حدا بكثير من الباحثين للخروج من مصر للبحث عن مَنْ يقدرهم ويقدر أبحاثهم.

«إن الأبحاث العلمية في مصر لا تجد الاهتمام المناسب، بل تمر بأزمات كبيرة ومتعددة، مما أدى إلى تراجع دورها في النظام الاقتصادي الجديد، منذ أوائل السبعينيات، وجعل كثيرًا من علماء الاقتصاد في الجامعات المصرية يفضل السفر بأبحاثه إلى الخارج»^(٢).

ومما سبق يتضح:

- أن الفقر موجود في مصر، وأنه صار مشكلة تؤرق المصلحين، وأن النسبة التي اتفق عليها الخبراء وهي ٢٠٪ ليست قليلة فهي كافية لإحداث القلاقل والأزمات، إذ إن خمس ١/٥ المجتمع أو أكثر يعاني من الفقر وتوابعه، والحقيقة التي أكد عليها علماء اقتصاد متخصصون أن الفقر في مصر يزيد بكثير عن نسبة العشرين في المائة.

(١) كتاب مصر المحروسة من ثاني ص ٣٥٨، ٣٥٩ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) للمزيد انظر كتاب الحقيقة والوهم في الواقع المصري ص ١٠٠ وما بعدها، مرجع سابق.

المطلب الثاني: الاعتماد على الاستيراد في سد حاجة المجتمع:

استيراد ما لا بدّ منه، ولا غنى عنه ليس عيباً، إنما العيب أن نعتمد على الاستيراد اعتماداً شبه تام، هنا تكمن المشكلة، بل وتزداد وتتضاعف وتتعمق يوماً بعد يوم، طالما رضى المجتمع بفكرة الاستيراد وركن إليها، واعتبرها بديلاً عن الإنتاج الوطنى والاكتفاء الذاتى؛ لأن في هذا الركون وهذا الرضا قتل للهمم، وتثبيط للعزائم، وتسكين للوضع مع بقاء المشكلة قائمة تتحكم فيها قوى أخرى قد تتحول - بين عشية وضحاها - من صديق متعاون يصدر، إلى عدو غادر يدمر.

والعقلاء الذين يجلبون من الخارج ما ليس مثله في الداخل، أما أن نستورد ما يمكننا صنعه أو زرعه أو العثور عليه في أرضنا أو الاستغناء عنه، فهذا هو الخطأ والخطر.

لذا كان من الحكمة أن تعي مصر والعالم الإسلامى خطورة الاعتماد على الغير، لاسيما السلع التي لا يستغني عنها الشعب كـ(القمح مثلاً)، وكذلك الدواء، ومواد البناء، وقطع الغيار اللازمة للسيارات، والطائرات، والقطارات، والمعدات الأخرى، التي لا يمكن أن يتحقق الاستقرار والتقدم بدونها.

«وإذا علمنا أن ما تدفعه الدول الإسلامية في الاستيراد سنوياً يكفي لإقامة أكبر الصناعات، ولدعم أضخم المشروعات الزراعية والإنتاجية التي يمكن أن تسد حاجة المسلمين كافة، وتغنيهم عن تحكم التكتلات العالمية المستغلة فيهم، وإذا أدركنا ذلك علمنا مدى الخسارة الناتجة عن فتح أبوابنا للإنتاج بلا حدود، وعدم اعتمادنا على إمكانياتنا الذاتية مهما كانت محدودة»^(١).

والسؤال هنا إذا كان هناك ضرورة لشراء القمح أو استيراد دواء أنفلونزا الطيور - مثلاً - فهل هناك ضرورة لاستيراد إبر الخياطة، أو أدوات التجميل والميكياج؟

إن المسألة لم تعد مسألة استيراد مجموعة من السلع بأثمان نملكها أو نقترضها، بفوائد مركبة أو بسيطة ميسرة وعلى الأجيال القادمة أن تسدد، لا؛ لم تعد المسألة بهذه البساطة وإنما أكبر وأخطر من هذا التصور القاصر، لم يقف الأمر - في الاعتماد على الاستيراد بدل الإنتاج - عند حد تنويم الشعوب وتحذيرها وتعليمها الكسل والالتكال ولا عند حد غلاء الأسعار واستنزاف الموارد وإنما تعدى الأمر إلى ما هو أخطر وإلى ما هو أكبر على المستوى الديني والاقتصادي والقومي والعسكري والاجتماعي والأخلاقي.

(١) رسالتي إلى الأمة ص-٣٠٣، مرجع سابق.

هذا الخطر الكبير تعرفه جيداً الدول الكبرى التي تصدر لنا العملة و أنظمة السوق الحرة والاتفاقيات الجمركية وتريد أن تتحول بلاد العالم الإسلامي إلى سوق كبرى لمنتجاتها تعرف هذه كيف تستهلك، ولا تعرف كيف تنتج.

«صارت مصر الآن وفي السبعينيات من القرن العشرين - بسبب السياسات الخاطئة - تستورد خمسة أرغفة من كل ستة أرغفة، لقد تضائلت مساحات القمح وتم تقسيمها بين الإنسان والحيوان، وأصبح نصيب الحيوان ومن ورائه كبار مربى الماشية هو الأكبر، وأصبح الشعب مهدد بالمجاعة بين وقت و آخر أمام هيمنة موردي القمح وتحكمهم في بيعه إلا بشروط هي في صالحهم، شروط تبقي القوي قوياً والضعيف ضعيفاً لا يفلت من آثار الضعف.

لقد أصبح القمح مصيبة خطيرة تتصل بحياة الشعب واستقلال الوطن، لقد أصبح مادة استراتيجية في العلاقات الدولية فلم تعد قيمته النقدية هي كل شيء، بل أصبح من المحتمل أن يكون بين أيدينا ثمنه ولا نستطيع الحصول عليه بسبب تقلبات السياسة»^(١).

ولا يخفى على من له صلة بالعلوم الشرعية أن مسألة الاكتفاء الذاتي وسد حاجة المجتمع من السلع التي لا يمكن أن يُستغنى عنها؛ لأنها من الفروض الدينية التي يأثم المرء أو المجتمع كله بتركها والتهاون في إقامتها مع القدرة على ذلك.

فهي تدور بين فروض العين، وفروض الكفاية، حسب التخصصات والمهام والتكاليف التي يقوم بها كل مسلم في موقعه إن كان مهندساً، أو طبيباً، أو صانعاً، أو عاملاً، أو مزارعاً.....

(١) منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين ص ١٣٠ : ١٣١ مرجع سابق.

المطلب الثالث: وجود العقبات أمام المشاريع الإنتاجية:

قلما تجد مشروعًا مفيدًا قام في مصر بدون عقبات (كتود) كالرَّشوة، وما يسمى بالروتين القانوني، مع أن شعار الدول المنتجة «الرأسمالية» - دعه يعمل دعه يمر - والنتيجة لا عمل ولا إنتاج ولا حراك يذكر ولا مشاريع تقام والناس قد ركبوا قطار الجوع و الفقر و الجهل والمرض ينتظرون المعونات ويستجدون العطف ويلهثون وراء الفُتات إلا ما رحم ربي، وقليل ما هم!!

أولاً: تفضيل الوظيفة الحكومية على المشاريع الإنتاجية:

هذا - للأسف - هو حال أبناء مصر الآن، لقد مرت مصر وتمر بحالة نفسية جعلت الكثير يشعر بالخمول و الكسل وعدم الرغبة فيما يسمونه - بلغة العصر - المغامرة بالمشروعات الخاسرة، لكثرة ما يرون من عقبات وتعقيدات أدت بهم إلى الاعتقاد أن أي مشروع محكوم عليه بالفشل حتمًا وأن الوظيفة الحكومية هي الأفضل والأضمن للمستقبل.

يقول الدكتور جلال أمين: «خطر ببال أبي عندما تخرج أخي بكلية الهندسة أن ينشئ له مشروعًا خاصًا به (دار نشر لها مطبعة خاصة)، ويتفرغ لها أخي عوضًا عن الوظيفة الحكومية كمهندس في هيئة الكهرباء، فإذا بأصدقاء أبي يجمعون بأن يترك التفكير في هذه المجازفة الخطيرة التي يمكن أن يترتب عليها تدمير مستقبل ابنه، إذ بعد مرور الزمن وفشل دار النشر والطباعة (هذا الفشل الذي كان يعتبرونه أمرًا حتميًا!!)، سوف يشعر أخي بالأسى الشديد عندما يرى زملاءه المهندسين، قد حصلوا على الدرجات في سلم الترقى الحكومي، ومن ثمَّ تخلى أبي عن فكرة المشروع إخلاصًا لمبدأ الوظيفة الحكومية»^(١).

(١) للمزيد انظر كتاب ماذا حدث للمصريين ص ٢٠، ٢٨ وما بعدها وص ٨٦، مرجع سابق، وانظر كتاب الحقيقة والوهم في المجتمع المصري ص ٢٣ وما بعدها، مرجع سابق، وانظر كتاب جذور الفساد الإداري في مصر ص ١٤٤ ط دار الشروق سنة ٢٠٠٨م/ عبد الخالق فاروق باحث وخبير اقتصادي بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، وانظر كتاب الإصلاح الاقتصادي في مصر دكتورة/ منى قاسم ص ١٨، مرجع سابق، كل هذه المراجع تؤكد ما قاله الدكتور جلال أمين، من تفضيل معظم المصريين العمل الحكومي على المشروع الإنتاجي.

ثانيًا: طلب الرشوة مقابل تسهيل الاجراءات ورخص العمل:
«في صحيفة الجمهورية بقلم رئيس التحرير في (دراسة محايدة) عن حال المصريين مع العمل والإنتاج تقول الدراسة:

- ١- المصريون لا يثقون في بعضهم البعض وتفسير ذلك أنها الأزمات الاقتصادية.
- ٢- أصبح المصريون يعيشون في بحار من السلبية واللامبالاة.
- ٣- يغلب على المعاملات الكذب وعدم قول الحقيقة، وأن الكذابين يزدون.
- ٤- أن المواطنين لا يثقون في وعود الحكومة لعدم اهتمامها بالفقراء، وعدم تصديها للفساد.
- ٥- أنهم يلجئون للرشوة لإنهاء مصالحهم وسرعة الإنجاز، والرشوة تزيد في المصالح الحكومية لاسيما المدن والمجالس المحلية، والمصريون يتعاملون معها على أنها (قاعدة سلوكية لا غنى عنها)، وترسخت في أذهان الناس، بحيث لم يعد أحد يراها عيبًا، أو حرامًا، بل هناك من يدللها، ويطلق عليها أسماء وحوافز...»^(١).

كانت الرشوة في الزمن الماضي (شدوذاً عن القاعدة) كان المرتشي لا يجروء على الإعلان بها وكان يارسها (في الخفاء)، ولا يمكن الحصول عليها بسهولة؛ لأنها لا تتم بوجود الراشي والمرتشي بل تحتاج إلى عنصر آخر وهو «الرائش» أي: الوسيط و تحتاج إلى وقت وترتيبات وربما نظر الراشي إلى المرتشي نظرة ريبة وعدم احترام، أما الآن فالرشوة هي القاعدة العريضة وقضاء المصالح لا تتم بما فيها المشاريع الإنتاجية التي تحل مشاكل الفقر والبطالة وتفتح العديد من فرص العمل - لا تتم إلا بالرشوة.

يقول: أ.عبد الخالق فاروق: «يستخلص الدارس المتعمق لثئون وبنية الإدارة الحكومية أن هذه المواد الدستورية الكثيرة^(٢) التي تنص على حقوق العاملين ومزاياهم ، كذلك ما نصت عليه المواثيق الدولية فقد جرى إهدارها، ولم يحل وجودها من تردي أوضاع العاملين في بيئة العمل الحكومي بما

(١) صحيفة الجمهورية ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٩م، ص١٩، العدد ٢٠٣٨٠، ومن تدليلهم للرشوة القول بأنها إكرامية أو مرزقة، أو حسنة، يقولون: أعطيناها حسنة أو إكرامية أو مرزقة.... إلخ.

(٢) انظر كتاب الدستور المصري القوانين الأساسية مادة ٧-٨-٩، ص ١٤، إعداد نشأت حسن المحامي، ط البدرأوى للتوزيع .

أدى إليه من تتدهور أدائه، وضعف مستوى الخدمات المقدمة إلى الجمهور والمواطنين، خاصة الفقراء منهم، فقد آلت بيئة العمل إلى انتشار حالات الفساد الإداري والرشوة والمحسوبية باعتبارها وسائل لتعويض النقص والتدهور في الحقوق الأجرية للعاملين»^(١).

وعن سوق العمل الخاص والاستثماري يقول - أيضًا - : «فطالما ظل العاملون بالقطاع الخاص والاستثماري يفتقرون إلى مظلة أو شبكة أمان اجتماعية وصحية، فإن الاندلاع المتزايد من جانب خريجي الجامعات والمدارس المتوسطة من الالتحاق بالوظائف الحكومية قائمًا دون حل.

أن توفير الإرادة السياسية على إدارة الدولة والمجتمع في تطبيق القوانين بحزم دون وساطة أو محسوبية، أو مجاملات لبعض رجال الأعمال الملتصقين بإدارات الحكوم، وقادتها من ناحية أخرى، من شأنه فتح باب إصلاح جذور لنظم الإدارة والعمل في البلاد»^(٢).

بل ومن أعجب ما قرأت أن: «هناك رشوة تقدم من الآباء والأمهات للأبناء، إذا تغيرت قيمهم بقيم يصعب التعامل معها»^(٣).

تأمل كيف يتحول المجتمع من حارس للقيم ومحافظ عليها، إلى مضيع لها ومتخلي عنها. «إن هناك غشًا جماعيًا تتواحي به فصول ويتواحي به مربون وأولياء أمور!! كيف تنجح أمة يتحول فيها الضلال إلى أن يمون عنصرًا سائدًا يعيش الناس في ظله!!»^(٤).

وعن المشاريع والإنتاج - أيضًا - فلقد «شاعت الشكوى من اتجاه الاستثمار في مصر إلى فروع غير منتجة أو قليلة الإنتاج ... كالمضاربة على الأراضي والإسكان الفاخر وفروع الصناعة والخدمات ضعيفة الأثر في دفع عجلة التنمية، كصناعة المشروبات الغازية أو السياحة، كذلك شاعت الشكوى من اتجاه الاستثمار الحكومي إلى مشروعات المرافق العامة على حساب الاستثمار في الزراعة

(١) انظر جذور الفساد الإداري في مصر بيئة العمل وسياسات الأجور والمرتبات في مصر من عام ١٩٦٣ إلى ٢٠٠٢، ص ٤٠ مرجع سابق، وانظر تقرير وزارة الداخلية / مصلحة الأمن العام تقرير سنة ١٩٩٤م، أن الرشوة وتعطيل وسائل النقل، بلغت ١٠٠٪. أعلى نسبة ضبط للمتهمين

(٢) كتاب جذور الفساد الإداري في مصر ص ٣٦٩، ٣٧٠، مرجع سابق بتصرف.

(٣) ثقبوب في الضمير ص ١٢٧، مرجع سابق.

(٤) كتاب خطب الشيخ محمد الغزالي ج ٢ ص ٢٤٨، ط دار الاعتصام سنة ١٩٨٨م، وللمزيد راجع كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١١٥، ط مكتبة وهبة الطبعة الرابعة عشر سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

والصناعة، مما أدى إلى الإخلال في الهيكل الإنتاجي وهيكل العمالة على السواء، ويرد كل ذلك عادة إلى سياسة الانفتاح الاقتصادي بما عنته من انحسار دورها في توجيه الاستثمار الخاص من جهة أخرى، هذا التفسير هو الصحيح بالطبع^(١).

ونتيجة ذلك الحصار هي هروب المستثمرين - على الأقل - من المشاريع التي تحتاج إلى صبر ومعالجة ووقت كالقمح والقطن مثلاً، إلى مشاريع ذات عائد كبير وسريع اقتداءً بغيرهم ممن تباركهم وتعينهم النظم والقوانين.

يقول الأستاذ هاني صالح وممدوح رمضان/ في التحقيق الذي أجرياه في صحيفة الجمهورية المصرية تحت عنوان:

المزارعون ينصرفون عن القمح إلى زراعات اقتصادية أخرى

يبدو أن القمح المصري سوف يمر بنفس الأزمة التي يمر بها القطن.. وسوف تتآكل المساحات المخصصة لزراعة القمح كما حدث مع الذهب الأبيض وذلك بسبب انصراف المزارعين عن القمح وزراعة المحاصيل الاقتصادية التي تحقق أرباحاً معقولة مثل البرسيم وبنجر العلف والسكر واللب السوري.

يقول المزارعون إن أسعار القمح خلال الموسم الزراعي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ م، لم تكن مشجعة وحقق الفلاح خسائر من زراعة الأقمح .. ويطالبون بضرورة إعلان الأسعار للموسم الجديد في الوقت الحالي حتى يتخذ الفلاح قرار زراعة القمح بدلاً من زراعة المحاصيل البديلة^(٢).

سألت عددًا من الشباب يعملون في مشاريع الإنترنت والمحمول، ما سرّ انتشار محلات النت والمحمول والإقبال عليها ؟ كان الجواب: «لأن إقامة هذه المشاريع سهل ولا توجد أمامه عقبات تذكر، والربح منه وافر وسريع ولا خطر منه ولا خوف من الكساد أو الخسارة أما المشاريع الإنتاجية فصعبة وتحتاج إلى رأس مال وإجراءات ووقت، ومع هذا كله غير مضمونة النتائج.

(١) ماذا حدث للمصريين ص ٢٤ - ٢٥، مرجع سابق.

(٢) صحيفة الجمهورية العدد ٢٠٣٦٤ / بتاريخ ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٩ م، صفحة ٦.

هذه العقبات التي توضع أمام المشاريع الإنتاجية والوظائف الحكومية طالت أصحاب الاحتياجات الخاصة من المرضى والمعاقين، فهم يصرخون - كما ورد في صحيفة الجمهورية - ويقولون: «إن المؤسسات تتجاهل حتى نسبة الـ ٥٪ فأين نذهب....؟ لا إعداد، ولا تأهيل، ولا قاعدة بيانات لأعداد المعاقين، وها هم عائلة على أسرهم يعيشون على الإحسان من الجمعيات الخيرية ولجان الزكاة، ويناشدون الحكومات، ورجال الأعمال أن يساعدوهم في عمل مشروعات صغيرة تناسبهم كالأكشاك والمحلات التجارية لتخفيف العبء عن أسرهم»^(١).

* * *

(١) صحيفة الجمهورية ص ١٥ عدد ٢٠٣٦٤، بتاريخ ٢٩/٩/٢٠٠٩ م.

المطلب الرابع: عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل:

أولاً: نبذة مختصرة عن الموارد الطبيعية الغنية بها مصر.
مصر غنية بالموارد الطبيعية سواء أكانت زراعية أو مائية أو معدنية أو بشرية، وهذا معروف ولا ينكره أحد من العلماء المتخصصين.

١ - الموارد الزراعية:

يقول الدكتور عماد الدين حسن، والدكتور حنفي محمود سليمان: «لعلنا نعلم أن مساحة جمهورية مصر العربية تصل إلى ١.٠٠٣.٠٠٠ كيلوا متر مربع، ويتركز السكان في الشريط الضيق لوادي النيل والدلتا، ويترتب على ذلك ضئالة المساحة المأهولة بالسكان إذا ما قورنت بجملة المساحة ٥٥٪ مما أدى إلى أن تعاني مصر من كثافة سكانية عالية بلغت في الكيلوا متر الواحد ١٧٠ نسمة في المساحة المأهولة، وحوالي ٥٩ فرد لكل كيلوا متر مربع من المساحة الكلية، وذلك وفقاً لتعداد السكان/ نلاحظ أن السكان يتركزون في الوادي والدلتا إذ يسكنها حوال ٩٧٪ من إجمالي سكان مصر بينما لا يتجاوز مساحتها ٤٪ من إجمالي مساحة مصر»^(١).

ولا خلاف فيما أعلم - بين العلماء فيما ذكره الدكتور عماد والدكتور حنفي من أن مساحة مصر تربو على المليون كيلو متر مربع وأن نسبة المعمور منها ضئيل جداً، وأن هناك أكثر من ٨٥٪ أرض بور بكر منذ خلق الله الأرض لم يستفاد منها !!

ولا خلاف - أيضاً - من أن مصر بلد زراعي منذ القدم، إن المناخ في مصر يساعد على زراعة كافة المحاصيل الزراعية على مدار العام.

«.... يكفي أن نعلم في كلمات بسيطة سهلة بعيدة عن المصطلحات الاقتصادية، أن مصر وحدها كانت ولأمد طويل هي مزرعة القمح التي تعتمد عليها الامبراطورية الرومانية، وهي مخزن الغلال الذي يغذي سائر المنطقة بشهادة القرآن الكريم، ستة مليون فدان تزرع في مصر بالري»^(٢).

(١) مفاهيم أساسية في إدارة الموارد البشرية - الجامعة العمالية ص ١٣ المؤسسة الثقافية، د/ عماد الدين حسن، د/ حنفي محمود سليمان، بدون تاريخ، وانظر كتاب مصر والمصريين ص ٧٦، مرجع سابق.
(٢) منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين ص ١٣٠، ١٣١، مرجع سابق.

هذه الملايين الست هي التي ورثها المصريون عن الفراعنة ونظم ربيها محمد علي باشا الكبير، ولا زالت مصر عالة عليها حتى الآن، باستثناء بعض الإصلاحات الصحراوية المحدودة التي لا تفي باحتياج مصر.

هذه المساحة التي زرعها محمد علي أو نظم أو طور زراعتها ليست هي وحدها الأرض الزراعية الصالحة للزراعة في مصر، بل هناك ضعف هذه المساحة في الصحراء الغربية والشرقية وسيناء، ومنها ثمانية ملايين فدان قابلة للزراعة^(١)، والسؤال المحير لماذا لم تزرع هذه المساحات الهائلة؟ ولصالح من تبقى معطلة إلى الآن؟

تقول الاحصائيات: يسكن الصحراء ١٪ من جملة السكان بينما تبلغ مساحتها ٩٦٪ من جملة مساحة مصر^(٢)، تأمل ١٪ يشغل ٩٦٪ من مساحة أرض مصر، ألا يدل ذلك على العجب والاستغراب؟!

٢ - الموارد المائية:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].

لعل قائل يقول: هذه المساحات الهائلة التي ذكرت ليس فيها ماء يكفي للزراعة. والجواب: أن مصر بها مياه جوفية مثل مياه نهر النيل.

«تتوافر المياه الجوفية في الواحات الخمس (سيوة - البحيرة - الفرافرة - الداخلة - الخارجة)، وقد أقيم مشروع الوادي الجديد في الداخلة والخارجة»^(٣).

ولقد رأيت بعيني المياه الجوفية في الوادي الجديد وقربها من سطح الأرض، ونتاج المحاصيل الزراعية هناك، وهي لا تقل في جودتها عن نتاج مزارع وادي النيل، «خزانات هائلة تتراوح المياه فيها بعمق ٢٠٠ إلى ١٢٠ مترًا فوق سطح الأرض»^(٤) ولا يزال أبناء هذه البلاد يستخرجون المياه

(١) راجع كتاب جغرافيا مصر والوطن العربي، ط وزارة التربية والتعليم سنة ٢٠٠٩ / ٢٠١٠م، وكتاب ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية ط ٢ عدد ١٥٣، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ١٠٣، عام ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

(٢) مفاهيم أساسية في إدارة الموارد البشرية ص ١٤، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص ١٤.

(٤) منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين ص ١٤٦، مرجع سابق.

بطريقتهم البدائية ولاغراضهم الخاصة ولاتوظف هذه الموارد - سواء الأرض الصالحة للزراعة، أو المياه، أو هما معاً - في خدمة الشعب المصرى.

ففي سيناء وحدها أكثر من مليون فدان قابلة للزراعة لم يستثمر منها شيء يذكر^(١)، ناهيك عن تجريف التربة وصناعة الطوب وتبوير هذه الأرض وضياح معالم الزراعة بردم الآبار والترع وتقسيمها مباني بقصد الحصول على الربح السريع والوفير^(٢).

تقول الإحصائيات الرسمية: «لا تزال الاستفادة في مياه الري لا تتعدى ٥٠٪ من إمكاناتها»^(٣).

٣- الثروات المعدنية الغنية بها مصر:

مصر مليئة بالمعادن والخامات اللازمة لتطور الصناعة، وبها - أيضاً - من الطاقة ما يكفي لإقامة أكبر المشروعات ومنافسة الدول المتقدمة، وربما التفوق عليها.

«من أهم المعادن الموجودة في مصر الحديد، والمنجنيز، والفوسفات، والزنك، والنحاس والذهب والقصدير، والتنجستين والتيتانيوم والتوربيوم والكروم والكاولين والفحم والغاز الطبيعي»^(٤).

هذا الكم الهائل والمتنوع من الثروات المعدنية، لا أظن أنه يوجد مجتمع في دولة مساحتها مليون كيلو متر مربع، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد حبى مصر وأمدّها بالخيرات التي تؤهلها دوماً بالسيادة والغنى والريادة، والدليل على ذلك أن مصر تصدر للخارج معظم هذه المعادن.

وفقط أتكلم عن واحدة من هذه الثروات الهامة والحيوية الغنية بها مصر وهي الحديد.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [سورة الحديد آية: ٢٥].

هذا المعدن الذي ذكره الله صراحة في كتابه وبين أهم فوائده - صناعة السلاح والمنافع الأخرى كالسيارات وبناء العمارات.... هو موجود بكثرة في مصر.

ومصر بها: خام حديد يصل في سمك طبقاته إلى ١٢ متر... ويوجد بكميات كبيرة في منطقة

(١) مصر المحروسة من تاني ص - ٣٩٧، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب تشريح الشخصية المصرية ص - ٢١٢، مرجع سابق.

(٣) راجع كتاب جغرافيا مصر والوطن العربي، مرجع سابق، وكتاب المياه والتنمية الاقتصادية أ/ أشرف صبحي عبد العاطي وعمرو علي حسن ص - ٣٩ وما بعدها، ط ١٩٩٩م دار مكتبة الإسماء.

(٤) كتاب جغرافيا مصر والوطن العربي ص - ١٢٤، مرجع سابق.

الواحات البحرية بالصحراء الغربية في جبل الجديدة وتتكون معادن الخام من الليمونيت والهيماتيت والمغرة، كما يوجد حديد خام في أسوان كما يوجد في الصحراء الشرقية على شكل عروق، كما يوجد في سيناء وقد بلغ حجم الإنتاج من خام الحديد ٢.٧ مليون طن سنة ١٩٩٧^(١). ومع هذا تحدث أزمة في الحديد تصيب قطاع البناء بالشلل التام، وإحداث أزمة تجعل الحديد (السلعة الحيوية) تختفي من السوق، ويتضاعف سعرها إلى أضعاف، ففي عام واحد^(٢) يتراوح سعر الحديد من ثلاثة إلى تسعة آلاف، قل مثل ذلك في أنبوبة الغاز، وصناعة السيارات وغيرها، وهذا واضح لا يخفى على أحد.

٤ - الموارد البشرية الغنية بها مصر:

يقاس مدى تقدم الدول ليس فقط من خلال ما تملكه من ثروات وموارد، إنما أيضاً بقدرات وإمكانيات سكانها.

إذ إن العنصر البشري هو أساس تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بقدر ما يملكه من قدرات ومعارف ومهارات وقيم وعادات وتقاليد ومعتقدات دافعة لطاقته نحو الابتكار والإبداع، فالإنسان هو المحور الرئيسي المستهدف بالتقدم والتنمية^(٣).

ومصر ليست بحاجة إلى موارد طبيعية بقدر ما هي في أمس الحاجة إلى صدق النوايا في الإصلاح والرغبة الحقيقية في حل المشكلات حلاً جذرياً، المشكلة ليست في قلة الموارد أو الأيدي العاملة، فمصر غنية بالموارد بشهادة المختصين في إدارة الموارد، وإنما المشكلة لخصها المتنبي - الشاعر المعروف - عندما قال:

نامت نواطير مصر - عن ثعالبها حتى يشمن وما تفنى العناقيد^(٤)

والمتنبي قال ذلك في وقت ما كانت مصر تعاني فيه من أزمات خانقه مثل اليوم، وهو على أي حال يرى أن الخير في مصر كثير ولقد رمز إليه «بالعناقيد» التي تتناهشها الثعالب من كل ناحيه والحراس عليها «نيام» ولكثرتها ووفرته لا تنفذ ولا تزول.

(١) كتاب جغرافيا مصر ص ١٢٤ بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) في عام ٢٠٠٨ م تراوح سعر طن الحديد المسلح من ثلاثة آلاف جنيهاً مصرياً إلى تسعة آلاف.

(٣) راجع كتاب مفاهيم أساسية في إدارة الموارد البشرية ص ١، مرجع سابق.

(٤) ديوان المتنبي ص ٥٠٧، دار بيروت للطباعة والنشر ط سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

مصر بها فائض من الخبراء في معظم المجالات تصدره للخارج حتى بلغ عدد المهاجرين من أبناء مصر أكثر من أربعة ملايين^(١).

يقول الدكتور محمود عطية: «استطاع أبناء مصر القدامى أن يبرهنوا بعملهم وعطائهم أن (مصر هبة المصريين) بتلبية متطلبات عبقرية المكان والانتقال من عبقرية المكان إلى عبقرية الإنسان بدايةً من اهتمامهم بالزراعة والصناعة وفنون العمارة إلى هداية الإنسان واكتشاف الضمير البشري والمناداة بـ«إله واحد» وتعظيم عطاء المصري في تسخير كل إبداعه من أجل رقي وتقدم بلاده أرض النيل.... تتذكر كيف يبرئ المصري نفسه حين يقسم «وإني لم ألوث مياه النيل يوماً»^(٢).

«نحن نؤمن أن الثروة الحقيقية في مصر هم أبنائها إذ يمثلون رأس المال الحقيقي، فهم القوة المنتجة لكل السلع والخدمات والقيم في المجتمع، وهم القوة الفكرية المبدعة الخلاقة، وهم الأداة المحورية في تفعيل واستثمار موارد المجتمع المادية والطبيعية وتحقيق القيمة المضافة، وهم أصحاب الوطن ومصدر قوته»^(٣).

الثروة البشرية كم هائل مهمل لا يستفاد منه - على الوجه الأكمل والمطلوب - بل وينظر إليه على أنه عبء على المجتمع لا عوناً له.

إذن مصر غنية بالموارد الطبيعية الكثيرة والمتنوعة، وأن مشكلة الفقر ليست بسبب قلة الموارد والإمكانات وإنما لأسباب أخرى منها:
عدم مراعات العدالة في توزيع الثروات، وفرص العمل.

(١) انظر كتاب ماذا حدث للمصريين ص ١٠٧-١٠٨، ص ١٧٤، مرجع سابق.

(٢) احترس مصر ترجع إلى الخلف ص ٢٦ ط دار الشروق سنة ٢٠٠٩م، تأمل هذا القسم في وقت لم تكن فيه الملوثات قد بلغت من الخطورة ما بلغته الآن.

(٣) مصر المحروسة من تانى ص ٢٦٨، مرجع سابق.

أولاً: الوظائف الحكومية:

إن أناساً قد تبوءوا أعلى المناصب والدرجات والوظائف الحكومية، وآخرين لهم سنوات وسنوات وهم يبحثون عن فرصة عمل - أي عمل يستر حالهم - ومع ذلك لا يجدون^(١). والعجيب أن هؤلاء وهؤلاء على درجة سواء، فهم أبناء مصر - وربما تخرجوا في كلية واحدة، وبدرجة متساوية، بل ربما يكون المحروم - من هذه الوظيفة - أعلى درجة وكفاءة ومهارة من صاحب الحظ^(٢).

والأعجب من هذا، القوانين المنظمة لسوق العمل في مصر! فهناك من يحظى بالكادر الخاص أو حوافز مميزة^(٣)... وهناك من ينتظر العلاوة الدورية كل عام، ناهيك عن التسهيلات والتعقيدات في الحصول على قطعة أرض أو ترخيص لعمل مشروع أو الحصول على قروض لتمويل المشاريع... أو الابتعاث للخارج... فهناك من تذلل له القوانين ويتيسر - له الأمر، وهناك من يجد العقبات والتعقيدات، وهناك من ييأس ويترك المسألة برمتها ويبحث عن عمل آخر ميسور... وهكذا الحال وصرنا كما قال القائل:

ما الناس إلا عاملان فعاملا قد مات من عطش وآخر يغرق

وبعيداً عن المحسوبيات والوساطة والرشوة للحصول على الوظائف أو فرص العمل، فهناك من يُعين بأمر تكليف، وهناك من يُعين بالمسابقات ولجان التحكيم، وهناك من يُحرّم من التعيين - بعد النجاح في المسابقة وبعد الكشف الطبي - لمجرد الاشتباه أو لاعتبارات أخرى فوق القانون^(٤). ولم يقف الحال عند حد الاستئثار بالمناصب المرموقة، وترك الأعمال الأخرى المهنية والحرفية ذات العائد البسيط للبسطاء، لو وقف الحال عند هذا الحد لتصبر الناس، إذ وجدوا حد الكفاية.

(١) انظر جذور الفساد الإداري في مصر ص ٣٤، وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٩، ١٩٠ وص ٢٧٧.

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٩٠ وص ٢٩٩ وص ٣٠١، ٣٠٠.

(٤) انظر الدستور المصري المادة السابعة والثامنة والثالثة عشر والرابعة عشر، ص ١٤-١٥، مرجع سابق، وانظر كتاب جذور الفساد الإداري في مصر بيئة العمل وسياسة الأجور والمرتبات في مصر من ١٩٦٣ إلى ٢٠٠٢ م، ص ١٧٤ وما بعدها، مرجع سابق.

قال ﷺ: «ستجدون بعدي أثره وأموراً تنكرونها. قالوا: وبما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم.....»^(١).

لم يقف الحال عند الأثرة التي أشار إليها الحديث الشريف والتي تعني حب النفس المفرط، أو اختصاص المرء نفسه بأجود الأشياء دون غيره^(٢)، أو التميز على الغير بحيازة الخير مع ترك جزء من هذا الخير للغير.

وصل الحال في مصر إلى درجة استقدام العمال الأجانب للعمل في مصر- وطرد العمالة المصرية والاستغناء عنها.

يقول الأستاذ محمد يوسف:

بالرغم من ارتفاع البطالة ومهارة المصريين

ظاهرة استقدام العمالة الأجنبية تتزايد في مصانع العاشر

«بدأت ظاهرة استقدام العمالة الأجنبية في انتشارها بشكل ملحوظ بالرغم من أعداد البطالة المرتفعة ومهارة العمالة المصرية وكفاءتها العالية .. في الوقت نفسه الذي أفادت مديرية القوى العاملة بالشرقية أنه تم التفتيش على ٣٦٠ شركة خلال هذا العام من بينهم ٦٠ شركة تضم أكثر من ٤٢٠ عاملاً أجنبياً وأنه تم تحرير محاضر مخالفة لها.

إن تشغيل العمالة الأجنبية أمر خطير جداً ويهدد الاستقرار الداخلي لأسباب عديدة منها زيادة أعداد البطالة وعدم خلق كوادر فنية بين العمالة المصرية مستقبلاً»^(٣).

إن آخر ما يمكن أن يتصوره المرء - في بلد يدعي أنه ينحاز للفقراء - أن تسمح بطرد العمال من وظائفهم واستبدالهم بعمال أجانب.

إذا كانت الوظائف السيادية لها مبرراتها ... الكفاءة ... الخبرة ... المؤهل العلمي ... السيرة الذاتية ... فما هي مبررات طرد العمال وهم في سن العطاء؟

(١) رواه البخاري باب المناقب برقم (٣٦٠٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه مسلم في صحيحه باب الإمارة برقم (٤٨٨١)، عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢) انظر رائد الطلاب طه دار العلوم ص ٢٥، مرجع سابق.

(٣) صحيفة الجمهورية يوم ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٩م، العدد (٢٠٣٨١)، ص ٧.

وليس لهم أعمال بديلة ولا تعطى لهم مكافئات تكفي لإقامة المشاريع المنتجة، إن هؤلاء الذين يطردون من أعمالهم ينضمون إلى طابور العاطلين فيزداد العدد ويكثر الخطأ، ويعظم الخطب.

إن من أخطر الأسباب التي ساعدت في انتشار مشكلة الفقر في مصر - إن لم تكن أخطرها على الإطلاق - عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل بين فئات وأفراد المجتمع.

ثانيًا: تقسيم الأراضي والمشروعات الإنتاجية:

يقول الدكتور محمود عطية تحت عنوان (محظوظي الدخل):

«إن خبراء علم الاجتماع يؤكدون أن فئة محظوظي الدخل موطنها الأصلي يرجع إلى مرتفعات آليات السوق غير المنضبطة في خلال حديث تنشيط الاستثمار وبرامج الخصخصة والمعونات الأجنبية والتعامل مع الهيئات غامضة العمل والنوايا داخل البلاد والترويج للديمقراطية وتسقيع الأراضي وتراس المنشآت الحيوية والجلوس في موقع الصدارة حيث لا حسيب ولا رقيب، بهذا الفساد تباع أراضي الدولة بملايين الفلوس، لا أخفي ما أشعر به من خوف كلما استمعت لخبرائنا الاقتصاديين حين يتحدثون عن خطر هذه الفئة فهم يربكوننا، فكم من المصريين دخلوا دائرة الفقر؟ وهل في بلادنا ترصد شرائح الفقراء؟ وهل لدينا أرقام نثق بها؟

وهل سمح خبراء ووزراء الاقتصادية بالمحروسة بما يسمى بالتوزيع العادل لثروات البلاد بين جميع الطبقات؟

وهل هناك وجود في بلاد العالم لمن يطلق عليهم طبقة (محظوظي الدخل)، التي تتراكم ثرواتهم من اقتصاديات هامشية لا تصب في مصالح اقتصاد البلاد وعلى حساب طبقات (محدودي الدخل)، وفي وجود حكومات وطنية^(١).

إن الطريقة التي تقسم بها الثروات وفرص العمل والنظم المتبعة والمعلنة في توظيف العاملين أو تقسيم الأراضي التابعة للدولة لتؤكد عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل، مع أن المادة الرابعة والثالثة عشر والرابعة عشر من دستور الدولة تنص على أن الأساس

(١) احترس مصر ترجع إلى الخلف ص ١٩، ٢٠، ٢١ بتصرف، مرجع سابق.

الاقتصادي والنظام القائم على الكفاية والعدل بما يحول دون استغلال، ويؤدي إلى تقريب الفوارق بين الدخل ويكفل عدالة توزيع الأعباء والتكاليف العامة^(١).

ثالثاً: الثروات والدخل القومي:

إن أناساً في مصر تحت أيديهم ثروات البلاد يتصرفون فيها كما يشاءون وآخرون - وهم الغالبية العظمى من أبناء المجتمع - ليس لهم من الأمر شيء، ومعظم الثروات تذهب إلى الأغنياء، ولا تلتفت الدولة إلى الفقراء.

«إن جزءاً كبيراً من عائدات البترول وقناة السويس والسياحة والمعونات الخارجية يذهب في الأصل إلى يد الدولة، وقد كان من الممكن أن يكون توزيع الدولة لهذه العائدات على الأفراد مناسباً مع ما يبذله الأفراد من جهد، ولكن الواقع أنه من السهل تبريد الأموال، خصوصاً إذا كانت هذه الأموال في يد الدولة، وعلى الأخص إذا كانت الدولة (رخوة) من النوع الذي عرفته مصر ابتداءً من السبعينيات، فكم كان من السهل أن تنفق هذه الأموال على أصحاب النفوذ أنفسهم، أو على أصحاب النفوذ ومحاسبيهم، وأن تغمض الدولة عينها على من وضع يده على أراضيها، أو من يختلس أموالها، أو يحصل على امتياز من الدولة لا يستحقه، أو يمنع أن يؤدي للدولة حقوقها»^(٢).

ومصر - كما هو معلوم - قد طبقت في مجال توزيع الثروات وفرص العمل النظامين (الاشتراكي والرأسمالي) في حل مشكلة الفقر وما حُلَّتْ بل زادت تعقيداً وانتشاراً لأسباب لم تعد خافية على أحد، فالكتب التي كتبت عن فساد النظامين أكثر من أن تُحصى^(٣).

فالمعلوم أن «الاقتصاد الرأسمالي، الأساس في التوزيع، هو الملكية الخاصة، فكل بقدر ما يملك، ويترتب على ذلك تفاوت في الدخل بحسب التفاوت في الملكية والميراث، ويكون عادة هذا التفاوت شديداً.

(١) انظر كتاب الدستور المصري ، ص ١٣ ، ١٥ ، مرجع سابق، وكتاب جذور الفساد المالي في مصر ص ٣٧ مرجع

سابق.

(٢) ماذا حدث للمصريين ص ٦٠ مرجع سابق، وانظر كتاب مصر والمصريون في عهد مبارك، ص ٣١، مرجع سابق.

(٣) راجع كتاب الضوابط الشرعية للاستثمار، ط دار الإيمان سنة ٢٠٠٨م، اعداد نصر محمد سالم، وكتاب مستقبل الأمة الإسلامية، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (٩٩) سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، وكتاب ثقب في الضمير نظرة على أحوالنا ، مرجع سابق، وكتاب الإسلام وعدالة التوزيع للدكتور/ محمد شوقي الفنجري، الطبعة الأولى دار ثقيف للنشر والتأليف المملكة العربية السعودية سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

وفي الاقتصاد الاشتراكي، الأساس في التوزيع هو العمل، فالكل تبعاً لعمله، وفي ظل هذا الاقتصاد تتفاوت الدخول بسبب اختلاف القدرات والمواهب الانسانية ويصبح هذا التفاوت كبيراً^(١).

هذا التفاوت الذي يحدثه كلا النظامين قد صار ثقیلاً لا يطاق، إذ ساعد في اتساع الفجوات بين الطبقات وكان على حساب الطبقة الوسطى التي هي رمانة الميزان في المجتمع، وأحدث خللاً واضحاً في الحياة الاجتماعية وسوق المال وأسعار السلع، ومنها السلع الأساسية الأولية وأصبح في المجتمع مَنْ يعيش ببصنع مئات من الجنيهات، ومنهم مَنْ يملك عشرات الألوف والملايين، والجميع أمام متطلبات الحياة سواء، وأمام الواجبات الدينية والوطنية سواء.

ويطول الكلام عن حياة أراضي الدولة وبيعها بأقل من ثمنها^(٢)، ناهيك عن «تزايد الميل الاحتكاري في الاقتصاد المصري - مثل: الحديد والأسمت والاتصالات إلخ»^(٣)، وعن «إبعاد الكفاءات الحقيقية والموهوبين وأصحاب الرأي المستقل من العمل في الوظائف والمناصب السيادية والقيادية وتقديم ذلك لغير الكفاءات»^(٤).

(١) د/ محمد شوقي الفنجري ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية، ص ٥٣ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب مصر ترجع إلى الخلف ص ٢٠، مرجع سابق.

(٣) للمزيد انظر جذور الفساد المالي والإداري في مصر ص ٣٥٣ مرجع سابق.

(٤) كتاب لماذا لا يثور المصريون/ ط دار الشروق سنة ٢٠١٠ ص ٩٧.

المطلب الخامس: الانشغال عن الإنتاج بوسائل غير جادة أو نافعة:

إذا كانت الغاية حل مشكلة الفقر فإن الوسيلة التي تُوصَّل إلى هذه الغاية يجب أن تكون مشروعة وناجحة ومفيدة، فالوسائل عندنا تأخذ حكم المقاصد.

وعندما يتكلم العلماء عن الفقر ومكافحته والتصدي له، يذكرون العمل الدؤوب والجاد، والمشاريع الكبرى والعملقة والوسائل الحديثة لتطوير الإنتاج وتحسينه، وخلق الفرص الجديدة والأجواء المناسبة والعنصر البشري وقيمه ومروءته وعقائده وأخلاقه ومواهبه وخبراته؛ لأن الأمم تتقدم وتنتصر وتتخطى العقبات والإبداع والرغبة الصادقة في التطور والانتصار.

والمجتمع الذي يسعى بجهد واجتهاد نحو هدف منشود، مجتمع نشيط لا يعرف الكسل ولا الملل ولا الاتكال على الغير، ولا يرضى بالدون من الوسائل والحلول، إنما يطمح دائماً إلى أعلاها وأحسنها، إما بالابتكار والاختراع، وإما بالتعليم والتعلم والاستفادة من تجارب الآخرين.

ومصر - للأسف - لا هي استفادت - كما ينبغي - من التقنية التي يوفرها العلم الحديث في مجال الإنتاج، ولا هي وفرت المناخ المناسب للعلماء والباحثين لاستكشاف وسائل وطرق حديثة تواكب العصر، بل ظلت - للأسف - تراوح^(١) مكانها لا تتقدم إلا ببطء لا يفي بالمطلوب لسد حاجة المجتمع المتزايد يوماً بعد يوم.

المجتمع يزداد، والاحتياج إلى السلع، ومنها السلع (الأولية) تزداد، والإنتاج لا يزداد (بالمقدر المطلوب) والمشكلة تتفاقم والسبب: لا إنتاج ... لا جودة لا تطوير.

وتعود الناس على الإعانات، والدعم، والحلول السريعة، وما عادوا يفكرون في مشروعات تنموية طموحة والمناخ العام يساعد على ذلك، حيث ترى وسائل اللهو، واللعب أكثر من وسائل الإنتاج والعمل الجاد، والتشجيع الرسمي، والشعبي للعب أكثر بكثير من التشجيع على الإنتاج، والعمل، والحوافز والجوائز والمنح، والأموال التي ترصد للعب أضعاف أضعاف ما يرصد للعمل المفيد، والعلم النافع الذي يعود على الأمة بالخير والرخاء^(٢).

(١) انظر كتاب الاقتصاد المصري بين التبعية والاستقلال، ص ٥٥ وما بعدها، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٧ للدكتور أحمد

الشربيني.

(٢) نشرت صحيفة الجمهورية في الملحق بتاريخ ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٩ العدد (٢٩٢)، عن كشف حساب مهرجان القاهرة

المسرح التجريبي أنه تكلف ٥٠ مليون جنيه، وعن نفقات اللعب قالت الصحيفة ذاتها، أكد الخبراء أن فريق اتحاد الشرطة

قارن بين المساحات التي خصصت للعب، والمساحات التي خصصت لبناء المدارس والجامعات، وبين رواتب العاملين هنا والعاملين هناك....، ناهيك عن دور السينما والمسارح والمصايف، والقرى السياحية وغيرها من الأشياء التي تبدد الطاقات، أو تزاحم الأعمال الجادة المنتجة، وخذ على سبيل المثال «كرة القدم»، والأموال التي تصرف، والأوقات التي تهدر، والاهتمام الزائد عن الحد والتلهي والانشغال الذي طال الصغار والكبار حتى النساء والبنات، وأصبح لا يخلو بيت من لاعب أو مشجع، ولا يخلو شارع من مباراة، ولا تخلو قرية من نادي كرة ونادي شباب، وأقيمت الوزارات ووضعت القوانين المنظمة بل والحازمة في اللعب، وبين اللاعبين، وقل مثل ذلك في التمثيل الهابط، والفن الساقط بجميع أشكاله وصوره.

هذا المال وهذه الجدية، وهذا الحزم، وهذا النظام الذي يحكم اللعب ويشجع عليه، الأولى أن يكون لصالح العمل والإنتاج والبحث العلمي.

والداخلية سبب في ارتفاع أسعار اللاعبين، حيث كان سعر اللاعب من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٥ لا يزيد على ٦٠ ألف جنيه وارتفع في الدوري الممتاز (ب) إلى ٤٠٠ ألف ونصف مليون جنيه في الموسم الواحد، والأمثلة كثيرة: إكرامي إبراهيم انتقل لنادي الدخيلة بـ ٤٠٠ ألف جنيه، ملحق الجمهورية بتاريخ ٨/٢/٢٠١٠م العدد (٣٧٦) ص ١٤.

المطلب السادس: الإسراف والتبذير:

إنفاق المال في غير حاجة أو ضرورة، سبب خطير من أسباب الفقر، ويتضاعف هذا الخطر ويشدد كلما زاد الإنفاق عن الحد، وصار عادة معتادة يداوم الناس عليها أفرادًا وجماعات. ويصل الخطر مداه وتكون الطامة الكبرى عندما تسن القوانين لرعاية الإسراف والتبذير وحمايته، وعندما يبارك، ويمول من قبل الدولة الفقيرة^(١)، ومن قوت الشعب، وعلى حساب حياته وعلاجه وتعليمه وكرامته.

أولاً: لأن المال عصب الحياة وعمادها وبدون المال لا يمكن الوصول إلى تنمية شاملة وإنتاج يلبي حاجات المجتمع.

ثانياً: لأن التبذير والإسراف سفاهة وطيش لا تصدر عن عاقل حكيم يقدر الأمور حق قدرها ويضع كل شيء في موضعه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

والسفيه الذي يبدد المال ليس أهلاً لقيادة الأمة في ميادين الحياة، وهو بشهادة القرآن الكريم شيطان رجيم، وليس إنسان حكيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ التَّبْذِيرَ كَانَوَ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۚ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦: ٢٧].

والعلماء أجمعوا على وجوب الحجر على السفيه، وإن كان المال ماله، وإن كان السفيه والدًا أو جدًا أو أمًا أو ابنًا... ومع أن الحجر يقيد حريته ويؤثر على نفسه، ومع ذلك كله يحجر عليه؛ لأن تبديد المال وإتلافه شرّ عام وخطر كبير، وفي القواعد الأصولية المتفق عليها بين العلماء، «أن العام مقدم على الخاص» و«درء المفسد مقدم على جلب المصالح»، «ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام».

وإذا كان ذلك معمول به على مستوى الأفراد والأقارب والأسر والجماعات، فهو من باب أولى عندما يتعلق الأمر بمصير الشعوب والدول والأمم، وعندما يهدد المجتمع في أرزاقه ومقدراته.

(١) أشرت في الصفحات الماضية إلى الأموال التي ترصد للعب ويكفي أن نقرأ أن وزارة الثقافة كلفت فيلمًا واحدًا من بين عشرات الأفلام (المسافر) عشرون مليونًا كما نشرت صحيفة المساء ص ٣ يوم ١٧ / ١١ / ٢٠٠٩ م، عدد (١٩١٩٤)، وما نشرته الصحيفة ذاتها في أول صفحاتها عن الجسر الجوي من مصر إلى السودان لتشجيع المنتخب المصري في لعبه مع الجزائر واستمرار هذا الجسر الجوي يومين متتابعين، كما تقول الصحيفة بتاريخ ١٦ / ١١ / ٢٠٠٩ م عدد (١٩١٩٣).

والإسراف والتبذير بكل أنواعه وجميع أشكاله وصوره موجود في مصر بقوة وكثرة، وعلى جميع المستويات فهو حاصل من الفرد والمجتمع والجماعة والدولة والأمثلة على ذلك كثير.

١- على مستوى الأفراد والأسر:

يقول الدكتور محمود عطية: «علماء الاجتماع يؤكدون دائماً أن الفرد ابن ثقافته ومن أهم ثقافات الشعوب (عاداتها وتقاليدها)، وغالباً - لا حول ولا قوة للفرد - أمام ثقافة مجتمعه يشترها بحلوها ومرها - إلا ما رحم ربي وملك عزيمة من حديد تؤهله للوقوف أمام بعض ثقافات مجتمعه. وبما إنني - كغيري - لا أملك قوة التغيير، اعتبرت نفسي ضحية لعاداتنا وتقاليدينا التي تعلى من قيمة (الأكل) ولا تحتاج أنت - قارئ - إلى جهد كبير للتأكد من اقتران كل أعيادنا ومناسباتنا بالأكل وبأنواع معينة من الأكل، ولا أعرف لماذا هذه الأنواع بالذات، مثلاً شم النسيم، ارتبط بأكل البيض وتلوينه، وبالفسيخ والسردين، ومولد النبي ﷺ ارتبط بشراء وأكل حلوى المولد ... والأعياد ارتبطت بصناعة وأكل الكعك وغيره..... ورمضان وموائد الرحمن والقطايف والكنافة أظن أن تلك الأعياد والمناسبات ساهمت بقدر لا يغتفر في ترويض غذائنا حتى وجدت نفسي أحد عتاة (الأكيلة)، أعدت تقريباً تناول اللحوم في معظم وجبات اليوم، وفجعت كما فجع الكثيرون ممن نخرت ثقافة الأكل في عظامهم»^(١).

ولعل ما ذكره الدكتور محمود عطية/ هو الواقع المشاهد الذي يتنافى مع تعاليم الإسلام الراضية للإسراف والتبذير والتبعية والانقياد^(٢).

ولم يقف الأمر عند حد الأعياد والمناسبات التي أشار إليها الدكتور محمود عطية، بل تطور الأمر ولا يزال يتطور، فهناك أعياد الميلاد، وأسبوع المولود، وعيد الحب، وما ينفق في رمضان، وفي المصايف، والرحلات، ولعب الأطفال، وأجهزة المحمول، ومصانع الشبسي، والبسكوت، والمشروبات، والمخدرات، وكروت المعايدة، والشموع والألعاب النارية، وما ينفق على الأفراح من خطوبة وشبكة وعقد وبناء.... إلخ.

(١) احترس مصر ترجع إلى الخلف ص ١٣١، ١٣٢، مرجع سابق.

(٢) ففي الحديث : «لا تكونوا إمعة تقولوا: إذا أحسن الناس أحسنا، وإذا ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إذا أحسن الناس أن تحسنوا، وإذا أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم»، رواه الترمذي في سننه، وقال حديث حسن رقم (٢٠٠٧) ج ٤، ص ٣٧٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت / تحقيق أحمد شاكر، وآخرون.

ولا يخفى على أحد ما يقوم به التجار من دعايات وترويج واستيراد؛ لأن كثيراً من هذه السلع لا يصنع محلياً، وإنما يستورد بعضه بالعملة الصعبة كفانوس العيد الذي تصدره لنا الصين ودول أوروبا ولعب الأطفال وأجهزة المحمول وغير ذلك كثير.

ناهيك بسوق الزينة للنساء والرجال وأنواع المكياج والعطور والميداليات الجديدة والموضة السنوية وفنون الطهي الحديثة والأساسات المنزلية المستوردة، والشاليهات، والفسح، والمصايف، وغير ذلك كثير، وتنفق فيه أموال هائلة، وعلى نطاق واسع، وعلى حساب التنمية، والإنتاج.

وللأسف صارت هذه الأمور جزءاً هاماً من ثقافة المجتمع، البعض يرى أنها دين لا يمكن التخلي عنه ولو أدى ذلك إلى الاقتراض، وبالفعل تجد من يقترض ليذهب إلى المصيف ولا يقطع عادة اعتادها، ومن يقترض ليشتري العفش والأساس الذي يرضيه أو زوجته أو الناس ... ونظام البيع بالتقسيط سهل لنا الحصول على ما نريد ويترتب على ذلك ديون وديون يظل المرء يسدد أصحابها سنوات طويلة يضيع معها معظم العمر، وعندما يسدد ما عليه ويفكر في إنشاء مشروع منتج يرى نفسه وقد تقدم به السن وازدحم بأعباء المعيشة فقد صار له أولاد وزوجته، هذا على مستوى الأفراد والأسر في مصر وهو ظاهر ومعروف.

٢ - الإسراف والتبذير على مستوى الدولة: وهو الأخطر والأدهى والأمر؛ وذلك لأن القوانين المعمول بها لا تضع حداً للإسراف وتبذير الأفراد، والأسر بل وتعينهم على ذلك بتوفير واستيراد السلع الترفيهية والسلع الاستهلاكية،^(١) وتيسير الحصول عليها وإغراق الأسواق بها والسماح بالدعاية لها ولا تتدخل في ترشيدها، ووضع الضوابط المتوازنة للاستفادة منها في حدود لا تضر بالتنمية والإنتاج لاسيما (السلع الاستراتيجية)^(٢) اللازمة والضرورية التي لا يستغنى عنها المجتمع يوماً واحداً، كالقمح، ومواد البناء، والدواء، والتعليم، والصرف الصحي، وغيرها من السلع الأولية والمشاريع المهمة التي تفتح الأمل أمام الشباب وتعيد إليه الثقة في نفسه وفي بلده وقدرته على الإنتاج والعطاء.

(١) انظر كتاب الاقتصاد المصري بين التبعية والاستقلال ص ١١٧ وما بعدها، مرجع سابق، وكتاب مصر والدائرة المتوسطة ص ٢٨٦ ومتا بعدها، مرجع سابق.

(٢) كلمة استراتيجية كلمة يونانية وتعني هنا الشيء البالغ الأهمية، ومنها القوى الاقتصادية، انظر كتاب رائد الطلاب ص ٦٣، مرجع سابق.

والإسراف والتبذير لم يقف عند حد استيراد الكماليات والسلع الترفيهية وتسهيل الحصول عليها والدعاية لها، وإنما تعدى ذلك بكثير حيث نرى الإنفاق الرسمي على مشاريع كان في الإمكان - مثلاً - أن تقوم المدن الجديدة بعيداً عن القاهرة ومستقلة عنها ولكن جميع المدن الجديدة تقريباً قامت على حساب القاهرة الكبرى، في المرافق والطرق والجامعات والمستشفيات، فزادت الأزمات وتنوعت وتعقدت، وصارت تؤرق المصلحين، وتربك المواطنين ... الأمر الذي جعل الجميع يفكر في حلول فورية وعاجلة للخروج من الوضع الراهن^(١).

وننتج عن ذلك العشوائيات، والبناء غير المرخص، والمخالف للنظم والمواصفات العالمية وانتشر ذلك في عموم محافظات الجمهورية، وأصبح واقعاً أليماً، فرض على الدولة التعامل معه، إما بهدمه وتدميره، وإما بالاعتراف به وتطويره، وكلا الحالتين لا تخلو من الإسراف والتبذير بيوت تهدم، وبيوت تقام، خزانات صرف ومياه تردم وأخري تقام .. مشاريع ماء وترع تردم وأخري تقام، ناهيك عن كسر الأرصفة والطرق المعبدة لتوصيل المرافق وإعادة تخطيطها ورصفها.

(١) انظر كتاب مصر دولة عظمى، ص ١٣: ١٧ مرجع سابق.

المطلب السابع: الفساد المالي والإداري وغياب الرقابة الرادعة:

ذكرت - فيما تقدم - أن مصر مليئة بالثروات والخيرات، وأن ما يصب في خزانة الدولة من عائدات البترول والغاز الطبيعي وقناة السويس والضرائب والمساعدات والمنح والإعانات الخارجية .. وغير ذلك كثير^(١)، ولا يوزع توزيعاً عادلاً على جميع فئات الشعب ولا يوظف توظيفاً مفيداً وصالحاً، وهذا عائق من أكبر العوائق التي تعطل التنمية والإنتاج، وتُبقى الفقر والاحتياج.

ورغبة في الاختصار؛ لأن الحديث عن الفساد المالي والإداري وغياب رقابة الدولة ... يطول لكثرة ما كتب ونشر وأُعلن.

أبدأ هنا بذكر ما قاله أحد العلماء المتخصصين، في مجال الاقتصاد عن تبديد الأموال العامة في غياب الرقابة الرادعة التي تحاسب أو تعاقب أو تعاتب.

«إن قطاع الأعمال العام يمثل ركيزة في بناء الاقتصاد الوطني، ينبغي أن تتوفر له مستويات متعالية في الكفاءة الإدارية والقدرة التنافسية بما يسمح له بالمساهمة بفاعلية في إنتاج القيمة المضافة في تعظيم الناتج القومي الإجمالي.

إن قطاع الأعمال العام يمكنه - إذا أحسنت إدارته - أن يعمل على تحقيق التوازن في الأسواق وكبح جماح القطاع الخاص (المنفلت) والحد من نزعاته الاحتكارية، ويدعونا هذا الاقتناع إلى مراجعة أوضاع ذلك القطاع وإعادة هيكلته على نحو يعود به إلى الشكل الأفضل، وذلك بدمج الشركات القابضة القائمة حالياً في شركة قابضة واحدة تتبعها جميع الشركات التي تقرر بقاؤها في نطاق الملكية العامة.

وسوف تهتم الشركة الجديدة بتقييم أداء شركاتها التابعة لها بشكل مستمر، وبمعايير تقييم الأداء عالمياً، ويتم محاسبة الإدارة بها على أساس النتائج المتحققة في ضوء نتائج الأداء وتقييم قدرات الشركات على المنافسة والتطور ومواجهة متغيرات التقنية وتطوير الأسواق، وتتخذ الشركة القابضة قرارات استراتيجية بالإبقاء على الشركات الناجحة ومعالجة أوضاع الشركات الأقل كفاءة، سواء ببيعها أو تصفيتها أو إعادة هيكلتها بحسب الأحوال.

(١) انظر كتاب الحقيقة والوهم في الواقع المصري ص ٤٤، ٤٥، مرجع سابق.

ولعلي أختتم بدعوة أشدد فيها أن تطرح الدولة سياساتها نحو قطاع الأعمال بشفافية كافية للنقاش العام وأن يتم استفتاء الشعب في أسلوب التصرف في تلك الشركات حيث إنه هو المالك الوحيد وصاحب الحق في اتخاذ القرار بشأنها»^(١).

هذا الكلام الذي قدمه الدكتور علي السلمي/ عن الوضع الراهن للنظام المالي والإداري في مصر، أعتقد أنه لا يحتاج إلى تعليق، لا؛ لأنه صدر عن رجل علم متخصص في مجال الاقتصاد والرقابة الإدارية والتنمية وشغل منصب وزير في حكومة السيد/ ممدوح سالم سنة ١٩٧٧م، وفي حكومة الدكتور/ مصطفى خليل سنة ١٩٧٨م^(٢)، ولكن - زيادة على ذلك - الأسئلة التي قدمها الدكتور علي السلمي المتعلقة بالفساد المالي والإداري والتي كررها - كما يقول - في أكثر من مناسبة ولم يجد لها إجابات شافية^(٣).

من هذه الأسئلة ما يتعلق بسندات دولارية تسببت في خسائر كبيرة، وقد تم تبرير الخسائر بما نتج عن الفرق في سعر الفائدة المدفوعة والعائد المتحصل!! ومنها ما تسبب في اضطراب وتقلبات السوق لاسيما السلع الاستراتيجية، كالحديد المسلح وغيره.

والعجيب أن هذا الفساد يحرسه القانون ويوجد له المبررات والأعذار، والحق أن القوانين الوضعية لا تخلوا من نقص أو قصور أو جور أو مجاملات، اللهم إلا من انضبط منها بضوابط الشرع الإسلامي الخلقية منها والاجتماعية والفقهية، ومنها:

(الابتعاد عن الاحتكار)؛ لأن الإسلام يريد مجتمعاً متعاوناً يسوده الحب والتكافل ولا يعرف الأنانية ولا الأثرة، ولا حب الذات، ولا الإضرار بالغير... ولذلك حرم الاحتكار^(٤)، ومصر الآن مليئة بالممارسات الاحتكارية التي طالما أضرت بالبلاد والعباد، والتي تتم بمباركة رسمية، وحماية قانونية، وحصانة لا تطاها التحقيقات....

يقول الأستاذ السلمي: «أين نتائج التحقيق في ملف الممارسات الاحتكارية في سوق الحديد؟ والغريب أن في مصر قانوناً صدر يعد معاناة طويلة باسم «حماية المنافسة ومنع الممارسات الاحتكارية»، المفترض أن يكون القانون إيجابياً في رصد تقييد المنافسة وممارسة الاحتكار»^(٥).

(١) مصر المحروسة، مرجع سابق ص٧١، ٧٢، ٧٣، بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص٤٩٤.

(٣) المرجع السابق ص٦٢، ٦٣، وما بعدهما.

(٤) انظر الضوابط الشرعية للاستثمار، ص٢٦٥، مرجع سابق.

(٥) مصر المحروسة ص٦٤، ٦٥ بتصرف يسير.

وإذا كانت هذه الملاحظات وهذا النقد وهذا التقييم والاقتراح والرغبة في تصحيح الوضع... صادرًا من أهل العلم والاختصاص، فماذا يقول الرجل البسيط وهو يرى عجب العجائب في الفساد وغياب الرقابة^(١).

ماذا يقول الرجل العادي وهو يرى أملاك الدولة تباع ولا ينوبه منها منزل صغير أو مقبرة توارى سواته!!؟

ماذا يقول من يرى الميزانيات الهائلة التي ترصد لبناء المدن الحديثة، والفلل، والقصور، وهو يعيش مع الأموات بين القبور؟^(٢).

ماذا يقول من يرى الآلات العملاقة التي تردم الترع ومشاريع المياه لتبوير الأراضي الزراعية بقصد بيعها بأضعاف أضعاف سعرها رغبة في إقامة الأبراج العالية ذات الشقق الغالية لفئة خاصة وبتيسيرات خاصة^(٣).

(وقائع رشاوى الشركات العالمية في مصر عديدة، وحكاياتها متنوعة، وآثارها مدمرة اقتصاديًا وسياسيًا، لقد أصبح منطق الدفع غير الرسمي هو القاعدة، والتعامل القانوني هو الاستثناء في سوق الصناعات الثقيلة خاصة وسائل النقل، ولم يكن غريبًا أن يتم تصنيف مصر في موقع متأخر في معظم التقارير الدولية الخاصة بالفساد)^(٤).

يقول السيد شفاء عبد الغني: «إن الأمانة والضمير وحب الوطن والتضحية، وإنكار الذات مفردات غابت وتغيب في هذا الزمان، ولا بد من إعادتها لأهميتها في تنمية المجتمع وتحقيق التقدم والازدهار»^(٥).

(١) انظر كتاب جذور الفساد المالي والإداري في مصر ص ٤٠، وص ١٨٩ مرجع سابق.

(٢) انظر ما نشر في صحيفة الجمهورية عن أموال الدولة المنهوبة ص ١ - ٢ بتاريخ ٢٨/٣/٢٠١١ م، وصحيفة الأخبار المصرية بنفس التاريخ السابق ص ١ - ٧ - ٤ عن الأجهزة الرقابية وما كشفتته من ثروات منهوبة وفساد..... لم يسبق له مثيل في مصر.

(٣) انظر كتاب الحقيقة والوهم في المجتمع المصري ص ٢٢ وما بعدها مرجع سابق.

(٤) مصطفى عبيد / خبايا وأسرار زواج البيزنيس للسلطة، مليارديرات حول الرئيس، ص ١٥٥، ط كنوز للنشر والتوزيع سنة ٢٠١١ م.

(٥) راجع كتاب مصر دولة عظمى ص ١٣، ٢٣، مرجع سابق.

الفصل الرابع

علاقة الفقر بالقيم والأخلاق:

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

التمهيد: وفيه مناقشة مسائل ثلاث تتعلق بعلاقة الفقر بالقيم.

المبحث الأول: أثر مشكلة الفقر على العقيدة الإيمانية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سوء الظن - بالله تعالى - والشك في عدله والاعتماد على غيره.

المطلب الثاني: الاستعداد لقبول الأفكار الهدامة والمذاهب الإلحادية التي تصدر لمصر.

المبحث الثاني: أثر مشكلة الفقر على العبادة وإقامة الشعائر.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التقاعس في التزام الفرائض بدعوى (العمل عبادة).

المطلب الثاني: تقلص الوقف الإسلامي.

المطلب الثالث: البخل وعدم إخراج الزكاة بالقدر الذي يسد حاجة المجتمع.

المطلب الرابع: رفع الأصوات في المساجد، ومزاحمة الشعائر بالمشاريع الإنتاجية.

المطلب الخامس: كثرة عدد المتسولين والشحاذين أمام المساجد.

المبحث الثالث: أثر مشكلة الفقر على الأخلاق والسلوك:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ظاهرة السب والمجاهرة بالألفاظ غير اللائقة.

المطلب الثاني: الاعتداء على الوالدين والأولاد والمحارم.

المطلب الثالث: قبول العمل في المهن اللاأخلاقية، والكسب اللامشروع.

المطلب الرابع: الحقد والحسد من الفقراء على الأغنياء.

المبحث الرابع: أثر مشكلة الفقر على العلم والفكر والإبداع.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرغبة عن التعليم الديني إلى المدارس الأجنبية .

المطلب الثاني: التفكير المستمر في الحصول على مقومات الحياة .

المطلب الثالث: ضعف الإرادة وفقد الثقة في النفس والقدرة على التفكير والإبداع.

المطلب الرابع: إهمال الأبحاث العلمية، وعدم الاستفادة منها.

المبحث الخامس: أثر مشكلة الفقر على الترابط الأسري:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التفكك الأسري وزيادة معدلات الطلاق.

المطلب الثاني: ضعف دور الوالدين في تربية الأولاد بسبب الخروج للكسب

ومضاعفة ساعات العمل.

المطلب الثالث: الهروب من المسؤولية بدعوى عدم القدرة على النفقة.

المطلب الرابع: العزوف عن الزواج والإحساس بالعجز عن تكوين الأسرة.

المطلب الخامس: كثرة العداوات والخلافات بين الأقارب.

المبحث السادس: أثر مشكلة الفقر على أمن المجتمع واستقراره:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: زيادة معدلات الجريمة.

المطلب الثاني: تبدل الحس وترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: زيادة عدد اللقطاء وأطفال الشوارع.

المبحث السابع: أثر مشكلة الفقر على الكيان السياسي للدولة:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: فتور العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة.

المطلب الثاني: السخرية والاستهزاء وكتمان العداء للسلطة.

المطلب الثالث: قيام الاحتجاجات للمطالبة بتوفير ضرورات الحياة.

المطلب الرابع: ظهور التيارات المناوئة لنظام الحكم سياسية كانت أو اجتماعية.

المطلب الخامس: ظهور الثورات المطالبة بالحرية، والعدالة الاجتماعية.

تمهيد

مناقشة مسائل ثلاث تتعلق بعلاقة الفقر بالقيم والأخلاق

قبل الحديث عن علاقة الفقر بالقيم .. أود أن أناقش - باختصار - ثلاث مسائل مهمة لها صلة وثيقة بموضوع هذا البحث، وهنا يجدر بحثها، وهذه المسائل الثلاث هي:-

١ - الأحاديث التي يفهم البعض أنها تمدح الفقر وتنوه بشأنه.

٢ - ثبات بعض الفقراء على دينهم وقيمهم رغم استمرار الفقر.

٣ - خطورة الترف الزائد على القيم لا تقل عن خطورة الفقر.

مناقشة المسألة الأولى:

أولاً: لا توجد أحاديث (صحيحة) تشيد بالفقر وتبين فضله، وما ورد من نصوص فهمها (بعض العلماء)^(١) أنها تمدح الفقر كلها لا تصح، ولا تنهض للاحتجاج، «فليس في مدح الفقر آية واحدة من كتاب الله، ولا حديث واحد يصح عن رسول الله ﷺ»^(٢).

ثانياً: ما صح من روايات تمدح الفقراء الصابرين على الفقر ليس فيها دلالة قاطعة على مدح الفقر (لذات الفقر) ولا مدح الفقير (لمجرد أنه فقير)، وإنما المدح لاعتبارات وقرائن أخرى كـ (التعفف أو الصبر أو الزهد)، إذ قد يكون النص قطعي الثبوت ولا دلالة له في الحكم.

ولقد أنكر كثير من العلماء على من فهم من هذه الرايات أن الإسلام يمدح الفقر (لذات الفقر)، بل واعتبروا هذا الفهم دخيلاً، ووافداً على المسلمين «من المانوية الفارسية، والصوفية الهندية، والرهبانية النصرانية، وما شابههم من النحل المتطرفة، وما ورد في مدح الزهد لا يعني مدح الفقر، فإن الزهد يقتضي ملك شيء يزهد المرء فيه»^(٣).

(١) كالإمام أبي حامد الغزالي / في الإحياء ج ٣ ص ٧٦ : ٧٧ وص ٢٤٨ تحت عنوان: (فضل الجوع، وذم الغنى، ومدح الفقير) ط دار القلم بيروت، بدون ، كذلك ماورد في الرسالة القشيرية ص ٣٠٣ ط دار جوامع الكلم سنة ٢٠٠٧ م، من أن (الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختيار الحق سبحانه وتعالى لخواصه من الأتقياء والأنبياء إلخ) ، وكذلك الإمام النووي في رياض الصالحين ص ١٥٦ وما بعدها، ط دار خالد بن الوليد سنة ٢٠٠٤ م عن الفقر والفقراء.

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام / د . القرضاوي ص ١٢ ، مكتبة وهبة ط ٢٠٠٣ م.

(٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٢ وما بعدها ، مرجع سابق .

ولقد رد الإمام ابن الجوزي رحمته الله، على الإمام أبي حامد الغزالي والمتصوفة فيما أوردوه عن فضل الفقر على الغني ... فقال: «وهذا خلاف الشرع والعقل، وسوء فهم المراد بالمال وقد شرفه الله وعظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمي الشريف ... قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥] .

ونهى النبي صلوات الله عليه عن إضاعة المال، وقال لسعد رضي الله عنه: «إنك إن تدع ورثتك أغنياء خيراً من أن تدعهم فقراء عالة يتكففون الناس»^(١)، وقال لعمر بن العاص رضي الله عنه: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(٢)، ثم سرد الإمام ابن الجوزي عدداً من الأحاديث الدالة على فضل المال الحلال ثم قال: «وهذه الأحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده الصوفية من أن إكثار المال حجاب وعقوبة»^(٣).

وللشيخ محمد الغزالي رحمته الله كلام كثير في خطورة مدح الفقر، معتبراً أن هذا خطأ كبيراً، ينافي حقيقة ما جاء في الإسلام عن الفقر من أنه مصيبة يعمل الإسلام على تخليص الناس منها، وأن النبي صلوات الله عليه قرن الكفر بالفقر وأنه استعاذ بالله منهما معاً في قوله: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»^(٤)، وأن الفقر خيره في غيره كالدواء المر أو كمصائب الحياة.

(١) متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو جزء من حديث طويل، رواه البخاري برقم (١٢٣٣)، باب رثي النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة، (١ / ٤٣٥) دار ابن كثير مرجع سابق، ومسلم (٣ / ١٢٥١) باب الوصية بالثالث (١٦٢٨).

(٢) صححه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وعند الإمام أحمد في المسند برقم (١٨٢٣٦)، (٤ / ٢٠٢)، وقال الهيثمي: (٩ / ٣٥٢، ٣٥٣)، وصححه ابن حبان (الموارد / ٢٢٧٧)، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم: (٢ / ٢٣٦).

(٣) انظر كتاب دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د/ القرضاوي ص ٩٤ وما بعدها، ط مكتبة وهبة سنة ٢٠٠١، إذ فيه ردود للعلماء على الإمام الغزالي في قوله: «ترك المال الحلال أفضل من جمعه»، قال ابن الجوزي ليس كذلك فمتى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف بين العلماء ... وقال: هذا مذهب السلف، وذكر سعيد بن المسيب والثوري ... ثم ذكر القرطبي، وقد ساقوا الأدلة على ذلك، كما خرج الحافظ العراقي الأحاديث التي أوردتها أبو حامد في الإحياء وحكم عليها بالضعف والوضع، انظر الإحياء ج ٣ ص ٧٦ - ٧٧ وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار، ط دار القلم بيروت، بدون تاريخ.

(٤) رواه الحاكم والبيهقي في الدعاء، عن أنس «صحيح الجامع (١٢٥٨)، ورواه أبو داود في الأدب عن أبي بكر برقم (٥٠٩٠)، تحقيق/ محي الدين عبد الحميد (٤ / ٣٢٤)، ط دار الفكر، عن أبي هريرة في سنن البيهقي الكبرى برقم

ثم يقول الشيخ : « لا تُفسّر نصوص الدين تفسيراً سقيماً يجعل الناس يظنون أن الفقر في الدنيا سبيلاً للغنى في الآخرة »^(١).

ثالثاً: « إن هذه الأحاديث للمواساة والبشرى ولا تعني أبداً أن الغنى عيب، وأن الشراء يؤخر المنزل، بيد أن جهلة المحدثين أرادوا إقامة مجتمع من الصعاليك وروو آثاراً تجعل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يدخل الجنة حبواً، وهذه بلاهة منكورة، فإن المال قوام الحياة، وأساس الدولة، وكافل المؤسسات المدنية والعسكرية، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هو بنص القرآن الكريم من السابقين الأولين الذي حازوا الرضوان الأعلى وبشروا قبل غيرهم بالجنة، وتحبيب الفقر للناس كما يفعل هؤلاء المحدثون القاصرون جريمة، فإذا انضم إلى ذلك أن العرب يحتقرون الحرف - تمشياً مع جاهليتهم الأولى - ويفضلون عليها الفقر، عرفت أي مجتمع تصنعه هذه التعاليم »^(٢).

وما ورد من أن كثيراً من الصحابة كان غنياً كسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جهز جيش العسرة، وسيدنا أبي بكر رضي الله عنه وقد قال عليه السلام : « ما نفعني الله في الإسلام بمال كمال أبي بكر »^(٣)، والسيدة خديجة رضي الله عنها ودورها في مناصرة الإسلام والمسلمين بالمال والنفس معروف ومشهور.

ولا ينكر أحد أن هؤلاء وإخوانهم من الصحابة الأغنياء كانوا أتقياء وأولياء وأصفياء، وأن الله تعالى مدحهم بما هم أهل له، وما يطول ذكره^(٤).

(١٢٩٢٩)، (١٢/٧)، باب ما يستدل به على أن الفقير أمس بالحاجة من المسكين، ط دار الباز، مكة المكرمة ١٩٩٤م / ١٤١٤هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٦٠ وما بعدها، ط دار القلم دمشق سنة ٢٠٠٥ م.

(٢) هموم داعية للشيخ / محمد الغزالي ص ٤٩ ط دار البشير سنة ١٤٠٥ هـ.

(٣) رواه أبو هريرة صحيح ابن حبان برقم ٦٨٥٨ (١٥ / ٢٧٣) مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٣ / ١٤١٤ ط الثانية تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٤) للمزيد ارجع إلى كتاب الجهاد الاقتصادي فريضة شرعية د / حسين شحاتة ، ص ١٤ ، ١٥ ، ط دار الطباعة والنشر سنة ٢٠٠٢ م.

مناقشة المسألة الثانية، وهي: ثبات بعض الفقراء على قيمهم رغم استمرار الفقر

كثير من الفقراء ثبتوا على مبادئهم وما تخلوا عن قيمهم بسبب الفقر وقد مدحهم الله ﷻ إذ قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة ٢٧٣]، وقوله ﷻ: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان ... إنما المسكين الذي يتعفف»^(١)، فهذه شهادة من رسول الله ﷺ أنه يستعفف وفي رواية: «لا يقوم فيسأل الناس ولا يفتن الناس إليه فيتصدقوا عليه»^(٢).

وما ورد في أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء، وأن الجنة تفخر على النار بأن أهلها من الفقراء ألا يدل ذلك على فضل الفقر والفقراء؟!

الجواب: كلا، وإليك بعضاً من الأدلة:

أولاً: الآية الكريمة: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا.....﴾، والحديث الشريف: «ليس الفقير الذي ترده اللقمة إلخ»، ليس فيهما دلالة على فضل الفقر، وأنه الخيار المقدم على الغنى، وغاية ما يفهم من الآية والحديث - في هذا السياق - هو وجود فئة من الفقراء غلب عليها الحياء، تفضل الصبر على الفقر، والتعفف عن السؤال، لا بد من النظر إليهم وإدراجهم ضمن الفقراء، «فالمدح ليس لذات الفقر وإنما لصبر وزهد وتعفف هذه الفئة، فإذا تحملت هذه الفئة شقاء الجوع والبؤس والحرمان فليس ذلك دليلاً على خير نظام ارتضوه لأنفسهم وإنما هو الواقع المر الذي فرض عليهم»^(٣). ولا أنكر أن هناك فقراء أوفياء لدينهم وقيمهم لا يزالون بخير، مهما عضهم الفقر بنابه فهم ثابتون شاحون، لا يذلون أنفسهم ولا يضيعون كرامتهم، وهذا لا يعني أن كل الفقراء كذلك، ولا يمنع أن غيرهم - وقد يكون الأكثر - قد ذلوا أنفسهم وفرطوا في دينهم وكرامتهم وقيمهم بسبب الفقر^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة برقم (٤٢٦٥) باب لا يسألون الناس إلحافاً، (٤ / ١٦٥١) دار ابن كثير

مرجع سابق.

(٢) موطأ مالك عن أبي هريرة برقم ١٦٤٥ (٢/ ٩٢٣) دار إحياء التراث العربي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) انظر كتاب «دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي» ص ٩٢، ١٠٠، مرجع سابق، وكتاب الإسلام

والأوضاع الاقتصادية ص ١٤٠ وما بعدها، مرجع سابق.

(٤) وهذا سأعرض له بالتفصيل - إن شاء الله - في هذا الفصل.

ثانياً: ما ورد من أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء ... فهذا ليس فيه دليل على أن الفقر طريق إلى الجنة، فقد يعيش المرء طوال حياته فقيراً مدقعاً، ومصيره إلى النار، والعكس صحيح، ويوم القيامة يمر على الغني التقي كساعة، ويمر على الفقير الشقي كخمسين ألف سنة.

ويكفي لتأكيد هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وكم من غني تقي، وكم من فقير شقي.

ثالثاً: لقد تكلم كثير من العلماء عن خطر الفقر على منظومة القيم، وأنه عدو لدود للإنسان وأنه سبب التناحر والعداء والخصومة والشقاء ... وأن هناك آيات كثيرة وأحاديث صحيحة حذرت من ضياع أعظم القيم بسبب الفقر الواقع أو المحتمل.

- أما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الانعام

[١٥١].

- ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾

[الإسراء ٣١].

- وأما الأحاديث فمنها قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة»^(١).

- وقوله ﷺ «ادرءوا الحدود بالشبهات»^(٢)، حتى صارت قاعدة^(٣) معمول بها، فقد تثبت السرقة على السارق ومع ذلك لا تقطع يده إن ثبت أنه جائع أو محروم كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرماة « فقد منع قطع يد السارق؛ لأنه اعتبر أخذه للمال أخذاً لحقه الذي يحق له بمقتضى التضامن ووجوب المساواة»^(٤).

(١) حديث حسن رواه النسائي عن أبي هريرة برقم ٥٤٦١ باب الإستعاذة من الذلة (٨ / ٢٦١) دار المطبوعات الإسلامية بحلب ١٩٨٦ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الثانية.

(٢) سنن البيهقي الكبرى (٨ / ٣١) لأحمد بن الحسين البيهقي / ٤٥٨ هـ / ط سنة ١٤١٤ هـ / تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز مكة المكرمة.

(٣) انظر فقه السنة للشيخ / سيد سابق، ج ٢ ص ٣٦٧، ٣٦٨، ط الفتح للإعلام العربي سنة ١٩٩٢ م / ١٤١٢ هـ.

(٤) انظر كتاب الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٦٤، ٦٥، مرجع سابق، وانظر كتاب نظرات في فقه الفاروق عمر ص ١٩٠، الشيخ محمد المدني ط المجلس الأعلى لشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٢ م.

الإسلام الذي يحرك الجيوش لقتال مانعي الزكاة يسقط حد السرقة لمجرد شبهة الجوع والحرمان ويعفي السارق من قطع يده، وكأنه يلتمس له عذراً، ويعترف الاعتراف الكامل بدور الغرائز في الحياة، وضغوطها، وأن الفقر يؤثر على الإرادة الحرة للإنسان.

وتأمل ما ورد في الكتاب العزيز من مدح للأَنْصَار (الأوس والخزرج) أهل المدينة من أنهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، ومع ذلك وجدوا في أنفسهم - على رسول الله ﷺ - عندما قسم غنائم حنين على المهاجرين دون الأنصار^(١). كل ذلك يؤكد أن الفقر يؤثر على القيم الفاضلة من قريب أو بعيد ويقتلها أو يمرضها أو يعطلها.

رابعاً: «الإسلام يجعل الغنى نعمة يمن الله بها، ويطلب بشكرها فلقد منَّ الله على رسوله ﷺ فقال: ﴿وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى ٨]، وجعل إتياء المال من عاجلة مثوبته لعباده المؤمنين، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [توحي: ١٠، ١٢]»^(٢)، وإذا أراد الله أن يعاقب أمة طغت وفسدت ... سلب عنها النعمة، تأمل قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿كَم تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَفَاهِمْ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدخان: ٢٥: ٢٩].

مناقشة المسألة الثالثة: خطورة الترف على القيم:

قد يكون الترف والغنى - البعيد عن هدى الإسلام - أشد على القيم الإيمانية، والإنسانية من الفقر، وهذا صحيح ولا ينكر، فالترف الزائد أخطر على القيم من الفقر المدقع أو مثله؛ (لأنه ليس من العدل ولا من الإنصاف ربط كل مصيبة أخلاقية بالفقر والاحتياج، سواء كان سوء الأخلاق في الجانب المادى كالسرقة والرشوة، فهذه الجرائم اتضح أن أشدها وأكبرها كان من أناس لا يعرفون كلمة فقر واحتياج، فوزراء ووجهاء ونواب في البرلمان ورجال أعمال وغير ذلك من أصحاب المهن المحترمة في دنيا الناس اتهموا بالرشوة والفساد وبعضهم ثبتت عليه التهمة وعوقبوا بالسجن، وكذلك سوء الأخلاق في جانب غريزة الجنس ليس الدافع له الفقر والاحتياج بقدر ما يكون الدافع تطلعات مادية ووفرة اقتصادية وامتلاك الأموال، والعرب يقولون تجوع الحرة ولا تأكل بنديها، وكثير من القصص المأسوية لم يكن باعث الفقر هو الدافع، بل كانت هناك دوافع أخرى ورآها^(٣).

(١) للمزيد انظر فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٤١٣ وما بعدها مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٢، مرجع سابق.

(٣) أ.د/ أحمد ربيع يوسف، حولية كلية الدعوة الإسلامية، الجزء الثاني ص ٣٩، الثقافة الإسلامية، الإصدار الثاني،

العدد الحادي والعشرون سنة ١٤٢٧ / ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م.

فالأغنياء والأقوياء ليسوا مبرئين من الاعتداء على القيم، وهذا موضوع آخر يحتاج إلى بحث مستقل، ليس هنا مجاله.

المجال هنا والحديث عن علاقة الفقر بالقيم، بالفقير الذي لا يجد - مثلاً - سكناً مناسباً لا شك أن ذلك يؤثر - سلباً - على أخلاقه وقيمه؛ (لأن عدم توافر المسكن الملائم للأسرة - وهو أحد المشاكل الاقتصادية - قد يكون سبباً في ارتكاب الجرائم، للأسرة التي تسكن في غرفة واحدة يصير الكل فيها مكشوفاً أمام الآخر، اختلاط في المضجع قد يرى الأولاد ما يحدث بين أبويهم فيهيج سعارهم)^(١) وكذلك الحال إذا احتاج الأولاد إلى الطعام والدواء وكانوا في حرمان، فكما أن تنغيص النوم مغضبة، فحرارة الجوع ملهبة، وعدم وجود الدواء بلاء، قلّ مَنْ يصبر عليه.

وإذا كانت القيم مهددة من بعض الأغنياء فهي مهددة - أيضاً - من بعض الفقراء، والحكم بأن الغني - البعيد عن منهج الله - ينتهك القيم الإيمانية، والإنسانية، لا يمنع أن يكون الفقير - البعيد عن منهج الله أيضاً كذلك، لأن الحكم على الشيء لا يمنع الحكم على غيره.

خلاصة ما تقدم:

- ١- ما ورد من نصوص تمدح الفقر، كلها مردودة ولا تصح.
 - ٢- لا يمدح الفقر لذات الفقر ولا الفقير لمجرد أنه فقير، وإنما المدح لاعتبارات وقرائن أخرى كالزهد والورع والصبر والتعفف.
 - ٣- نعم هناك فقراء أوفياء لدينهم وقيمهم، ثبتوا على مبادئهم، ولم يتغيروا بسبب الفقر، وهذا لا يمنع أن هناك آخرين ليسوا كذلك.
 - ٤- الترف الزائد قد يكون خطراً على القيم من الفقر المتقع - وهذا صحيح ويحتاج إلى بحث مستقل - إذ إن الفقر سبب خطير من أسباب ضياع القيم، وليس هو السبب الوحيد.
- والعلماء يؤكدون أن للفقر آثاراً خطيرة على العقيدة والعبادات والأخلاق والسلوك، والمعاملات، والفكر والأسرة والدولة والمجتمع وهذا ما سأذكره بالتفصيل في الصفحات التالية، إن شاء الله تعالى.

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

المبحث الأول

أثر الفقر على العقيدة

وفيه مطلبان هما

١- سوء الظن بالله تعالى والشك في عدله والاعتماد على غيره.

٢- الاستعداد لقبول الأفكار الهدامة والمذاهب الإلحادية.

المطلب الأول: سوء الظن بالله تعالى والشك في عدله والاعتماد على غيره:

المرء الذي لا يستطيع أن يوفر لنفسه وولده ضروريات الحياة من طعام ودواء وسكن.... لا شك أنه مهموم بفقره، فالعجز والبؤس والجوع والحرمان آفات خطيرة على العقيدة «وبخاصة الفقر الذي بجانبه ثراء فاحش، وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح والمترف هو المتبطل القاعد، الفقر حينئذ مدعاة للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون، والارتباب في عدالة التوزيع الإلهي للرزق..... هذا الانحراف العقدي الذي نشأ من الفقر هو الذي جعل بعض السلف يقول: إذا ذهب الفقر إلى بلد، قال له الكفر: خذني معك!! وقال ذو النون المصري: أكفر الناس ذو فاقة لا صبر له، وقل في الناس الصابر»^(١).

إن الفقير يبصر الغني وهو غارق في النعمة وقد يزداد الشك إذا كان الغني كافرًا أو فاسقًا قد جمع المال من حرام ويبعثه في غير ما خلق له، وله من يعينه على ذلك، والفقير بجواره لا يملك ما يسد به رمقه ومن يعول. لا شك أن ذلك يحمله على التفكير في عدل الله، وفي الطرق التي اغتنى بها جاره، وفي الأشخاص الذين أعانوه على ذلك الغنى، ويفكر في اتباعهم، والاقتداء بهم، والاعتماد عليهم، وقد توجّه له النصائح، ويسمع المواعظ، فيقع في حيرة وارتباك، بين ما يعتقد ويسمع من جهة، وبين ما يجد ويشاهد من جهة أخرى

(إنه من العسير جدًا أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان بدنه عريانًا، إن حاجة هؤلاء التعساء إلى من يعرفهم أركان الحياة أمس من حاجتهم إلى من يعرفهم أركان الإسلام)^(٢)، (والإسلام يحارب الفقر لأنه خطر على العقيدة والأخلاق وسلامة التفكير والأسرة والمجتمع المحلي والأمة الإسلامية بوجه عام والفقر هو أساس المشكلات الاقتصادية المدمرة)^(٣).

إن صوت المعدة أقوى من صوت الضمير، وضغوط الحياة وهمومها المتكررة، والحاجة الملحة للصغار والمرضى أمام عائلهم - لا شك - أنها من أخطر البلايا والآفات على العقيدة الإيمانية.

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٣، بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٦١، ٦٢، مرجع سابق

(٣) مجلة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي السنة الثالثة عشر، العدد التاسع والثلاثون، سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وتأمل معي وقع هذا القول من الأغنياء لمن يحثهم على الإنفاق على الفقراء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَن لَّوِ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

لقد وعد الشيوعيون سكان روسيا في سنة ١٩١٧ م بالسلام والطعام وامتلاك الأرض نظير تركهم لدينهم والتخلي عن عقائدهم، ورفعوا شعار - لا دين والحياة مادة - وروجوا فكرة أن الدين أفيون الشعوب^(١).

«وإن المرء ليعجب، كيف تطابق ألوف من الخلائق على أن الحياة مادة بحتة، وأنه لا إله، ولا شرائع، ولا حساب، وكيف قامت للإلحاد هذه الدولة الشاخنة تستمسك به وتدعوا إليه؟»^(٢).
والأعجب من ذلك أن هذا الوهم الزائف وجد آذاناً مصغية في بلادنا، وربما لا يزال من يتمسك به ويدعوا إليه، ألا يدل ذلك كله على أن للفقر تأثيراً سيئاً على العقيدة الإيمانية؟ صحيح أن كثيراً من الفقراء مهما عضه الفقر لن يتزحزح عن دينه، ولن يفرط في عقيدته، ولا يمنع ذلك أن المنصرين اهتموا بجانب الفقر واستخدموه كسلاح لخراج المسلم عن دينه وهذا ما سأعرض له في الصفحات التالية.

(١) انظر كتاب أساليب الغزو الفكري د / علي محمد جريشة ، ومحمد شريف الزبيق ص ١٢٠ ط دار الاعتصام ، بدون

تاريخ.

(٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٣١ ، مرجع سابق.

المطلب الثاني: الاستعداد لقبول الأفكار الهدامة والمذاهب الإلحادية:

لقد فطن المنصرون لهذه المسألة، واستغلوها أسوأ استغلال، ولا يخفى أن البلاد التي ينشط فيها ما يسمى بالتبشير هي البلاد الفقيرة التي يحتاج أبنائها إلى الطعام والدواء، ولم يقف التنصير ونشر المبادئ الهدامة في بلاد المسلمين، وبالأخص (مصر) عند حد حاجة الفرد الفقير إلى قارورة الدواء ورغيف العيش... بل تعدى ذلك إلى استغلال حاجة الدول الفقيرة إلى المال والمساعدات والمنح^(١)، فأدخلوا مفاهيم وأفكاراً لم يعرفها المسلمون من قبل، «أثاروا النعرات العرقية كمصر الفرعونية، وفصل الدين عن الدولة وهو ما يعرف بالعلمانية (اللادينية) وروجوا للديمقراطية بدلاً من الشورى والمواطنة بدلاً من عقد الذمة..... والعولمة بدلاً من عالمية الإسلام، وهم الآن - بمثل هذه الأمور- يحاولون تشويه الإسلام وإضعاف قيمه»^(٢).

إن هذه الأفكار مع - الأسف - وجدت طريقها إلى المجتمع المصري، وأصبح لها من يرعاها ويدافع عنها، فظهرت في المجتمع أحزاب تقوم على مثل هذه المفاهيم، بل وتوالى وتعاذى على أساسها لا على أساس تعاليم الإسلام في الولاء والبراء^(٣).

«إنه لا شيء ينال من مناعة البلاد وينتقص من قدرتها على المقاومة كفساد النفوس والأوضاع، وضياع مظاهر العدالة واختلال موازين الاقتصاد وانقسام الشعوب إلى طوائف، أكثرها مُضَيِّع منهوك، وأقلها في نعيم الملوك، ومثل هذه البلاد تكاد لا تنهال على أبوابها مطارق الفتح الخارجي والعدوان الأجنبي حتى تنهار الأبواب وتذل الرقاب»^(٤).

والنشاط التنصيري واضح للعيان (والمؤسسات التي تشتغل بالتنصير لا تخفي أغراضها، ولا تلتزم النزاهة في وسائلها، ويسكت عنها في أغلب الأحوال مهما أسفت في سلوكها، وقد قرأت في صحيفة الجمهورية المصرية غضبة للرأي العام في بريطانيا على هيئة (وورلد فيجن) التي تقوم بالتنصير في أقطار أفريقيا تحت عنوان : (معونات اقتصادية للضغط الديني) قالت الجريدة : إن من بين

(١) انظر ص ٧٤ فلقد سبق الكلام عن المنح المشروطة في المطلب الرابع من الفصل الثالث.

(٢) انظر كتاب «أساليب الغزو الفكري» ص ٣١، ٣٠ مرجع سابق، وكتاب محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير،

د/ محمد زين العابدين محمد الطشوش ص ١١٠ وما بعدها، ط ١٩٨٨، بدون ذكر الناشر.

(٣) انظر كتاب «أساليب الغزو الفكري» ص ٨٣، مرجع سابق.

(٤) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١١٣، مرجع سابق.

الانتهاكات الموجهة للهيئة المذكورة لجوئها المتكرر إلى التهديد بقطع المعونات الغذائية لإرغام الفقراء الذين يتلقونها على حضور الأنشطة الدينية، وأرى أن هذه التهم يتضاءل كل ما فيها من شر إذا وزنت بما وقع أو يقع للمسلمين الذين يتعرضون للحملات التنصيرية ويدوبون في صمت تحت وهج حقد لا يفتر^(١) على الإسلام والمسلمين.

ولقد انتشرت في بلادنا أفكار ما أنزل الله بها من سلطان، وما كانت تذكر من قبل، كالقديانية، والبهائية، والبابية وكل صار له أنصار يطالبون الحكومات بالاعتراف بها كدين رسمي يقوم بجانب الإسلام والمسيحية (النصرانية)^(٢)، بدعوى حرية الاعتقاد والمواطنة... ناهيك «عن الإيثار بالخرافات كالشعوذة والسحر ورفقة العين والوسواس وتأخر النضوج والوعي، فالملاحظ في شبابنا في مصر أن نضوجهم يجيء متأخراً أو مؤجلاً!! لقد تأخر النضوج إلى سن الثلاثين، ومنذ خمسين سنة كان الشاب في سن العشرين متزوجاً، يزاوّل عملاً ويرعى أطفاله، ويدير إدارات ويقود جيوشاً، ولكن في عصرنا هذا لا يحدث ذلك، تأجل الزواج وتأجل العمل والمسئولية، واعتمد الأبناء على الآباء، ثم تتسائل عن مشكلتين الإدمان، والتطرف كيف تصح نفوس شبابنا؟ بينما من حوله يقنعونه صباح مساء - عمداً أو بحسن نية - أن (الفهلوة والشطارة) هما الرأس مال الجديد؟»^(٣).

وإذا كان المرء - بسبب الفقر - يسيء الظن بالله ويشك في عدله، ويعتمد - في طلب الرزق - على غيره - كما أسلفت من قبل - فمن السهل واليسير وقوع مثل هذا في برائن الدعاوى المناوئة لقيم الإسلام، والقبول بأي عمل ولو كان على حساب دينه وأمته.

ولقد حذر النبي ﷺ من كل ما يضر بإيمان المسلم فقال: «بادروا بالأعمال سبعاً... فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٤)، ولا شك أن الفقر المدقع يساعد على هذا التحول السريع.

(١) الشيخ محمد الغزالي كتاب علل وأدوية، ص ١٩٤، ط دار الكتب الإسلامية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ م.

(٢) انظر كتاب البهائية في المنظور الإسلامي الشيخ / محمد الخضر حسين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص

٥٩، عدد (١٦١) سنة ٢٠٠٨ م.

(٣) كتاب تقوب في الضمير ص ١١٧، ١٥٥، ١٥٦ بتصرف، مرجع سابق.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم ١١٨ (١/ ١١٠)، (الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن)، إحياء التراث

العربي مرجع سابق.

المبحث الثاني: أثر مشكلة الفقر على العبادة

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: التقاعس في التزام الفرائض بدعوى (العمل عبادة).

المطلب الثاني: تقلص الوقف الإسلامي.

المطلب الثالث: البخل وعدم إخراج الزكاة.

المطلب الرابع: مزاحمة الشعائر الدينية بالمشاريع الإنتاجية.

المطلب الأول: التقاعس في أداء الفرائض بدعوى (العمل عبادة):

هذه الجملة (العمل عبادة) كلمة حق - أحياناً - يراد بها باطل، مثل أن يتذرع المرء بها في ساعة الجمعة وهو مكلف وقادر، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، فإذا قضيت الصلاة وانتشر الناس في الأرض لطلب الرزق الحلال بالعمل المشروع كما قال الحق سبحانه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، يكون في هذه الحالة ذكرها في محله.

والمرء حتى يعرف متى تقال هذه الكلمة (العمل عبادة) ومتى لا تقال يجب عليه - على الأقل - أن يعرف أن العبادات لا يعارض بعضها بعضاً، وإنما يقدم الفرض العيني على فرض الكفاية، والفرائض المقيدة بالزمان أو المكان أو الكيفية^(١) إذا حضرت لا تزاحم بأي من العبادات الأخرى، قال ﷺ: «إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، فأعطى كل ذي حق حقه»^(٢).

والحق أن قليلاً من الناس من يعرف هذه الحقوق، ومن عرفها من - هذا القليل - قلما يحسن التعامل معها بحيث يقدم منها ما يجب أن يقدم ويؤخر ما يجب أن يؤخر.

(العمل عبادة) طالما ترددت على ألسنة الناس، لاسيما الفقراء الذين يبحثون عن الأرزاق بالأعمال الحلال^(٣)، ناهيك عن الجهد والإعياء الذي يصنعه الفقر بأمثال هؤلاء مما يجعلهم يفرون أو يتكاسلون، إن لم يكن في أداء الفرائض، ففي النوافل والسنن والمستحبات، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «كثيراً ما وجدتني أعالج وعظ الناس في بيئات صرعاها الفقر والجهل والمرض، فكنت أحرار.. ماذا أقول لهم؟ هل أقبح لهم الدنيا، كما يظن أنه مفروض على علماء الدين؟

(١) كالصلوات الخمس، وصيام رمضان، ومناسك الحج والعمرة، وجهاد الدفع لرد العدو المهاجم إلخ

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن عون بن أبي جحيفة باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (٢/ ٦٩٤) برقم

(١٨٦٧)، دار ابن كثير مرجع سابق.

(٣) (العمل عبادة) كانت هذه الكلمة - ولا زالت - كثيراً ما يحتج بها التاجر المتجول، والبائع على الرصيف، والفلاح

في الأرض، ومعظم هؤلاء من الفقراء.

إن الدنيا لن تكون أقبح مما عليه في أعين هؤلاء التعساء، وحاجتهم إلى من يعرفهم أركان الحياة أمس من حاجتهم إلى من يعرفهم أركان الإسلام، وجمهورهم لا يرى الأساليب الصحيحة للزراعة والصناعة والتجارة، فضلاً عن أن يعرف كيف يعامل ربه وإخوانه... وحكامه.

إن معرفة الله تعالى لا سبيل إليها إلا بعد معرفة النفس وهؤلاء التعساء مذهولون عن أنفسهم، تائهون عن حاضرهم، إن الشعوب بالهوان والحرمان قد شل تفكيرهم، فأنى يعرفون ربهم أو يشعرون بما قدموا له؟! إنهم أعجز من أن يقدموا الحساب عن يومهم، فهيئات أن يأخذوا الأهبة الحقة للدار الآخرة^(١).

وكم من آيات في الكتاب العزيز ذكرت عداوة الشيطان للإنسان، وأنه يترصد به، فإن عجز عن إيقاعه في المعصية أبعده عن الطاعة.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وإذا كان الشيطان «يخوف الأغنياء من الفقر ليمسكوا ما بأيديهم فلا ينفقوه في مرضاة الله»^(٢)، فكيف به مع الفقراء؟

إنه لا يخوفهم الفقر، فهو واقع بهم، وإنما يعدهم الغنى ويمنيهم، قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا لَأِئْتَيْنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (١٣٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١٣٨) وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا أَمِينَهُمْ وَلَا مَرْئِيَهُمْ فَلْيَحْزَنْ أَلِإِنْسَانِ عَلَىٰ مَا يَكْفُرُ (١٣٩) يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٤٠) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٧: ١٢٠].

إنها هي الطريقة التي اتبعها الشيطان لإخراج أبينا آدم عليه السلام وزوجه من الجنة، ﴿قَالَ يَتَدَأْدُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، (الملك والخلد) وهما من مظاهر الغنى وليساً من مظاهر الفقر، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (١٤١) فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢: ٢١]، ونجح - الملعون - في صرفهما عن الطاعة وإيقاعهما في المعصية.

حقاً، إن للفقر تأثيراً على العبادة بمعناها الواسع، من طاعة وفرائض وشعائر، وأعمال برٍّ وخير.

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٦١، ٦٢، مرجع سابق.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٠٤، مرجع سابق.

المطلب الثاني: تقلص الوقف الإسلامي:

عرفنا كيف أن الإنسان قد يجزو على المعصية بسبب الفقر، والذي يقدم على المعصية يحجم عن الطاعة - كما وضح في المطلب السابق - فإذا كان ذلك كذلك، في ميدان الواجبات والفرائض، فكيف يكون الحال في ميدان الإحسان وأعمال البر، كالوقف مثلاً، ولنقارن باختصار بين الوقف في الزمن الماضي والوقف الإسلامي الآن.

الوقف في اللغة هو: الحبس.

وفي الشرع: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة، وعند أبي حنيفة: الوقف: «حبس العين عن التملك مع التصديق بمنفعتها، فتكون العين زائلة إلى ملك الله تعالى من وجه»^(١)، أي: تبقى العين سواء أكانت أرضاً زراعية أم عقارات ومباني محبوسة لما وقفت له من خيره وبره.

هذا الوقف كان معروفاً وموجوداً بكثرة في بلاد المسلمين ومنها مصر «ولنظام الوقف وتاريخه في الإسلام دلالة جليلة على العناية بالضعيف في المجتمعات الإسلامية، فرصدت الأوقاف لتمويل المساجد، والمدارس، ومكتباتها، والمستشفيات، والملاجئ، وموارد المياه، وسائر المؤسسات التي تحارب الجهالة والعوز والمرض، وجاء في سجل وقف البيمارستان (المستشفى) المنصوري الذي أنشئ سنة ٦٨٢ هـ بمصر بأنه قد أقيم لعلاج، الكبير والصغير، الحر والعبد، كذلك رصدت الأوقاف لإقامة الحمامات العامة، وسبل الماء والأطعمة والكسوة.

ونقرأ في حجج الأوقاف من ألوان من الخدمات التي كفلها الواقفون تنبئ عن حساسية مشاعرهم المؤمنة،^(٢) هذه قيم أصيلة كادت أن تندثر.

هل يوجد الآن من يوقف أملاكه لمثل هذه الأغراض؟ لقد تقلص الوقف الآن بمصر وصار لا ذكر له، وصارت الأوقاف عالة على وقف السابقين، وهذا ما أكدت عليه الدراسات:

تحت عناوين (إحياء مشروعات الأوقاف ... الحل لمشكلة الفقر)، لماذا انحسر الوقف في مصر؟ ولماذا تراجع الوقف الخيري والأسباب كثيرة ومنها الفقر وعدم الثقة في القائمين على الوقف الخيري وتوزيعه على مستحقيه^(٣).

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٨٢، مرجع سابق، بتصرف يسير.

(٢) القيم الحضارية في رسالة الإسلام ص ١٣٢، ١٣٣، مرجع سابق، بتصرف واختصار شديد.

(٣) صحيفة الجمهورية بتاريخ ٢٩/١/٢٠١٠م، صفحة ٥/عدد ٢٠٤٨٦، وصحيفة الجمهورية بتاريخ

١٣/٢/٢٠١٠م، صفحة ١١، عدد (٢٠٥٠١).

وتحت عنوان (كيف نعيد ثقافة الوقف للمجتمع)، كتب عمر عبد الجواد ما يلي:

أكد د. يوسف إبراهيم مدير مركز صالح كامل الاقتصادي بجامعة الأزهر أن عودة الوقف مرة ثانية أمر ممكن، إلا أنها تحتاج إلى جهود شاقة حتى نبث الثقة في نفوس أصحاب رءوس الأموال الذين يرون أن أموالهم الموجهة لفعل الخير مهددة بالضياح بعد ما ألغت الثورة الوقف بإصدار قانون الإصلاح الزراعي مسيطرة للموجة الاشتراكية التي كانت سائدة في تلك الفترة باعتبار أن المال من حق الشعب وبالتالي تم توزيع أموال الوقف على ملكيات صغيرة أفقدت الأجيال التالية الرغبة في وقف أموالهم على أعمال الخير مخافة أن تلقى نفس المصير ويحرمون من أجرها وفق ما يعتقدون^(١).

المطلب الثالث: البخل وعدم إخراج الزكاة:

الأغنياء قد يدفعهم الخوف من الفقر أن يبخلوا بإخراج الزكاة، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه تحركت الجيوش لقتال مانعي الزكاة، وعرفت هذه الحروب، بحروب الردة، وكان للصديق موقفًا حازمًا تجاه هؤلاء حتى قال قولته المشهورة: «والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»^(٢).

لقد علم الصديق رضي الله عنه أن الزكاة عبادة لا تقل في القيمة عن الصلاة، وأن من أنكرها فقد أنكر قيمة من أخطر وأهم قيم الإسلام التي لا يستقر المجتمع الإسلامي بدونها. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل يوجد في الأمة من يقوم بربع ١ / ٤ معشار ما قام به الصديق - وبدون قتال - لجمع أموال الزكاة من الأغنياء لسد حاجة الفقراء؟

إذا كان نصاب الزكاة من الفضة مائتي درهم أي ما يساوي ٦٢٤ جرامًا ومن الذهب عشرين دينارًا أي ما يساوي ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢١،

فهل كل من ملك هذا النصاب وحال عليه الحول يخرج الزكاة بدافع الإيمان أو حتى خوفًا من السلطان؟

(١) صحيفة الجمهورية عدد (٢٠٤٨٦)، صفحة (٥) يوم ٢٩ / ١ / ٢٠١٠م.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٣٣ ج ٥، المجلد الثالث، مرجع سابق.

والجواب: بالطبع لا، ولم يكن السبب فقط هو غيبة السلطان وضعف الإيمان، وإنما هناك سبب آخر - لا يقل في الخطورة إن لم يزد - عن الأسباب الأخرى، ألا وهو الفقر الواقع أو المحتمل.

كثيرٌ من الناس يخشى الفقر ويعمل له ألف حساب وحساب، لقد كان - في الزمن الماضي - من يملك نصاب الفضة، يُعدّ غنيًّا بإجماع العلماء، أما هو الآن ليس كذلك، لدرجة أن كثيرًا من العلماء يقدر النصاب بسعر الذهب لا بسعر الفضة؛ لأن نصاب الفضة لا قيمة له اليوم^(١)، ويعزز هذا الرأي ما استجد من نفقات لم تكن معروفة من قبل، كنفقات التعليم، والصحة، والمرافق، والآلات الحديثة التي لا غنى عنها، والمواصلات، والسكن، كل ذلك شجع على البخل وعدم إخراج الزكاة، ولقد مرّ بنا قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

لا سيما والناس يرون الأغنياء أهل الدثور والخير الكثير وهم يبخلون على الفقراء، ولا يعطونهم حقهم المعلوم، الذي ثبت لهم بالكتاب والسنة والإجماع، ولا يوجد من يحاسب أو يعاتب أو يعاقب. لا شك أن هذا الجو، في هذه الأيام، وبهذه الظروف يشجع على زيادة معدلات الفقر وضياع قيم التكافل، فضلًا عن الفتاوى التي تصدر من بعض العلماء، والتي لا تصب في مصلحة الفقراء «ففي فقه الزكاة الذي يشيع بيننا الآن قصورًا لا يليق أن تبقى، هناك أحكام ينقصها السداد، وصور استجدت تضطرب فيها الفتيا، ويشعر جمهور كبير من المسلمين أنهم لا يعرفون رأي دينهم فيها، مثلًا: الأوراق النقدية؛ لأنها لا تخرج ذهبًا ولا فضة، لا زكاة فيها وكذلك العسل، وعروض التجارة، وأخطر من ذلك الرأي الحنفي الذي يأبى الجمع بين الزكاة والضريبة في الأراضي المزروعة....»^(٢).

«هذه الفتاوى وغيرها، كانت سببًا في تعطيل الزكاة، أو التردد في إخراجها.... مما دعا كثيرًا من العلماء للتحذير من مثل هذه الفتاوى حتى لا تكون متكئًا للأغنياء في إخراج الزكاة، وبيان دور الدولة المسلمة تجاه هذه الفريضة المتروكة للاختيار الحر والإرادة المطلقة ومضار ذلك على الفقراء»^(٣).

(١) نصاب الفضة بسعر اليوم ١٥/٦/٢٠١٠ م، يساوي (٢٠٠٠) ألفين جنيهًا مصريًا لا غير، هل يعد من ملك ألفين جنيهًا مصريًا غنيًا بمقاييس الغنى والفقر اليوم؟ والجواب: لا؛ لأن متطلبات الحياة اليوم أكثر بكثير من الماضي.

(٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٦٥ وما بعدها، مرجع سابق.

(٣) الدكتور يوسف القرضاوي ص ٤١٥ وما بعدها، كتاب (دور القيم والأخلاق من الاقتصاد الإسلامي)، مرجع سابق، وكتاب (فقه الزكاة)، وكتاب (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ص ١٦٥ وما بعدها، مرجع سابق.

المطلب الرابع: مزاحمة الشعائر الدينية بالمشاريع الإنتاجية:

كانت المساجد - عبر تاريخ الإسلام في مصر - تؤدي رسالتها التي بنيت من أجلها كما ينبغي، فما تعطلت الشعائر أو شُوش عليها، وما توقفت الكتابيب، أو تحولت إلى دور للحضانة الاستشارية، أو الدروس الخصوصية (مجموعة التقوية) كما هو الحال الآن^(١).

وما كان يخطر ببال أحد - عند بناء المسجد - أن يبنى معه، أو فوقه محال تجارية وأماكن مهينة لإقامة الأفراح وسراقات العزاء، وكل ما يبنى مع المسجد يخطط له سلفاً لخدمة الدعوة، وطلبة العلم، ويكفي لتأكيد هذه الحقيقة أن تقارن بين الأروقة التي بنيت مع الجامع الأزهر والقاعات التي بنيت بمسجد النور بالعباسية، ومسجد الفتح بميدان رمسيس وغيرهما كثير.

أليست المساجد بنيت للعبادة التي روحها الخشوع والتعقل والسكينة والوقار؟ كيف تكون العبادة في مساجد تضرب حولها الأسواق؟ أليست الأسواق شر بقاع الأرض، والمساجد خير بقاع الأرض؟ كيف يجتمعان؟

إن ما يبنى لصالح الدعوة والعلم والفقراء لا غبار عليه، أما ما يبنى لمزاحمة الشعائر، ورفع الأصوات بالبيع والشراء فهذا ما يرفضه الإسلام، قال ﷺ: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له: لا أربح الله تجارتك»^(٢).

وإن شئت فانظر إلى المحال التجارية والورش الصناعية التابعة للمساجد في القاهرة فقط، أمام مسجد الإمام الحسين عليه السلام، وما حوله من مساجد، وفي ميدان العتبة، ومسجد السيدة زينب عليها السلام، والمساجد الواقعة في حي الجمالية بالكامل، والمساجد الكائنة بالميادين العامة، والقريبة من الأسواق التجارية، والمرفق بها دور مناسبات فضلاً عن تجار الأرصفة الذين تطاردهم شرطة المرافق (البلدية)، فيندفعون بقوة إلى المساجد بصرف النظر عن الشعائر المقامة أو طهارة المسجد الذي تدوسه أقدامهم، وترتفع الأصوات في المساجد بالإنكار عليهم من قبل المصلين، وبدفاعهم عن أنفسهم بحجة الفقر، وظروف المعيشة، والكسب الحلال.

(١) معظم المساجد الحديثة تقريباً، تبنى ويبنى معها أو فوقها أو بجوارها مشاريع تجارية بقصد الإنتاج، وتوجد الآن إدارة كاملة بالأوقاف لإدارة مثل هذه المشاريع تسمى الإدارة العليا للخدمات الاجتماعية، وكذلك الحال بالنسبة للمساجد الأهلية، والجمعيات الخيرية.... ومع أن هناك شروطاً وضوابط، من أبرزها - عدم مزاحمة الشعائر - ولكن للأسف قلّ من يلتزم بها بدعوى حاجة الفقراء إلى المال الذي توفره هذه المشاريع، هذا ما تأكد للباحث في الدراسة الميدانية عن طريق القائمين على هذه المشاريع.

(٢) صحيح ابن حبان عن أبي هريرة برقم ١٦٥٠ مؤسسة الرسالة (٤/ ٥٢٨) مرجع سابق.

المبحث الثالث: أثر مشكلة الفقر على الأخلاق والسلوك:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ظاهرة السب والمجاهرة بالألفاظ غير اللائقة.

المطلب الثاني: الاعتداء على الوالدين والأولاد والمحارم.

المطلب الثالث: قبول العمل في المهن الأخلاقية، والكسب اللامشروع.

المطلب الرابع: الحقد والحسد من الفقراء على الأغنياء.

المطلب الخامس: إهمال قيمة التسامح في المعاملات بين الناس.

المطلب الأول: ظاهرة السب والمجاهرة بالألفاظ غير اللائقة:

بينت أن للفقر آثاراً خطيرة على العقيدة الإيمانية التي هي المحرك والدافع للسلوك الإنساني، فإذا كانت عقيدة الإنسان تهتز وتطرب ويصيبها الفتور والمرض - بسبب الفقر والحاجة - فكيف يكون حال هذا الفقير البائس مع الناس، لاسيما من يتصل بهم ويتعامل معهم؟ كالأطفال في ورش الحدادة، وأعمال البناء وغيرها من الأعمال الشاقة لأن الفقر والظروف المعيشية تجعل كثيراً من الفقراء يجاهرون بالألفاظ غير لائقة، لاسيما الصغار الذين ينشأون في مساكن رديئة وظروف صعبة لأن (الحى السكنى الذي يعيش ويشب فيه الحدث له تأثير مباشر على سلوكه في منسوب الانحراف في مناطق معينة عنه في آخرين كما أن نوعية السكن الذي يعيش فيه الحدث له دور في سلوكه فإن كان ضيقاً مقتظاً خالياً من النوافذ فإن ذلك من شأنه أن ينزع عن السكان صفة البيئة الصالحة لنمو الحدث وهذه المناطق عادة ما تكون موطناً للعائلات الدنيا معيشياً^(١).

يقول حيدر قفة: «خلق الله الناس طبقات ومستويات ... وهذا الاختلاف منشأ اقتصادي، انعكس بشكل أو بآخر على حياة الناس من حيث السكن والبيئة والوسط الاجتماعي والمستوى التعليمي والأخلاقي وهي مناح مهمة في مسيرة حياة الفرد، ومن عاش في بيئة ما وتغلغلت فيه هذه البيئة تطبع بطباعها، ولا يجد غضاضة في أي سلبية مستشرية في بيئته وبين الناس، وإن بعض البيئات قد تأثرت بالوضع الاقتصادي مما انعكس على أهلها سلباً، وذلك يجب ألا يصل إلى الأخلاق بحال؛ لأنها آخر حصون الإنسان السوي.

وسأكتفي بذكر سلبية واحدة قاتلة (سب الدين) والتطاول على الذات الإلهية ... رأيت هذا وسمعت من عمال البناء، ومن عمال في مجالات أخرى، ومن بعض الموظفين، وبعض طلاب المدارس، والأطفال دون سن المدرسة، دون أن يشعر الساب للدين بأدنى حرج أو إثم^(٢).

(١) إبراهيم عبده الشرفاوي كتاب انحراف الأطفال المسمى بجرائم الصغار، ص ٢٧، ط مكتبة العفاني، ط أولى سنة

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

(٢) حيدر قفة كتاب من أجل الإسلام ص ٤٤، ٤٣ وما بعدها، ج ١ الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، المكتبة

الوطنية عمان.

يرى كثير من العلماء «أن من أسباب الجريمة عوامل اجتماعية منها الاقتصادية كالفقر الذي يعد عاملاً أساسياً في تكوين السلوك الإجرامي والبيئة التي تهيأ فيها الفرص لارتكاب الجريمة، ومنها انعدام الاستقرار الاقتصادي الذي يكون بين رخاء تقل فيه جرائم الأموال وهبوط تكثر فيه تلك الجرائم وغيره، ومنها تطور البناء الاجتماعي وازدياد نموه الذي يزداد بسببه نظامه تعقيداً ينتج عنه عدم التجانس والتوافق، بسبب زيادة القيود والأنظمة، فتنتقل شهوات الأفراد ضد تلك القيود والأنظمة^(١)، ومن هنا تكون الجريمة ناشئة عن عوامل اجتماعية، ومنها أن الفرد في المجتمع يقلد غيره بحيث يقلد الصغير من هو أكبر منه نتيجة اختلاط أفراد المجتمع الواحد في العائلة والحي والرفقة والوظيفة والزمانة وغيرها»^(٢).

ويشتد الخطر إذا كان التقليد في مراحل العمر الأولى وتحت وطأة الحاجة، فالمرء الذي يعاني من مشاكل اجتماعية واقتصادية استعصت على الحل، قلما يحتفظ بأخلاقه وقيمه الدينية والإنسانية، نعم إن «الفقر المحروم كثيراً ما يدفعه بؤسه وحرمانه - وخاصة إذا بجوره الطامعون الناعمون - إلى سلوك ما لا ترضاه الفضيلة والخلق الكريم، وشر من ذلك أن يؤدي هذا الحرمان إلى التشكك في القيم الأخلاقية نفسها، وعدالة مقاييسها كما أدى إلى التشكك في القيم الدينية، فتراه يسب الأيام واليالي والمعيشة والأقدار، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»^(٣).

وفي بيان أثر الدين على المستدين قال ﷺ: «إن الرجل إذا غرم استدان - حدث فكذب ووعد فأخلف»^(٤).

(١) هذا المناخ يساعد على انتشار الجرائم ، وسب الدين من أخطر الجرائم التي يعاقب عليها الشرع وقد يصل الحكم فيها إلى القتل إن لم يتب باعتباره مرتد عن الإسلام / انظر كتاب (فقه السنة) ص ٤٣٨ ج ٢ ط الفتح للإعلام العربي سنة ١٩٩٢م.

(٢) كتاب «سبب الجريمة» الدكتور عبد الله بن أحمد قادري ص ١٦، ١٧، ط الثانية، دار المجتمع للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة برقم (٤٥٤٩) باب تفسير سورة حم الجاثية (٤/ ١٨٢٥) دار ابن كثير مرجع سابق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، باب من استعاذ من الدين في كتاب الاقتراض والحجر والتفليس (١/ ٢٨٦).

«والملاحظ أن الجوانب السلبية تنتشر في المجتمع النامي بشكل أسرع كثيرًا من الجوانب الإيجابية، وهذه مشكلتنا في البلاد النامية وهناك من لديه استعداد لقبول كل شيء بلا تحفظ»^(١).
انظر إلى أفراد المجتمع أمام أفران الخبز المدعم، وانظر إليهم أمام الجمعيات التعاونية، وأمام المستشفيات العامة، وعند قطع التذاكر للسفر، أو العلاج، وفي الجمعيات الخيرية، ولجان الزكاة، فإن حالمهم يغني عن سؤلهم، وكثيرٌ منهم عندما سألتهم في - البحث الميداني - وجدته يتألم ولا يجيب على أسئلة الاستبيان إلا بمرارة.

المطلب الثاني: الاعتداء على الوالدين والأرحام:

إذا كان النبي ﷺ يعلن أن «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٢)، فكيف إذا كان هذا المسلم المعتدى عليه هو أحد الوالدين أو الأقربين؟ قد يكون ذلك لسوء التربية، وقد يكون بسبب الفقر، أو بسببها معًا.

«كان المصريون قبل هذه الأيام يحترمون السن احترامًا كبيرًا، فالصغير يحترم الكبير، والأولاد يحترمون الآباء فلا يدخلون أمامهم، ولا يرفعون صوتهم أمامهم، وأكبر الأخوة عادة يقوم مقام الأب ... ويظهر أيضًا هذا الاحترام في المخاطبات، فمن كتب لمن هو أكبر منه سنًا افتتح خطابه بقوله: أبي أو سيدي أو والدي ... وإن كان نظيره قال له أخي ...»^(٣).

كل هذا الاحترام قد طرأ عليه شيء من التغيير والتحول، وقد يقول قائل: وما دخل الفقر في هذه المسألة؟ والجواب: أن الفقر له دخل كبير في تغيير السلوك الحميدة والعقائد الثابتة، فالحرمان يؤثر على التربية السليمة ويشغل الآباء عن الأبناء للبحث عن الرزق ومضاعفة ساعات العمل فلا يجد الفقير الرعاية الكاملة من أبويه، ويفقد الوالد القوامة وقد عجز عن الإنفاق ولقد سمعت مرارًا من يلعن والديه؛ لأنها لم يوفر له أبسط متطلبات الحياة، وكم أكد العلماء بل وحذروا من هذه الظاهرة

(١) مجلة منبر الإسلام سنة ٦٨، عدد (١) المحرم سنة ١٤٣٠ هـ سنة ٢٠٠٩ م / ص ٥٥، ٤ بتصرف.

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله باب ما ينهى من السباب واللعن برقم (٥٦٩٧) (٢٢٤٧/٥) دار ابن كثير، مرجع سابق.

(٣) قاموس العادات والتقاليد المصرية ص ٢٠٠، مرجع سابق.

واعتبروها ناقوس خطر^(١)، يجب أن توضع له التدابير اللازمة لمواجهة، ومنها التوعية الدينية ورفع مستوى المعيشة، والقدوة من الآباء والرفقاء والمجتمع ولا يخلو يوم - تقريباً - إلا وتطالعنا بعض الصحف عمن قتل أمه أو أباه أو أحد أقاربه أو اعتدى عليهم بالضرب أو السب أو الأذى^(٢).

إن البؤس والحرمان وضغوط الحياة لا شك أن ذلك إذا اجتمع يؤثر على قيم وأخلاق الناس، لاسيما في المناطق الشعبية المزدهمة بالسكان والتي بها حمامات مشتركة، وكم كان ذلك سبباً في نشر الرذيلة وانتشار الأوبئة والعداوات والخصام، وإليك مثلاً واحداً على ذلك نشرت جريدة الحوادث: «إن عماد قتل شقيقه؛ لأنه لم يخرج له من الحمام، حيث لا يوجد إلا حمام واحد وكان أخوه بداخله وطلب منه عماد أن يخرج بسرعة؛ لأنه لا يستطيع الانتظار ... وانتهى الأمر بقتله لأخيه»^(٣).

ناهيك بقطيعة الرحم والظلم في الميراث والجور على الأقارب والأهل ... وهذا سأذكره في مطلب لاحق - إن شاء الله تعالى -

(١) ولا يمنع أن يكون هناك فقراء لا يزدهم الفقر إلا برأ بوالديهم، كما لا يمنع أن يكون الفقر سبباً من أسباب العقوق، انظر (أبناءؤنا مشكلات وحلول) ص ٦٧، ص ١٤٥ ط دار الكتب المصرية سنة ٢٠٠٧م، وكتاب/ منهج التربية في الإسلام/ محمد قطب ط دار الشروق ج ١ سنة ١٩٨٩م.

(٢) وعلى سبيل المثال ما نشر في صحيفة الجمهورية عدد (٢٠٣٨١) ص ١٤ بتاريخ ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٩، عمن طرد أمه وأباه من المنزل، وفرض الوصاية بالقوة على والديه وأخوته ... كما تقول الصحيفة، وصحيفة الحوادث المصرية ص ٨ العدد (١٤٦) ١٨ / ١٠ سنة ٢٠٠٩م عن من ذبح أمه بسبب الضغوط الحياتية التي يعاني منها المواطن المصري ، كما تقول الصحيفة

(٣) صحيفة الحوادث العدد (٦٣)، بتاريخ ١٧ / ١٠ / ٢٠١٠م.

المطلب الثالث: قبول العمل في المهن الأخلاقية والكسب اللامشروع:

خلق الله ﷻ الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ لأن الإنسان - لاسيما المؤمن - يختلف عن سائر المخلوقات فهو إنسان له خصائصه التي تميزه «وهو الكائن الوحيد - في هذا الكون - الذي لا يستطيع أن يعيش بدون قيم تحكم سلوكه، وتضبط تصرفاته، فالقيم معايير للسلوك الإنساني لا يمكن الاستغناء عنها، وهي التي تميز الإنسان عن الحيوان، والفرق بين من يلتزم بالقيم ويحافظ عليها، ومن لا يعيرها اهتمامًا كالفرق بين من يتنفس هواءً نقيًا وهواءً فاسدًا»^(١).

والإنسان بدون القيم الإيمانية والقيم الإنسانية، إما شيطان رجيم وإما حيوان بهيم، وحتى يحافظ الإنسان على هذه القيم لا بد له من مقومات حياة كريمة في حدود استطاعته وشرعية ربه. والله ﷻ هيا سُبُل العيش الكريم للإنسان في كل مراحل حياته.

تأمل قوله سبحانه لأبينا آدم ﷺ وهو في السماء يوجهه الحق لدخول الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨-١١٩].

وعندما نزل آدم ﷺ إلى الأرض قال الله له: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَأَيُّكُمْ مَتَىٰ هُدًى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۖ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

وقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۖ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا وَمَنْ لَّسْتُمْ لِمُرَرِّزَيْنِ ۖ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعِنْدُنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ١٩-٢٠-٢١]. وما أكثر الآيات التي تكلمت عن خيرات الله وما سخره في هذا الكون للإنسان ليعيش هذا الإنسان على منهج الله وما جاء به المرسلون، قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢)، ومع هذا كله فكثير من الناس - لأسباب كثيرة - ومنها الفقر قد يقبل العمل في المهن الأخلاقية، ويبحث عن الكسب اللامشروع.

(١) مجلة منبر الإسلام ص ٤١، سنة ٦٨ عدد (١) المحرم سنة ١٤٣٠ هـ ص ٤٥، ٤٦ بتصرف.

(٢) رواه البيهقي في السنن عن أبي هريرة باب مكارم الأخلاق (١٠/١٩١) دار الباز مرجع سابق والحديث صحيحه

الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

وفي إشارة إلى علاقة الفقر والغنى بالفضائل والرذائل^(١)، ذكر ﷺ: «حديث الرجل تصدق بالليل على رجل فصادفت صدقته سارقاً، فتحدث الناس بذلك قالوا: تصدق على سارق ثم تصدق مرة أخرى على امرأة فصادفت صدقته زانية، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، تصدق الليلة على زانية، فجاءه في المنام من قال له: أما صدقتك على سارق فلعله يستعفف عن سرقة، وأما صدقتك على زانية فلعلها أن تستعفف عن زناها»^(٢).

«ففي الحديث المتفق على صحته من رواية ابن عمر رضي الله عنهما عن الثلاثة الذين^(٣) آواهم المبيت إلى الغار فسقط صخرة وسدت عليهم باب الغار، وأخذ كل منهم يتوسل إلى الله بأرجى عمل عمله فقال أحدهم: «اللهم كانت لي ابنة عم وكنت أحبها كأعظم ما يحب الرجال النساء فأردتها عن نفسها فامتنعت حتى أمت بها سنة من السنين ففعلت الحديث، ما الذي جعل المرأة العفيفة تقبل بالرزيلة وهي كارهة أن تخلي بينها وبين ابن عمها؟ إنها الحاجة والفقر (أمت بها سنة من السنين)، وهذا هو الشاهد.

والفقير معرض - أكثر من غيره - للوقوع في شباك وشارك هذه المصائب التي تلاحقه وتلح عليه، وتلوح بين ناظره، ويزداد البلاء إذا رأى من حوله ينظرون إلى أرباب هذه المهن على أنهم نجوم ورجال أعمال لهم مكانة وتقدير واحترام، وهو - أي الفقير - لا شيء بجانب هؤلاء، وقد لا يسلم من العداء والازدراء، وذلك يجعل الفقير ينقاد للرذائل أكثر من غيره، ويضعف أمام الإغراءات.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «أن للرذائل أسباباً اقتصادية، وأن الطبقات البائسة لن تجد الجو الملائم للأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة فقد توجد أحوال شديدة تقف بالإنسان على شفا جرف هار، وتطلق فيه غرائز الدنيا، ويتضافر الحرمان والإغراء معاً على سوق المرء إلى الجريمة سوقاً عنيفاً، وخير لنا أن نتعرف الأمور من وقائع الدنيا نقرر أن النسبة الكبرى من الرذائل تعود إلى واحد من الثالوث المستوطن في أرجاء أمتنا، الجهل والفقر والمرض»^(٤).

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٤، مرجع سابق.

(٢) مجلة منبر الإسلام سنة ٦٨، عدد (١) المحرم سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص ٤، ٥ بتصرف.

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر برقم (٢١٥٢) باب من استأجر أجيراً فترك أجره (٧٩٣/٢) دار

ابن كثير مرجع سابق.

(٤) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٦١ : ٦٣ بتصرف.

التكسب عن طريق الزنا وبيع الأطفال:

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمته الله: «الزنا جريمة خلقية واجتماعية بالغة الفحش، ولعل الاختلال الاقتصادي بما يخلق من بؤس وترف - أهم الأسباب المؤدية إلى هذه الجريمة»^(١).

وتقول زينات إبراهيم: «وصف تقرير حقوق القاهرة بأنها عاصمة بيع الأطفال، وهي ليست القضية الوحيدة التي تجسد هنا التوحش الآدمي الذي يدفع بالآباء والأمهات لبيع أبنائهم للحصول على المال وهروباً من الفقر وقسوة الحياة.

ثم ذكرت الكاتبة تفاصيل مطولة عن شبكات وعصابات بيع الأطفال من الأطباء والآباء والدايات وسماسرة السوء فضلاً عن ممارسة الرذيلة والفحشاء وتعجبت الكاتبة أن يتم ذلك على أرض الكنانة مصر!!»^(٢).

إن الفقر إذا اقترن بالجهل وضعف الإيثار، فإنه يأتي بالعجائب التي تجعل المرء لا يعبأ بقيم ولا أخلاق، ولا دين ولا عُرف، اللهم إلا ما رحم ربي.

التكسب عن طرق التسول:

لقد تأكد أن الفقر يدفع - أحياناً - إلى التسول، والتسول لا يجد مناخاً ملائماً أفضل من المساجد، ورواد المساجد مع أن «الشحاذين ينتشرون في مصر انتشاراً كبيراً على أشكال وأنواع»^(٣)، فمنهم من يتجول في الشوارع والحارات.

ومنهم من يقف على أبواب الأولياء والمساجد، ومنهم من يترقب غفلة الناس فيأخذ النذور وليس عملهم إلا نوعاً من الشحاذة، فيدعون دعوات دينية تدعو إلى الكرم والإحسان وقد يستخدمون وسائل موسيقية كالضرب بالدف، والتغني بمدح النبي ﷺ، ومنهم في العصر الحديث من يتخذ حرفاً شكلية لا قيمة لها كالوقوف أمام السيارات وعند الخروج من الملاهي ونحو ذلك. وكان مقتضى جو مصر وإمكان الاكتفاء بقليل من المأكولات ومقتضى ثروة البلاد أن يكون الشحاذون أقل من هذا، ولكن كثيراً منهم اتخذها حرفة، وهم يكثرون عادة عندما يستطيعون أن

(١) المرجع السابق ص ٦٦.

(٢) صحيفة الجمهورية يوم ٤ / ٢ / ٢٠١٠ العدد (٢٠٤٩٢) صفحة ٢٩.

(٣) ذكرت هذه المسألة في المطلب الثالث من هذا الفصل تحت عنوان (قبول العمل في المهن الأخلاقية واللامشروعة).

يستفزون عواطف المسلمين للإحسان كأوقاف زكاة الفطر ورمضان والعيد الكبير وغير ذلك، ومنهم من يدخل المساكن ويستجدي ويتصنع الفقر، والبؤس، إما بالعرج، أو بالعمى، أو بآفة نزلت به كالجرب، والبرص، أو بحادث نزل به كقطع يده، ورجله، ونحو ذلك. وكلما جهدت الحكومة أن تمنعهم بالتقنين بمنع الشحاذة وجمعهم في الملاجئ ذهبت أعمالها في هذا السبيل أدراج الرياح وعاد الشحاذون كما كانوا.

واشتهر شحاذو السيدة زينب والسيد البدوي بالإلحاح في الطلب فيقولون إذا أرادوا ملحا (زي شحاتين السيدة، أو شحاتين السيد)، وبعض الشحاذين يظهرون الفقر ويلبسون الأخلاق البالية^(١). مع أن بعض هؤلاء ليس فقيراً بالدرجة التي تسمح له بالسؤال واستجداء العطف وطلب المساعدة.... إلا إن كثيراً منهم فقير بالفعل، أو على الأقل كان فقيراً، فالفقر سبب دافع إلى التسول. يقول الدكتور جلال أمين: «أفزع ما في الأمر، أنني بين حين وآخر أصادف بعض الظواهر التي أصبحت تعيد إلى ذكرى الأربعينيات ومطلع الخمسينات، ليس أسوأ هذه الظواهر عودة المتسولين بكثرة إلى الشوارع، والتضاعف السريع في عدد من يبيعون على قارعة الطريق كميات تافهة من سلع أكثر تافهة وهم شباب قويوا البنية على الرغم مما يبدو عليهم من مظاهر سوء التغذية، الأسوأ من هذا ما يبدو من عودة الانقسام الحديدي بين طبقات المجتمع، وانتشار روح اليأس من إمكانية العبور من طبقة إلى طبقة أخرى، والمذلة التي أصبحت تطبع سلوك عدد متزايد من أفراد الطبقة الدنيا»^(٢). إن مسألة العبور من الطبقة الدنيا، إلى طبقة أخرى بالطرق المشروعة، يظن كثيراً من هؤلاء الذين استمروا الشحاذة أنها مستحيلة في ظل الظروف الاقتصادية القائمة، ويرون أن أقصر الطرق لسد حاجاتهم والوصول إلى درجة الغنى هي التسول في المساجد وفي الطرقات. ومع أن الحكومات تكافح التسول ولا ترضاه لشعوبها، وتضع القوانين لمنعه والحد منه... إلا إن الظاهرة موجودة، وفي ازدياد، والواقع يؤكد ذلك فضلاً عن ما ذكره العلماء^(٣).

(١) قاموس العادات والتقاليد ص ٢٠٥، مرجع سابق.

(٢) كتاب ماذا حدث للمصريين ص ٨١، مرجع سابق.

(٣) للمزيد من المعلومات حول انتشار ظاهرة التسول في مصر، انظر كتاب «احترس مصر ترجع إلى الخلف» ص ٤٩:

١١٥، مرجع سابق.

يقول الدكتور القرضاوي عن التسول والشحاذة: «ومما ينبغي ذكره أن التسول والشحاذة لها صور وأساليب شتى، قد تروج عند بعض الناس ويحسبونها ضرباً من العمل والسعي للمعيشة مع أنها - عند التأمل - ليست إلا تسولاً رخيصاً مطلياً بطلاء كاذب ... ولا أجد أفضل ولا أصدق مما قاله الإمام الغزالي في (الإحياء) عن هذه الحرف اللئيمة التي أسماها (الكدية) أي: الشحاذة.

- ذكر أن بعض هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بعد تعلم وتعب في الابتداء.
- وأن التسول كاللصوصية إذ يجمعها أنها يأكلان من سعي غيرهما.
- وأن كلاً من اللصوص والشحاذين يتتهز الفرص ويبتكر الحيل التي تزيد في صورها وأنواعها عن الألف والألفين»^(١).

والتأمل فيما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله يرى كيف يعمل هؤلاء على محاربة القيم الأخلاقية كالحياء، والمروءة، والتعفف، والزهد، والصبر الجميل، والعمل المنتج ... إذ يعملون على قتل هذه القيم في مهدها وتربية ضحاياهم على البرود وفقدان الحياء الحس الإنساني الذي فطر الله الناس عليه.

«وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة، والشعوذة والأفعال المضحكة، وقد يكون بالأشعار الغريبة، والكلام المسجع مع حسن الصوت .. الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة، كصناعة الطبال في الأسواق، وبيع التعويذات، وخداع الصبيان والجهال، وأصحاب القرع والفأل والمنجمين»^(٢)، وإيهام البسطاء في الريف أن أجسامهم بها جان وديدان، وأن بيوتهم بها حيات وعفاريت، وأن ذلك يجب أن يخرج مقابل أموالاً إلخ.

والحق أن معظم هؤلاء المتسولين من الأغنياء، إلا أنهم بدأوا يتعلمون التسول وهم فقراء، ثم استمروا الأمر واستحسنوه، والأعداد الغفيرة التي رآها الباحث أمام لجان الزكاة، والجمعيات الخيرية والشئون الاجتماعية تؤكد ذلك^(٣).

(١) راجع مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ٤٨ ، ٤٩ ، مرجع سابق، وكتاب إحياء علوم الدين ج ٣ صفحة

١٩٧ وما بعدها ، مرجع سابق .

(٢) إحياء علوم الدين ص ١٩٧ ، ١٨٩ ، مرجع سابق .

(٣) انظر البحث الميداني ص.....

الكسب عن طريق المخدرات:

وعن المخدرات والعمل بها لأسباب، منها: - انخفاض مستوى المعيشة، أذكر هنا ما أعلنه/ مدير الإدارة العامة لمكافحة المخدرات في مؤتمر صحفي عقد بمقر الإدارة: «أنه تم ضبط (٥٠) ألف متهم في (٤٦) ألف قضية مخدرات في العام الماضي فقط»^(١).

ومعلوم أن تجار المخدرات من الأغنياء، والأقوياء، وربما الأمراء وليسوا من الفقراء، بيد أن هؤلاء وهؤلاء معلوم أيضاً أنهم لا يوزعون هذه البضاعة على الضحايا بأنفسهم، وإنما وراء كل واحد من هؤلاء التجار جيش من الأتباع والأنصار والعمال الذين يحرسون وينقلون ويوزعون ويروجون، ولا يخفى أن كثيراً من الفقراء بدافع الحاجة وقلة ذات اليد يقعون في براثن هذه النسور القشاعم.

إذن الفقر يدفع بصاحبه إلى العمل في المهن اللاأخلاقية، والأعمال اللامشروعة، وإن كان ذلك ليس مبرراً أو عذراً يعفى به الجاني من المؤاخذه الشرعية والقانونية، إلا أنه واقع ملموس طالما ركنت إليه النفوس المريضة ووجدت فيه الشبهة التي تدرأ الحد أو تخفف الحكم.

والواقع يتحدث في اعترافات الواقعيين في مستنقع الرذيلة وفي مذكراتهم ما يدل على أن الفقر والحاجة إلى المال كان سبباً في سقوطهم وامتثالهم وأولادهم للسرقة والدعارة والرشوة والغلول.... وأمور تدمي القلوب وتحزن النفوس بسبب الفقر»^(٢).

(١) صحيفة الجمهورية يوم ١٥ / ٢ / ٢٠١٠م، العدد (٢٠٥٠٣) ص ١٥ - .

(٢) مجلة البيان السنة الخامسة عشر عدد (١٤٩) المحرم سنة ١٤٢١ هـ أبريل / مايو سنة ٢٠٠٠م ص ١٢٨ - ص ١٢٩.

المطلب الرابع: الحقد والحسد من الفقراء على الأغنياء:

من القيم المهمة التي حرص الإسلام عليها - الحب - والإخاء، والقلوب جُبلت على حب من أحسن إليها، وبُغض من أساء إليها.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهموا طالما استخدم الإنسان إحساناً^(١)

والإنسان ليس كائنًا بيولوجيًا يأكل ويشرب وحسب، إنما هو كائن سيكولوجي له مشاعر، يحب ويكره، ويتمنى ويرغب، ويفرح، ويغضب، وعندما يعيش الإنسان في بيئة ظالمة، لا تعرف له قدرًا ولا مقدارًا تسيء إليه لا تحسن إليه، يحلم هو عليهم، ويجهلون عليه، يتودد إليهم وينفرون منه ... ترى ماذا يكون حاله معهم؟

« ويزيد الطين بلة، أن الكثيرين في هذا المجتمع لا يكفون عن استفزاز هذا الإنسان، ترف إلى حد التخمة، وهو في بطالة وفقر....»^(٢).

والعين تنظر، والنفس تشتهي، والجوارح تصدق ذلك أو تكذبه، لا شك أن ذلك يوقع في الحقد والحسد. وإذا كان الفقر يغير السلوك، ويدفع للرديلة .. ألا يدفع الفقير إلى تمنى زوال نعمة هذا الغني بالدعاء الصريح عليه، وبإضمار ذلك في النفس، أو بهما معًا.

«إن العوامل الخبيثة التي تتدخل في توزيع الثروة، تخلق التفاوت الهائل، وتقسم المجتمع الواحد إلى عدة طبقات متحاسدة متصارعة تجعل الناس كالسمك، يأكل الكبير الصغير، فتجد الثراء الفاحش بجانب الفقر المدقع، وترجمة هذا أن النعيم والترف في جانب، والبؤس والحرمان في جانب، وكثير ما يكون الغنى والنعيم حظ العاطلين، والعود والحرمان نصيب العاملين، مما يثير الضغائن ويورث الفتن، ويعرض المجتمع لأخطر القلاقل والاضطرابات»^(٣).

والإسلام عندما فرض الزكاة في مال الأغنياء، واعتبر ذلك ركن من أركان الدين .. وأنه حق معلوم للسائل والمحروم .. وأن الغني مستخلف في هذا المال وليس المالك الحقيقي له .. إنها أراد أن

(١) للشاعر أبي الفتح البستي ٤٠٠ هـ قصيدة عنوان الحكم ١ / ٣١ مكتب المطبوعات حلب ط الأولى ١٤٠٤ هـ.

(٢) ثقبوب في الضمير ص ١٢٦ ، مرجع سابق .

(٣) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٤٠٩ ، مرجع سابق .

يقرب الشقة بين الأغنياء والفقراء، ويقضي على هذا الداء (الحسد)، تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

فالإسلام لا يعترف بالطبقية البغيضة «كالتى عرفت عند الغرب من طبقة الملوك والحكام، وطبقة الأشراف والنبلاء، وطبقة الفرسان وطبقة رجال الدين و..... إلخ.

فالغنى والفقر في المجتمع الإسلامي ليس ثابتاً مؤبداً، بل كلاهما أمر دائم التغير بتغير ظروف الحياة وفرص الكسب، وقوانين الميراث، وكم من غني افتقر، وكم من فقير اغتنى»^(١).

والإسلام حتى يحاصر هذا الشر في نفس الفقير ويقضي عليه حدّ من طغيان الغني ورفع مستوى الفقير حرم الربا، والكسب الحرام بكل أشكاله، والإسراف والتبذير... بل - وحدّ من حرية الغني - في الحلال - احتراماً لمشاعر الفقير.

وكان من أول ما فعله رسول الله ﷺ في المدينة بعدما هاجر إليها أن آخى بين المهاجرين والأنصار «فلم يحقد فقير على غني، ولم يبيع غني على فقير، ورأينا بلال بن رباح وعمار بن ياسر وأبا هريرة وأهل الصفة، جنباً إلى جنب، مع عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، لا يشعرون إلا بالإخاء والمحبة والتعاون لم نر الفقراء يحسدون الأغنياء»^(٢).

هذا المجتمع (مجتمع المدينة) في عهد رسول الله ﷺ خلا تماماً من مظاهر الحقد والحسد، وصار الناس كما أراد الله لهم، عباد الله إخواناً.

«أما هنا فالحرمان ملأ النفوس بالبغضاء، والتفاوت البالغ بين الثقافات، والمشارب، والمنافع، جعل الناس يتنفسون في جو من الشراسة والتناكر، في البيت وفي الشارع وفي القرية وفي المدينة يكون من أيسر الأمور أن تتحول المناقشات التافهة إلى معارك حامية»^(٣).

والله ﷻ هو الذي خلق الإنسان، وهو سبحانه أعلم بما يصلحه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَافُوسٍ بِهِ فَنَنْصُرْهُ وَإِنَّا لَنَاقِضُونَ﴾ [ق: ١٦]، وفي تقسيم الفيء على الفقراء وذوي الحاجة، وذوي القربى من رسول الله ﷺ دون الأغنياء... دليل على أن الإسلام يتخذ الوسائل المناسبة - عن علم وجدارة - لمحو التفاوت الظالم وما ينتج عنه من حقد وحسد.

(١) المرجع السابق، ص ٤١٠، ٤١١، .

(٢) المرجع السابق، ص ٤١٤.

(٣) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٨٨، ٨٩، مرجع سابق.

قال تعالى: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[الحشر: ٧].

يقول ابن كثير رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾، «أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفتيء كي لا يبقى مأكله يتغلب عليها الأغنياء، ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون فيها شيئاً إلى الفقراء»^(١).

وإذا كان الفقير في الزمن الماضي يحسد الغني أو يحقد عليه لما يرى عنده من نعمة تتمثل في بيت من حجر، أو ما يملكه الغني من زرع أو شجر، أو ناقة أو جمل فكيف بالفقير الآن وهو يرى أنواع النعم وقد تطورت وتضاعفت وتنوعت «فيلات وقصور فخمة في تجمعات سكانية مغلقة لا يقدر على ثمنها والعيش فيها إلا نسبة لا تزيد عن ٣٪، ناهيك عن الطيارات الخاصة، والسيارات الفارهة والمصانع العملاقة، والمدارس والجامعات الخاصة، والبنوك والأرصدة، وهؤلاء الفقراء وعدد ليس بالقليل، من نسائهم وأطفالهم يعملون كخدم وعمال نظافة وعمال إنتاج عند الأغنياء.

هذا المناخ العام لا يساعد على إطلاق طاقات الشرفاء هذا هو واقع المجتمع المصري دون خداع أو إغراق في الوهم، ناهيك عما تعانيه هذه الأسر الفقيرة من صنوف المعاناة والمرض والجهل»^(٢).

هذا التفاوت الكبير، نرى أناس في عليين، وهم قلة قليلة، وغيرهم وهم - الكثرة الكثيرة - في ذل وهوان، ألا يدعوا ذلك إلى الحقد والحسد والعدوان؟! *

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٦، مرجع سابق .

(٢) انظر الحقيقة والوهم في المجتمع المصري ص ١٢ وما بعدها، مرجع سابق .

المطلب الخامس: إهمال قيم التسامح في المعاملات بين الناس:

قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرأ سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى»^(١).

هذه السماحة التي حث عليها الرسول الكريم ﷺ تربي عليها المجتمع المصري، فكان المسلم يعرف ما له وما عليه، فلا يطمع في مال غيره؛ لأنه يعرف الملكية العامة والخاصة والأحكام المنظمة لكل منهما، بل ويعلم المسلم الحقوق العامة في ملكيته الخاصة، كالزكاة ونفقة الجهاد، والتعاون في دفع الديات، وبناء دور العبادة، ومدارس العلم.... وكان ذلك يسير في جو من الحب والرضا والتسامح، وظل ذلك كذلك حتى زاحمتنا القوانين الوضعية والأفكار المستوردة وكان الباعث على وضعها الفقر^(٢)... والتقليد الأعمى للغير.... فكانت الأنانية وحب الذات، وكان العداء والتقاضي والقطيعة، ونسي الناس أو تناسوا - إلا ما رحم ربي - «أن المالك الأصلي للمال هو الله تعالى، وأنه أذن للناس أن يملكوا حسبما يحدد الشرع، فالملكية الخاصة والملكية العامة هي بإذن من الشارع، وأن لكل منهما حدوداً واضحة مبينة، وأن الناس شركاء في أشياء»^(٣)، وأن الكسب لا بد وأن يكون بالحلال من عمل مشروع أو ميراث أو هبة... كل هذه القيم الأصيلة ثم التشويش عليها، والترويج لغيرها فاستطال الناس على أموال بعضهم - بغير حق - فضعفت قيم التسامح في المعاملات، من بيع وشراء وإيجارة، وحتى الزواج صارت هناك شروط وتعقيدات، كقائمة المنقولات التي غالباً ما تكون أكثر من الحقيقة، ومؤخر الصداق، وربما البعض يشترط التوقيع على إيصالات أمانة أو التنازل عن الشقة للزوجة.... بدعوى ضمان حقوق الزوجة، إذ خربت الذمم، وضاعت القيم، وانتشر الفقر، وصعبت المعيشة، وتغير الزمن ولا بد من هذه الإجراءات - ومع الأسف - كان ذلك ولا يزال على حساب قيم التسامح التي حث عليها الإسلام والذي عمل على تيسير الزواج ولو بخاتم من حديد أو بما يحفظ المرء من القرآن الكريم^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله بن حرام برقم (١٩٧٠) باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (٢/ ٧٣٠) دار ابن كثير مرجع سابق.

(٢) ومن هذه الأفكار المستوردة (الشيوعية) وتسمى بثورة الجياع والعمال، وقد طبقت في البلاد وزرعت العداء بين أبناء المجتمع بنزع الملكية من زيد وتسليمها لعمرو، والتي لاتزال آثارها السلبية قائمة حتى الآن، وكذلك الرأسمالية والعولمة.... إلخ.

(٣) الناس شركاء في الأموال العامة ص ٦ د/ عبد العزيز الخياط، استاذ الفقه المقارن بالجامعة الأردنية، وعميد كلية الشريعة ط دار السلام سنة ١٩٨٥ م.

(٤) انظر كتاب تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية، د/ عبد القاصر العطار، عميد كلية الحقوق بأسبوط ص ٨٠،

٨١، ٨٢ مؤسسة البستاني للطباعة ص الخامسة سنة ١٩٨٨.

تحول الكثيرون عن قيم الإسلام الأصيلة إلى الأنانية وحب الذات، وعدم الطمأنينة، والجري وراء المادة، والإيمان «بالنظم التي تجعل الخبز هدفها، والبطن محورها، والاقتصاد مشكلاتها، والدنيا أكبر همها ومبلغ علمها، والمادة دعامة حياتها، بل عماد حضارتها ومدار فلسفتها وتفكيرها»^(١).

إنها فتنة أغرت البسطاء والفقراء إلى التطلع إلى الغنى، بل والأغنياء - إلا ما رحم ربي - دفعتهم إلى حب المال وجمعه والحرص عليه، والبخل به عن حقه، واكتنازه واحتكاره وعدم صرفه في أوجه الخير دون التقيد غالباً بضوابط الشرع أو القبول عند الناس، مع أن «المصداقية العلمية تؤكد أن قيمة الحب والتسامح والرحمة والتضحية وخدمة الآخرين - وهي قيم في كل الأديان والروحانيات - لها تأثيرها الواقي من الاكتئاب والقلق وأمراض القلب.

نحن في حاجة شديدة إلى العودة إلى الحب والرحمة التي قد تساعدنا على البقاء والتعايش في عالم مملوء بسفك الدماء، والحروب والقمع»^(٢).

حقاً لقد ضعفت قيم الرحمة والتسامح في المعاملات وكثر التقاضي والتنازع ورفع الدعاوى - بحق أو بباطل - وتغيرت الطريقة السمحة في البيع والشراء، فصار هناك بيع بالإكراه وشراء بالإكراه بدلاً من التراضي الذي هو شرط أساسي لصحة البيع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

* سر يوماً في شوارع القاهرة، في الشوارع التجارية كشارع الموسكي مثلاً، وانظر حال الباعة فوق الأرصفة وطريقة تعاملهم مع الجمهور^(٣).

* واذهب يوماً إلى الريف وسل النساء عن الطريقة التي تم بها بيع ميراثهن لإخوانهن، لترى

(١) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٣٥، مرجع سابق.

(٢) ثقبوب في الضمير ص ٢٨، مرجع سابق.

(٣) كنت في منشأة ناصر يوم ١٠/١١/٢٠٠٩ م، أجمع معلومات ميدانية خاصة بالبحث فوجدت، رجلاً اسمه/ عبيد محمد محمود، يحكي عن أخلاق هؤلاء الباعة ويقول بالحرف: «أغروني بشراء بدلة فذهبت إلى المسجد لألبسها وانظر إليها، فوجدتها ضيقة، فرجعت بها فسمعت منهم ما لا أجرؤ بالنطق به، ما كنت أظن أن القيم والأخلاق قد هبطت إلى هذا الحد».

كيف تغيرت قيم التسامح بين الأقارب والجيران، في البيع والشراء والتقاضي وسائر المعاملات لدرجة وصلت إلى الخصام والمهجر والقتل وسفك الدماء، ولولا خشية الإطالة لذكرت ما تطالعنا به الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية عن الحوادث التي تنشأ على أبسط الأسباب^(١)، مما يؤكد أن التسامح بين الناس قد صار عملة نادرة البحث عنها في دنيا الناس، كالبحث عن الذهب والفضة والماس.

* * *

(١) على سبيل المثال ، صحيفة الجمهورية ٢٠١٠ / ٢ / ٦ م صفحة : ١٦ عدد ٢٠٤٩٤ ، دراسة عن زواج القاصرات من الأجانب هروباً من الفقر كما تقول الدراسة. وعن المواجهات الساخنة انظر صحيفة (المصري اليوم) للصفحة الأولى ٢٠١٠ / ٣ / ٢١ م ، وصحيفة الحوادث المصرية ١٨ / ١٠ / ٢٠٠٩ م ص ١٠ ، المؤيد لمن قتل شقيقته لخلاف على ستين جنيهاً تأمل.

المبحث الرابع: أثر مشكلة الفقر على العلم والفكر والإبداع

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الرغبة عن التعليم الديني إلى المدارس الأجنبية خشية الفقر.

المطلب الثاني: التفكير المستمر في الحصول على مقومات الحياة.

المطلب الثالث: ضعف الإرادة وفقد الثقة في النفس، والقدرة على التفكير والإبداع.

المطلب الأول: الرغبة عن التعليم الديني إلى المدارس الأجنبية خشية الفقر:

كان التعليم في مصر يهدف إلى المحافظة على القيم، والجمع بين الأصالة والتجديد وكان التعليم في الأزهر الشريف الرائد في هذا المجال، وذلك عن علم بقيمة التعليم الديني في الدنيا والآخرة ... إلى أن ظهرت المدارس الأخرى، لاسيما المدارس الأجنبية التي أنشئت خصيصاً لمنافسة الأزهر وبإيعاذ، وترتيب، وتمويل وإشراف الاحتلال وأذنبه وأنصاره^(١).

والإنسان - كما سبقت الإشارة - يخشى الفقر ويأمل الغنى، ولقد انشأت هذه المدارس التي تعد خريجيها بالرواتب المجزية، ورصدت لها الأموال اللازمة، والامتيازات المغرية، والمناصب المرموقة ... وكان كل ذلك على حساب التعليم الأزهري المعروف والمحسوب في مصر والعالم الإسلامي. ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال، وخروج الاحتلال، بقيت الأفكار والآثار وأصبح لهذه المدارس أنصاراً يُروّجون لها، ويعملون على نشرها وتطويرها ... كل ذلك كان سبباً في التحول الفكري في مصر.

«فأصبح هناك ميل متزايد إلى ما هو أجنبي عن ما هو وطني، لم يكن هناك بد من أن ينعكس كل هذا على المناخ الثقافي، أي على نتاج الفكر من آداب وفنون سواء من حيث مضمون الفكر نفسه أو وسائل التعبير عنه.

ففي الكتابات الاقتصادية والاجتماعية زاد الكم المطروح في الصحف والكتب والإذاعة والتلفزيون على نحو لم يكن مألوفاً قبل الثورة، ولكن اتسم كثيراً منها بالتسرع في الكتابة، وانخفاض مستوى الدقة في التعبير، وضعف اللغة العربية المستعملة، مع شيوع اقحام اللغة الإنجليزية بغير مبرر على تعبيرات عربية واضحة بذاتها كما زاد الاهتمام باستخدام المصطلحات الفخمة التي توحى باتساع العلم دون أن تساهم هذه المصطلحات في توضيح القضية محل البحث، بل وحتى لو زادت الأمر غموضاً، وزاد الميل إلى إطلاق الأحكام المطلقة والتغاضي عن الاستثناءات والتحفظات، وكلها ظواهر قد تكون شديدة الصلة بما نحن بصدد من صعود أفراد تلقوا تعليماً متعجلاً لم يتشربوه كافياً، لا لغة صحيحة، ولا أسلوب تفكير منطقي، ولا تعبير علمي، ومن نافلة القول أن نذكر بالقوى الخارجية، وأن نضيف على الفور الإشارة إلى (الأعوان) و (الأذئاب)...»^(٢).

(١) للمزيد انظر كتاب أساليب الغزو الفكري ص ٦٢ : ٦٣، مرجع سابق، وكتاب محاضرات في الاستشراق والتبشير ص ١٠ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) ماذا حدث للمصريين ص ٣٧، ٣٨، ٣٩ بتصرف، مرجع سابق.

أليس ذلك كله يدل على أثر الفقر على القيم؟ ومنها القيم العلمية التي هي أساس الفكر والإبداع. إن الرغبة في التعليم الأجنبي دون مراعاة الثوابت والهوية، كان له الأثر البالغ على الفكر واللغة، فإذا عجز المرء عن التعبير السليم عجز بالطبع عن الابتكار والإبداع، وهذا يجعله يعيش في حالة من التخطئ والسلبية والانتكالية وربما التبعية والافتتان.

«إن فوضى اللغة التي نعيشها في مصر الآن جعلت الشخصية المصرية تتأثر تأثراً سلبياً في عملية التعبير عن الفكر، ويتضح ذلك في النتائج الفني من أفلام ومسلسلات ومسرحيات، فكثير من المصريين يستعمل لغة تعكس الاستهتار والتسيب الاجتماعي والانفلات النفسي وعدم تحمل المسؤولية، والسخرية من القدوة والرمز والقيم.

إن ثبات وصدق اللغة هما بعض من الأسس المهمة للثقافة الحية والتقدم العلمي، فلا يمكن أن يكون للمنزل لغة وللجرائد لغة وللأغاني لغة وللشارع، وللقرآن لغة أخرى.

وإذا لاحظنا ما حدث في مصر في العشرين سنة الأخيرة لوجدنا أن الطبقات الميسرة تزج بأبنائها في المدارس الأمريكية والفرنسية والبريطانية والألمانية، ويصبح الطفل في تشتت فكري، يجعله ينجح في الامتحانات لكنه غير قادر على الابتكار.

جاء الاستعمار البريطاني واستغنى عن الأساتذة المصريين واستبدلهم بالأساتذة الإنجليز واستمر التدريس - في الطب - باللغة الإنجليزية من وقتها وحتى اليوم^(١).

والطب كما هو معروف أعلى ما يتمناه المرء لأولاده، فهي مهنة مربحة ومرموقة، وكلية الطب هي إحدى كليات القمة كما يقولون، وقل مثل ذلك في كليات^(٢) القمة الأخرى. والأعمال التي تجلب الأموال، والغني يحرص على دوام الغنى له ولأولاده، والفقر يتطلع إلى الغني، فإن حرمة هو تمناه لولده، ولا مانع عنده من أن يضحي بكل ما يملك أو يضغط نفقاته للوصول إلى هذا الهدف.

كل ذلك كان له الأثر البالغ على الفكر، والعلم، والإبداع.

(١) ثقب في الضمير ص ٤٨ : ٥٠ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) كان التعليم الأزهرى هو القمة، لاشتماله على علوم الدين والدنيا معاً، وبمعايير ومقايير متوازنة ومتساوية ومناسبة لمقتضى الحال والزمان.. ثم ظهرت المدارس الأجنبية وأشاعت أن قمة التعليم هو الطب والهندسة والشرطة.. وبها يحصل المرء على الوظائف السيادية والرواتب المجزية.

المطلب الثاني: التفكير المستمر في الحصول على مقومات الحياة:

الفقر يربك الفكر، ويجعل صاحبه في تفكير مستمر، لتوفير الحاجات الضرورية التي يفتقر إليها الجسم، والنبي ﷺ وهو يحث أمته على المبادرة بالأعمال الصالحة يقول: «هل تنتظرون إلا فقراً منسياً...»^(١).

فالفقر ينسي ويلهي «والمسلم المعاصر همومه كثيرة، ومشاغله متعددة، ومعقدة وفكره مشحون بعشرات القضايا التي تشغل باله، وتشتت فكره، وتدور كلها حول كيفية الحفاظ على دينه ودنياه، وفي نفس الوقت، على نحو يجعل كل منهما سنداً للآخر، ودعامة له، وإلغاء أي تناقض مفتعل بينهما»^(٢).

وإذا كان العقل وعاء المعرفة، ما لم تملؤه بالمعرفة الحقة عن الدين والكون والحياة، امتلاً بالمعرفة الباطلة. حدثني بربك كيف يتعلم دينه ودنياه، من ملأ عقله بهوم معيشتة، وشغل باله وفكره - على الدوام - بحاجة أولاده ومن يعول؟

يقول الدكتور القرضاوي: «وليس بلاء الفقر وخطره مقصوراً على الجانب الروحي والخلقي للإنسان، وإنما يشمل أيضاً الجانب الفكري منه، فالفقر الذي لا يجد ضرورات الحياة وحاجاتها لنفسه وأهله وولده، كيف يستطيع أن يفكر تفكيراً دقيقاً، ولا سيما إذا كان هناك بجواره من تغص داره بالخيرات وتموج خزائنه بالذهب.

وقد روى عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة أن الجارية أخبرته يوماً في مجلسه، أن الدقيق نفذ، فقال لها: «قاتلك الله لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه»، ويروى عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أنه قال: «لا تستشر من ليس في بيته دقيق» أي: لأنه مشتت الفكر مشغول البال فلا يكون حكمه سديداً، وذلك أن الانفعال الحاد يؤثر على سلامة الإدراك وصحة الرأي كما يقرر علم النفس، وكما جاء به الحديث الصحيح: «لا يقض القاض وهو غضبان»، وقاس الفقهاء على الغضب شدة الجوع، وشدة العطش، وغيرهما من الانفعالات المؤثرة، وفي نحو هذا قال الشاعر:^(٣)

إذا قل مال المرء قل بهاءه وضائق عليه أرضه وسماهؤه
وأصبح لا يدري وإن كان دارياً أقدامه خير له أم وراؤه^(٤)

(١) رواه الترمذي في السنن عن أبي هريرة برقم (٢٣٠٦) باب ما جاء في المبادرة/ ط إحياء التراث العربي (٤/ ٥٥٢)، والحديث صحيحه السيوطي في الجامع الصغير برقم (٣١٢١).

(٢) كتاب فكر المسلم المعاصر ما الذي يشغله، ص ٧ ط مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٤م، الكتاب الثاني د/ محمد سيد طنطاوي ومجموعة من العلماء.

(٣) البيتان لمنصور الكريزي روضة العقلاء (١/ ٢٢٥) دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٧.

(٤) مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام ص ١٥، مرجع سابق.

المطلب الثالث: ضعف الإرادة وقلة الثقة في النفس.

وكما أن الفقر يؤثر على مروءة الإنسان، وعلى عقيدته، وعبادته، وسلوكه وأدميته يؤثر أيضًا على نفسية الإنسان وأعصابه، وعقله، واتزانه؛ لأن الشعور بالذل والهوان قد يشل تفكيره ويربك عقله، إلا ما رحم ربي وقليل ما هم، ولقد ربط الأطباء بين سوء التغذية وبين الأمراض النفسية، واعتبروا أن الأول سبب رئيس لوجود الثاني، لاسيما إذا كان مصاحبًا له منذ نشأته الأولى التي يحتاج المرء فيها للغذاء اللازم لنموه نموًا سليمًا.

«ففي المجاعات وحالات التضور لن يتصور المرء غير النقص الشامل للغذاء، فالجوع قبل أن يكون إحساسًا عضويًا فهو حالة افتقار فسيولوجي لا بد من إشباعها، وهذا ما يعانيه سكان البلاد الفقيرة، وأنه على حد قول الباحثين أزمة غير مرئية ومأساة يومية تحرم مئات الملايين من تحقيق حقوقهم منذ الولادة.

إن المأساة تنعكس كتآكل للثروة البشرية، بما يعني تدهور الكائنات البشرية، وتآكل الثروة البشرية ليس تعبيرًا إنشائيًا... إنه حقيقة علمية أكدتها الأبحاث، ففي البلدان النامية يمثل سوء التغذية المشكلة الصحية الأولى يكمن سببها الرئيس في عدم القدرة على الحصول على الغذاء الملئم. حقًا هناك الكثير من الأسباب التي تؤدي إلى سوء التغذية، كالجهل والمرض... لكن مجمل تلك الحالات لا يعد شيئًا مذكورًا بجانب الفقر»^(١).

نعم فسوء التغذية له تأثير مباشر على الصحة النفسية والمزاج العام للإنسان، ولعل ما ذكره الأطباء في هذه المسألة يؤكد ما يقال من أن العقل السليم في الجسم السليم، ولا يسلم الجسم من الأمراض العضوية والنفسية إلا بالدواء والغذاء، والفقير الذي لا يملك القوت مجردًا أتى له بذلك؟

«إن الفقر والفاقة، والمجاعة، وعجز الإنسان عن مواجهة الكوارث الطبيعية، والحروب، والازدحام، والمساكن الغير صحية تجعل الأمراض أكثر انتشارًا، كذلك الريف ينتشر فيه المرض أكثر من المدن، والأحياء الفقيرة أكثر من الأحياء الغنية؛ لأن من يدرك خصائص البيئة الفقيرة حيث تدني مستوى المعيشة والتكدس السكاني، وغياب المرافق الصحية وظروف الإسكان التعسة والبيئة

(١) أمراض الفقر والمشكلات الصحية في العالم الثالث، تأليف: د/ فليب عطية ص ٤٥، ٤٦ ط دار المعرفة رقم ١٦١

الملائمة لتكاثر الحشرات والقوارض، والعلاقات الحميمة بين الأجساد البشرية وبين البشر والحيوانات، لا بد أن يستنتج أن القاع هو مهد الأوبئة»^(١).

ويؤكد هذه الحقائق/ الدكتور أحمد عكاشة «من أن الشرود والقلق والاكتئاب والتمركز حول الذات، وعدم المثابرة، وسلوك رد الفعل، والغضب والإحباط والعدوان كلها أمراض تخلقها غالبًا البيئات الفقيرة وأن هناك علاقة واضحة بين الازدحام والصحة النفسية، وأن الإنسان عندما يحى في بيئة مضطربة خالية من النظام والانسجام والتوافق، تمتلئ نفسه بالكآبة، وعندما يتحول مسكنه إلى مجرد مأوى يصبح ذئبًا وليس إنسانًا، وتفيض نفسه بالقلق والتوتر وأحيانًا بالهلع وأن هذه الأمراض قد تؤثر على الجنين وهو في بطن أمه، بسبب الظروف التي تمر بها الأم، فيؤثر ذلك في تكوين الطفل قبل ولادته، فما بال الأثر الذي تؤديه المؤثرات ذاتها بعد أن يولد الطفل ويصبح شابًا وبالغًا.

تقول الدراسات: إن الأعراض الاكتئابية قد انتشرت في الريف بمعدل ٣٤٪ من مجموع السكان والمدينة ٢٨٪ ففي مصر وحدها مليوناً مكتئب حيث إن من ٥-٧ من أي شعب يعاني الاكتئاب تشير كل المؤشرات العالمية أن القرن القادم سيشهد مزيداً من الاكتئاب، وذلك لأسباب منها ضيق فرص العمل والمعيشة»^(٢).

إن معظم الأمراض التي تصيب العقل بأي لون من ألوان الخلل، لا أتصور أن الفقر بريء منها أو بعيداً عنها.

فإن لم يكن الفقر سبباً في تكوينها في مرحلة من مراحل العمر، فله على الأقل صلة بها؛ «لأن النقص في تغذية الحامل يترك أثره على الجهاز العصبي للجنين والذي يبدأ في التكوين والنمو خلال الأسبوع السادس من الحمل»^(٣).

وإذا لم يكن الفقر سبباً في تكوين المرض فهو سبب في عدم علاجه بعد اكتشافه، إذ إن الفقير غالباً ما يعجز عن مكافحة المرض، إما لفقره وإما لجهله وإما بهما معاً.

(١) أمراض الفقر ص ١٢٧ وما بعدها، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) تشريح الشخصية المصرية ص ١٢، ص ٢٠٧ وما بعدها بتصرف مرجع سابق، والدكتور أحمد عكاشة / أستاذ الطب النفسي بكلية الطب جامعة عين شمس، وهو رئيس الجمعية المصرية للطب النفسي، ورئيس اتحاد الأطباء النفسيين العرب، وله أبحاث مطولة للمزيد من الفائدة يمكن الرجوع إليها في الصفحات المذكورة.

(٣) أبنائنا مشكلات وحلول ص ٩١، مرجع سابق.

«فمن العوامل المساعدة أو المباشرة لظهور الأمراض النفسية المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى انتشار البطالة والعنوسة، وهناك مشاكل اجتماعية داخل الأسرة، كضغوط الخلافات الزوجية، والفقر، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية، والصدمات الاقتصادية، كضياح التجارة والأموال أو نقصهما بفقد الصدقات أو الخسارة»^(١)، إذا أحس المرء بالإعياء، وعدم القدرة على مواجهة مشكلات الحياة شعر بالإحباط وعدم الرضا عن النفس، بل وشك في قيمته الذاتية في نظر نفسه ونظر من حوله، وعلى الأخص الضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة، وإنصاف المتعلمين ممن قل حظهم في التدين الصحيح الذي يبعث في النفس الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه.

يقول الدكتور حمادة محمود أحمد: «والفقر يجبر من ورائه العجز عن الكسب واعتلال الأجسام وانتشار الأمراض، وبذلك تقل القدرة على إنجاب النسل الجيد القادر على العمل والكفاح وتنشأ أجيال هزيلة، لا يعتمد عليها لا في حياتها الشخصية ولا في حياتها القومية، ولا في المعترك الدولي، بل تكون في الغالب عالة على المجتمع»^(٢).

إن كثيرًا من الفقراء كانوا يتطلعون إلى مستقبل أفضل بكثير مما تحقق لهم، في حين أن غيرهم قد جلس على قمة الهرم الاجتماعي وصار في واقع فاق أحلامه وأمانيه.

هذا بجانب غياب التوعية اللازمة، والتوجيه السديد، والتعليم الهادف والرشيد، والقذوة الصالحة ... هذه الظروف ولدت لدى الفقراء حالة من الضعف وفقدان الثقة وعدم القدرة على النقد والتحليل والتأمل والاستنتاج «ذلك الذي هيا للفكر الغربي والمادي فرصة قبول المثقفين له، دون أن يجدوا في ثقافتهم التي يحملونها وفي أنفسهم ما يناقش هذا الفكر، حتى يكون قبولهم إياه نتيجة عن اقتناع وتأمل، وجد فراغ آخر في الحياة التوجيهية العامة، وهي حياة الجماهير من العمال والفلاحين، لقد أصبحت حياتهم خالية من أي توجيه صالح يعالج لهم مشاكلهم اليومية والمشاكل الأخرى التي تأتي بها الحضارة الحديثة، فاضطرب رأي الفلاح والعامل في التعاون، والتعامل،

(١) د/ محمد عبد المولى قاسم، ذوو الاحتياجات الخاصة وموقف الاسلام منهم ص ١٢٥، رسالة دكتوراه غير

منشورة، قسم الثقافة الإسلامية/ كلية الدعوة الإسلامية/ جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م، بتصرف يسير.

(٢) كتاب مصر النهضة صناعة تاريخ مصر الحديث، ص-١٧٠ ط الهيئة المصرية للكتابة سنة ١٩٨٧م. (٢) الفكر

الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ص ٤٠٤ ، ٤٠٥.

والاقتصاد، والإنتاج»^(١)، إن الإرادة لا تكون صادقة إلا عن اقتناع مستمد من المشاعر والرغبات والغايات التي يسعى الإنسان لتحقيقها.

ويكتسب الإنسان الثقة في النفس بالتدريب المبكر، وإعمال العقل فيما يجوز إعماله فيه، وبالأخذ بوسائل العلم اللازم لحراسة الدين وإعمار الحياة... والفقر المهموم الذي يمضي ليله ونهاره يفكر في سداد ديونه وشراء القوات الضروري لأولاده، هل تراه يعطيك رأياً، أو يبدع فكراً، أو يرد كيّداً، أو يقرع حجة بحجة وبرهاناً ببرهان، أنى له ذلك؟!!

«حيث يوجد الهوان المادي والأدبي لا يرجى خير، ولا يؤمن شر، فالإنسان المغلق الخامل المحطم لا ينتفع بالدين ولا ينتفع به الدين، ما الذي يفيد الإسلام من رجل طمست حياته، وشاھت ملكاته وعاش على ظهر الأرض حفنة من ترابها، أو قطعة من صخورها؟!!

إن الإسلام لا يستفيد شيئاً من هذا الشخص، بل إنه يضار به ويهون فيه، والإناء الملوّث يزري بأطهر الوسائل ويخس قيمته، كذلك الشعوب العاجزة الكسول، تحط من مكانة الأديان التي تعتنقها وتهبط بمستوى العقائد التي تنتمي إليها!!!

والمرء يستحيل دابة يوم يموت فيه عقله المفكر وترتكس فيه مشاعره اليقظة فيصبح غير مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده؛ لأن ليس له من ذلك إلا ما للحيوان السائم؛ حواس مسخرة في أغراض الحياة الدنيا فقط.

وأمثال هؤلاء هم - مع الأسف العميق - قوام الجماهير الغفيرة التي أعماها الجهل وأوهاها المرض وأهانها الفقر، قوام الكتل الضخمة من البشر الذين يزخر بهم الشرق ولا يتقدم بهم إلى الأمام خطوة بل يتأخر بهم خطوات أو هم التراب الذي تبرد فيه حرارة الإسلام وتبدد قواه كدين موجه فعال. هذا الهوان المادي والأدبي لا ينبغي حسبانه ديناً أو ظلاً لدين، فهو عار ولدته بيئات آثمة لا تتصل بالدين إلا ادعاء ولا يتصل بها الدين إلا مشوهاً مظلوماً مفترى عليه، إن حدة الذكاء ويقظة الفكر واستنارة الرأي عناصر لا بد منها في تكوين الإيمان الصحيح فإن الإيمان معرفة بلغت حد اليقين وانتفت معها الريبة، وحيث لا يوجد الإدراك الواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذي موضوع!!»^(٢).

(١) المرجع سابق، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) كتاب الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، بتصرف، مرجع سابق.

المبحث الخامس: أثر مشكلة الفقر على الترابط الأسري

وفيه خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: التفكك الأسري وزيادة معدلات الطلاق.

المطلب الثاني: ضعف دور الوالدين في تربية الأولاد بسبب الخروج للكسب ومضاعفة ساعات العمل.

المطلب الثالث: الهروب من المسؤولية بدعوى عدم القدرة على النفقة.

المطلب الرابع: العزوف عن الزواج والإحساس بالعجز عن تكوين الأسرة.

المطلب الخامس: كثرة العداوات والخلافات بين الأقارب .

المطلب الأول: التفكك الأسري وزيادة معدلات الطلاق:

الفقر له آثار سيئة على الأسرة، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإن صلحت الأسرة صلح المجتمع وإن فسدت الأسرة فسد المجتمع، والإسلام يحرص على بناء الأسرة على أسس سليمة ومتينة^(١)، فإذا قامت الأسرة حرص الإسلام على بقائها ونقائها وعدم هدمها أو إهمالها^(٢).
فكما أن الإسلام رغب في الزواج وحسن الاختيار، فإنه في ذات الوقت يكره الطلاق والشقاق، ولا يفتح الباب على مصراعيه في مسألة الطلاق، وإن قبله، قبله على مضض، وحاصره في أضيق نطاق.

فقبوله من باب أخف الضررين وأهون الشرين، قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة - أي لا يطلقها - إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر»^(٣)، وقال: «إن أبغض الحلال عند الله الطلاق»^(٤).
والفقر - مع الأسف - قد يغلب ذلك كله، ولقد علم ﷺ بهذه الحقيقة وحذر منها فقال: «لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها ما قدر»^(٥).

وتأمل ما حدث من زوجات رسول الله ﷺ بسبب الفقر وضيق الحال وقد اجتمعن حوله يسألنه النفقة «فأمره الله تبارك وتعالى بين أن يخيرهن أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال»^(٦).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

[الأحزاب: ٢٨-٢٩].

(١) كاختيار أهل التدين السليم، والنظر إلى الزوجة قبل إتمام الخطبة حتى تدوم العشرة... وبيان ما للزواج من فضل في الدنيا، وأجر وثواب في الآخرة..... إلخ.

(٢) كبيان الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة، وثواب القيام بها، وخطورة التخلي عنها.

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، (٢/ ١٠٩١) باب الوصاية بالنساء برقم (١٤٦٩) إحياء التراث

العربي مرجع سابق.

(٤) رواه أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنه، باب كراهية الطلاق برقم (٢١٧٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٤٨٥٧) باب الشروط التي لا تحل في النكاح (٥ / ١٩٧٨)

دار ابن كثير مرجع سابق.

(٦) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢، مرجع سابق.

وقد يقال: طلب الطلاق له أسباب ومسببات كثيرة، وهذا صحيح ولكن، لا يمنع أن يكون الفقر على رأس هذه الأسباب، أو واحدًا منها: «فإن مشاكل المجتمع تنعكس على الحياة الزوجية؛ لأن الإنسان يعيش في حالة تفاعل مستمر مع المجتمع، وبما أن الحياة الزوجية هي المجتمع، فإن كل المسائل غالبًا ما تكون مادية، واجتماعية، واقتصادية، وإسكانية، وتؤثر على الحياة الزوجية بالقطع، لماذا يزيد الطلاق في المجتمعات المأزومة؟ الطلاق تفشى في كل المجتمعات، والمشاكل الاقتصادية أحد العوامل»^(١).

إنَّ تحلي الرجل عن النفقة، وتأزم الحياة المعيشية، أمور لا يستهان بها في طبيعة الحياة بين أفراد الأسرة، لاسيما الزوجة التي نشأت في النعمة، وتنظر إلى مثيلاتها المنعمات وأخواتها المرفهات، وقد تكون هي أوفر منهن علمًا وجمالًا، لكنها رزقت بزواج فقير أو كسول أو بخيل.

يقول الدكتور القرضاوي: «والفقر خطر على الأسرة من نواحي عديدة على تكوينها، وعلى استمرارها، وعلى تماسكها، ففي استمرار الأسرة نرى ضغط الفقر ربما غلب الدوافع الأخلاقية ففرق بين المرء وزوجه على كره منه، وربما على كره منها، وهذا أمر اعتبره القانون الإسلامي فأجاز القاضي تطليق المرأة من زوجها لإعساره وعجزه عن النفقة عليها، رفعًا للضرر عنها، وفقًا لقاعدة: (لا ضرر ولا ضرار)»^(٢)، وهذا يدل على أن الإسلام يعترف أن الفقر ضررٌ يميز للمرأة بسببه أن تطلب الطلاق ويعرض الأسرة إلى التفكك والانحيار.

«إن الأسباب الاقتصادية لها دورها في ظهور التفكك الأسري في المجتمع، ولا تكاد تخلو ظاهرة اجتماعية من وجود سبب اقتصادي... وأخص من بين العوامل الاقتصادية عاملين اثنين:

١ - الفقر والبطالة. ٢ - عمل المرأة»^(٣).

(١) ثقب في الضمير ص ١٤١، بتصرف، مرجع سابق.

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٦، مرجع سابق.

(٣) د/ محروس محمد محروس، التفكك الأسري في المجتمع المصري المعاصر ص ١٩٨ بتصرف يسير، رسالة دكتوراه

غير منشورة جامعة الأزهر المكتبة العامة برقم ٢١٩١/١٣٤٧.

« فقر الأسرة مع قلة إيمان الزوجين ورضاهما ببات قسم الله لهما، شر مستطير، يدعو إلى النزاع، والشجار، والهموم، والغموم، وأشد من ذلك وأنكى هو ارتكاب جرائم قتل وسلب للحصول على المال، ولذلك الأولاد الذين ينشأون في أسر فقيرة تراهم ينعون حظهم، وينفرون من أسرهم، لأنهم يسكنون القبور وغيرهم يسكنون القصور، وقد يتركون عائلاتهم إلى الشوارع طالبين المال، ومنهم من ينقم على والديه لفقرهما»^(١).

ناهيك عما يسمى بالطلاق الصامت بين الزوجين، والهجر الخفي بين أفراد الأسرة الواحدة، فكم من أسر تعيش مجتمعة أجساماً، متفرقة قلوباً تراهم جميعاً في منزل واحد ولكن لا قوام للرجل على زوجته، ولا سلطان له على أولاده، والأولاد كل على حده لا يضمهم ولا يجمعهم سوى البيت في البيت وقد لا يكون، وهذه قيم أصيلة يهددها الفقر، وهذا ما سأذكره - إن شاء الله - بالتفصيل في الصفحات التالية.



(١) المرجع السابق ص ٢٠٦-٢٠٧.

المطلب الثاني: ضعف دور الوالدين في تربية الأولاد بسبب العمل:

لا شك أن الإنسان يحب أولاده، ويتمنى لهم كل خير، وقد يضاعف ساعات العمل بقصد تحسين معيشة أولاده، وتوفير ما يحتاجونه من طعام وشراب ونفقات وهذا في حد ذاته جيد طالما لا يؤثر سلباً على تربية الأولاد.

والعاقل من يقدر الضرورة بقدرها، فالعمل ضرورة، وتربية الأولاد ضرورة، وكلاهما واجب لا يقل في الأهمية عن الآخر، لذا لابد من العدل والإنصاف في توزيع ساعات اليوم، حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه، من التفسخ الأسري، وعدم السيطرة على الأولاد، وضعف الوازع الديني، وذهاب هيبة الآباء، وسلطان القيم والاحترام، من الصغير للكبير والرحمة والحنان من الكبير للصغير.

«إن التفسخ الأسري والمشاكل الأسرية الناجمة عن بعد الأبوين، وغياب الرقابة على الأبناء، يؤدي إلى فساد الأولاد والبنات، وتفشي المنكرات بسبب قلة الرعاية والمتابعة الرقيقة حتى إن إحدى الفتيات تقول: إن آباءنا لا تهمهم أمورنا ما دمنا لا نصل إلى البيت ونحن نحمل أجنة في أحشائنا، وهذا القول يعبر عن مدى التسبب والانحلال، وأن ما يتخوف منه هؤلاء الآباء وهو حمل بناتهم وقد وقع بالفعل وصارت رائحته تزكم الأنوف في المدارس والجامعات، فالزواج العرفي، وحمل الفتيات سفاحاً، وكثرة الأطفال اللقطاء، كل هذا نتيجة طبيعية لهذا التفسخ الأسري، وإن إهمال أولياء الأمور وسلبيتهم هو من أكبر الدوافع التي أدت إلى انتشار الحرية الزائفة التي يتمسك بها بعض الشباب دون الرجوع إلى الأبوين»^(١).

وكثير من الآباء يظن أنه أدى كل ما عليه من واجب نحو أولاده، طالما يعمل (من أجلهم) ليل نهار فيوفر لهم المال والمتاع، ولا يخطر بباله أن الأيام تمضي وفرص التربية تضيع، وسرعان ما يتحول الأولاد إلى شيء آخر لم يكن في الحسبان «والغالب أن يكون أمام الأولاد فرص جديدة لم تكن متاحة للأب بسبب تفوقهم عليه في مستوى التعليم، واتصاهم ببيئات جديدة لم تتح للأب أو الأم أية فرصة للاتصال بها، فيكتسب الأولاد ثقة بقدرتهم على الكسب، والترقي الاجتماعي تفقدتهم ما كان

(١) الولاية والشهادة في النكاح وحكم الزواج العرفي ص ٢٢٤، رسالة ماجستير مقدمة من الباحث/ جمال الضمراني

المحامي بالنقض ط دار النهضة المصرية سنة ٢٠٠٧ م .

لديهم من احترام للبيت الذي نشؤوا فيه، ولا يرون في خبرة آبائهم ما يدعو للتبجيل لاتصالها بأعمال أو بيئة منبئة الصلة بأعمالهم أو بيئتهم الجديدة.

ويحاول الأب أو الأم ممارسة سلطتهما القديمة دون جدوى، وتتمرد البنت محاولة تزويجها بقريب لها لإدراكها أن بإمكانها الآن - عن طريق الزواج - تحقيق الصعود في السلم الاجتماعي، أو أن لديها من التعليم أو الخبرة أو المال المكتسب من الهجرة ما يؤهلها لذلك، فتطالب البنت بمزيد من التحرر لا تستسيغه عقلية الأب أو الأم التقليدية، ويزداد الطين بلة إذا كان الأب يتعرض لتآكل دخله الحقيقي مع التضخم حيث تضع من ثقته بنفسه أمام مطالب الأولاد المتزايدة تحت ضغط مظاهر التحول المحيطة بهم، ويشعر بعجزه عن فرض سلطانه مع فقدانه للقدرة على تلبية مطالبهم حتى المشروع منها^(١).

إن غياب الوالدين عن البيت طويلاً، وبعدهما عن مراقبة الأولاد، كان سبباً فاعلاً في التأثير على جودة الحياة من حب وحنان وتواصل وسعادة وبر ووفاء.

فليس بالمال وحده تسعد الأسر، وإنما بالتربية والإيمان والقناعة والتفاعل مع كروب الحياة، والآباء هم القدوة التي لا بد منها لتعليم الأولاد ما يجب أن يكونوا عليه من تعاون وتواصل فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين الوالدين والمجتمع من جهة أخرى.

«لعلنا نلاحظ جميعاً أن البيت المصري حالياً قد داهمته ظروف عديدة بفعل تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهو أمر لا يمكن لأحد منا أن يتجاهله أو يدفعه عن بيته، فالتطور قد شمل المجتمع كله، وقديماً كان البيت المصري في الريف أكثر ترابطاً بحكم أن (البيت الكبير) يأوي أفراد الأسرة جميعاً، حتى بعد أن يتزوج الأبناء الذكور. وكانت علاقات الإنتاج والعمل تسمح بأن تكون عيون جميع أفراد الأسرة مفتوحة ويقظة لأي تغيير يطرأ على واحد من يؤويه البيت، وفي المدن كان هذا الترابط والاقتراب تعرفه البيوت، ربما بدرجة أقل من بيوت الريف، وكان هناك وقت لدى رب الأسرة لرعاية أولاده فيها يخص دوره الذي يختلف بالطبع عن دور الأم المتفرغة بالكامل لشئون البيت والزوج والأولاد، ونحن الآن أمام صيغة اجتماعية جديدة استحدثتها حاجة الآباء والأمهات

(١) ماذا حدث للمصريين ص ٣١، مرجع سابق.

معًا للعمل والبقاء فترات طويلة خارج البيت، وقد صاحب هذا اضطراب بعض الآباء - بل والأمهات أحيانًا - إلى الاغتراب الكامل - ليس بعيدًا عن البيت فقط - بل عن الوطن ذاته، فانحسرت سلطة الآباء والأمهات على الأولاد شيئًا فشيئًا، حتى أن بعض الأسر لا تكاد تعرف عن أولادها أحوالهم في مدارسهم وجامعاتهم، وتحول أفراد الأسرة الواحدة إلى جزر متباعدة، حتى أننا نرى في بعض الأسر توقف الحوار والحديث تمامًا بين أفرادها أيامًا متتالية، وفي بعض البيوت لا تكاد الأم تجد وقتًا للاطمئنان على أحوال الأبناء، وقد تطمئن عليهم من خلال الشغالات والمربيات، أما أصدقاء الأولاد فلم يعد للأسرة حاليًا أي علاقة باختيارهم، أو التعرف على خطورة بعضهم على الأبناء»^(١).

(١) ثقبوب في الضمير ص ١٧٧ : ١٧٨ ، مرجع سابق .

المطلب الثالث: الهروب من المسؤولية، بدعوى عدم القدرة على النفقة:

كثير من الناس لا يستطيع أن يصل رحمه بسبب الفقر، سألت خمسين رجلاً ممن يعيشون في القاهرة ولهم أهل وأقارب خارجها، هل تزورون أقاربكم بانتظام، ولو في العام مرة؟ (١٧) منهم قالوا: نعم، و(٣٣) قالوا: لا!!

سألت الـ(٣٣) عن سبب تخلفهم عن زيارة الأهل والأرحام؟ كان الجواب: ظروف الحياة، وصعوبة المواصلات، والنفقة اللازمة للسفر، والهدايا اللازمة للأهل، والبعض قال لي: أنا لي أولاد في مراحل التعليم كادوا أن ينسوا أعمامهم وبني عموماتهم لطول الفراق، وندرة الزيارات.

هذا مع الأقارب والأرحام، أما في المنزل مع الزوجة والأولاد، فقد ذكرت ضعف دور الوالدين في تربية الأولاد بسبب العمل، والأخطر منه هو: تخلي الرجل عن قوامته في بيته. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ قَدْ يَذَنَّبُونَ﴾ [النساء: ٣٤].

«هذه الآية الجليلة تظهر لنا بوضوح أن القيادة والرياسة في البيت هي للرجل، ولكن كثيراً من الرجال في هذا الزمان تخلّو عن قوامتهم، وأصبحت المرأة في بعض البيوت هي الأمر الناهي حتى صار الرجل خاضعاً خائفاً ذليلاً لامراته، فينشأ هؤلاء الأولاد والبنات في مثل هذه الصورة وهم يشاهدون خنوع أبيهم وضعف شخصيته أمام زوجته فلا يقيمون له وزناً، فيكثر الانحلال في الأسرة وتشيع الفاحشة في البيت دون أن يستطيع الرجل أن يحرك ساكناً فيصبح ديوثاً مثل التيس المستعار مع أن رسول الله ﷺ يقول: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(١)، وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول عن ريته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها....»^(٢).

(١) صحيح ابن حبان عن أبي هريرة برقم (٤١٦٢)، باب معاشررة الزوجين (٩ / ٤٧٠) مؤسسة الرسالة مرجع سابق .
(٢) الولاية والشهادة في النكاح وحكم الزواج العرفي ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، مرجع سابق ، والحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه برقم (٨٥٣)، باب الجمعة في القرى والمدن (١ / ٣٠٤) دار ابن كثير مرجع سابق .

إن الله عز وجل يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، فالزواج السعيد هو الذي يفيض على الزوجين والأولاد، بالمودة والرحمة والسكن وراحة البال، فإذا عكر صفوه الجوع والفقر انقلبت هذه الأشياء إلى ضدها فكان التنازع والتدافع وتبادل التهم والتراشق بالكلمات، والهروب من المسؤوليات، «ولا يخلو الأمر دائماً من معايرة الابن بالفشل والتنبؤ له بعدم النجاح - أما عند حدوث النزاع بين الوالدين، وهروب كل منهما من تحمل المسؤولية فإن لذلك تأثيره الواضح على الأولاد، ومثل هذا الجوى يمكن أن يدفع الابن إلى إدمان ما.

وعندما يجد الابن النزاع الدائم في البيت، فإنه يهرب غالباً إلى الشارع، وليس غريباً أن ينحرف مع أصدقاء السوء إلى طريق الإدمان.

كذلك قد تهتم الأم بعملها أكثر من اللازم وتنصرف بذلك تماماً عن البيت والأولاد. ونفس الشيء يمكن أن يحدث عندما يهاجر الأب للعمل في مكان بعيد عن بيته، ويترك بذلك أولاده بلا رعاية كافية، وتزداد خطورة ذلك عندما يكون الأولاد في سن البلوغ، فالابن في هذه المرحلة يحتاج إلى القدوة، كما يحتاج إلى التواجد العاطفي من الوالدين»^(١).

إن المرء إذا أحس بالعجز وعدم القدرة على توفير ما يحتاج إليه البيت والزوجة والأولاد ... أحس بالذل والهوان .. وربما غرم فاستدان فعجز عن سداد الديون ... كلها عوامل تبعث على الهروب من المنزل والفرار من المواجهة، أو عدم التفكير الجاد في السداد والقيام بالواجبات. ولقد كان ﷺ يتعوذ من الفقر والقلّة والذلة^(٢)، وكان ﷺ يقول: «إن الرجل إذا استدان حدث فكذب ووعد فأخلف»^(٣).

وسأذكر - إن شاء الله - في الصفحات التالية العزوف عن الزواج والإحساس بالعجز عن تكوين أسرة، بسبب الظروف المعيشية، والحالة الاقتصادية التي تعاني منها البلاد والعباد.

(١) ثقبوب في الضمير ص ١٨٠ ، مرجع سابق .

(٢) قد سبق تخريجه ص

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها، باب الدعاء قبل السلام (٢٨٦/١) دار ابن كثير مرجع

سابق.

المطلب الرابع: العزوف عن الزواج والإحساس بالعجز عن تكوين أسرة:

أولاً: غلاء المهور:

إن الإنسان لا يستغني عن الزواج، ولا تستقيم الحياة، ولا تستقر بدون زواج، فكما أن الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب والإخراج، يحتاج أيضاً إلى الزواج، وإن صبر عدد من أقوياء الإيمان عاماً أو أعوام لا أظنهم يصبرون على الدوام، «إن إتاحة الزواج للراغبين مسألة لا تقل عن ضمان الأقوات للشعوب، وعندي أن وزارة التموين لا تمثل إلا نصف المشكلة المادية، وأن شئون الزواج والأسرة تحتاج إلى وزارة أخرى، والطبقات الفقيرة والمتوسطة تواجه مع الزواج ثلاث مشكلات، فالمهر عقبة، وقد يسهل اجتيازها، فتبقى مشكلة الدخل الذي يصون البيت الجديد والأسرة الناشئة، ثم تبقى مشكلة الدخل الواسع، الذي يكفل حياة أولاد يجب تغذيتهم وتربيتهم على خير وجه .. هذه كلها عوائق اقتصادية، لا يقوى الدين بالكلام على حلها»^(١).

الميل إلى الزواج أمر فطري، فالإنسان - رجل كان أو امرأة - بمجرد بلوغه سن الاحتلام يجد رغبة شديدة في الجنس الآخر... يبدأ يفكر في هذا الأمر، ويسعى لتحقيقه والوصول إليه، وقد يخطو خطوات إلى الأمام في طريق الزواج، فيفاجئ بأمور لم تكن في الحسبان كغلاء المهور ... ونفقات الزواج الأخرى ... وعدم وجود فرصة عمل تفتح له باب الأمل وتمر السنوات ويتقدم العمر مما يجعل البعض يحس بالعجز وعدم القدرة على إتمام مشروع الزواج.

ثانياً: اللجوء إلى الزواج العرفي:

«إن من أهم أسباب إنتشار ظاهرة الزواج العرفي، هو ما يحدث في الكثير من الأسر في هذا الزمان بل أكاد أجزم أنه في غالبية البيوت والأسر المصرية تحدث مغالاة هائلة في المهور، ونفقات وتكاليف الزواج، حتى أصبحنا نرى الكثير من الآباء عندما يتقدم شاب للزواج من إحدى بناته فإنه يرهق كاهله بالطلبات الكثيرة والمهر الكبير المغالى فيه، مما يجعل الشباب يعزفون عن الزواج حتى وصل بنا الأمر أن بلغ متوسط سن الزواج للرجل خمسة وثلاثون عاماً، ومتوسط سن الزواج بالنسبة للمرأة أصبح ثلاثين عاماً في حين أن المغالاة في المهور وكثرة المطالبة بنفقات الزواج أمر غير مرغوب في

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٦٧، ٦٦ مرجع سابق، بتصرف.

الدين الإسلامي الحنيف الذي يحرص كل الحرص على إتاحة فرص الزواج لجميع الشباب القادرين على القيام بأعباء الزوجية.

لقد كره الإسلام المغالاة في المهور فقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الصداق أيسره»^(١)، ووجدنا النبي ﷺ يزوج رجلاً فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً سوى آيات من كتاب الله يحفظها عن ظهر قلب فكانت مهراً لعروسه، ووجدناه ﷺ يزوج آخر بخاتم من حديد^(٢).

إن جهل الناس بالتعاليم الدينية السمحة قد أرداهم بالمهالك عندما حادوا عنها بالمغالاة في المهور وأبوا تزويج بناتهم إلا إذا دفع الزوج مبلغاً كبيراً من المال يرهق كاهله ولا يستطيع الوفاء به فنشأ عن ذلك كساد سوق الزواج وأصبح الحلال صعب المنال واتجه كثير من الشباب والفتيات إلى الحرام السهل المتاح^(٣).

وهذا ضياع لقيم أصيلة في المجتمع المسلم، واستبدالها بغيرها من القيم الأخرى بسبب الجهل والفقر.

ثالثاً: مبررات رفض الزوج الصالح:

قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»^(٤).

إن الفقر وعدم القدرة على تكاليف الزواج يعطي المبرر لأولياء الأمور في رفض زواج بناتهم من

(١) المستدرك على الصحيحين عن عقبة بن عامر برقم ٢٧٤٢ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب بيروت (١٩٨/٢) ط الأولى ١٩٩٠م، وانظر صحيح أبي داود رقم (٢١١٧)، وكتاب نيل الأوطار للشوكاني، كتاب الصداق ص ١٦٧.

(٢) هذه الروايات مخرجة في الصحيحين، صحيح البخاري ٥٠٨٧، وصحيح مسلم ١٤٢٥، والحديث ورد في كتاب (سبل السلام) للصنعاني من حديث سهل بن الساعدي حديث رقم ٩٠٧، كتاب النكاح ص ٨٠٤.

(٣) الولاية والشهادة في النكاح وحكم الزواج العرفي ص ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، بتصرف، مرجع سابق.

(٤) المستدرك على الصحيحين عن أسامة بن زيد برقم ٢٩٤٤ (٢/٢٦٢) دار الكتب العلمية مرجع سابق، والحديث حسن صحيح، انظر غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للشيخ الألباني ج ١/ ط ٣ رقم (٢١٩) دار النشر بيروت سنة ١٩٠٥م.

الفقراء، ضاربين بتوجيهات الشرع عرض الحائط، وكم تطالعنا الصحف اليومية بحوادث مروعة بسبب العجز عن إتمام مشروع الزواج في صحيفة الجمهورية: «بسبب فسخ خطبته لمروره بضائقة مالية أعجزته عن إتمام الزواج ... أصيب بالاكْتئاب، وحاول الانتحار، أمسك السكين، وسدد لنفسه عدة طعنات في البطن إلا أن الجيران قاموا بإنقاذه في اللحظات الأخيرة وأسرعوا به إلى المستشفى وهو يصارع الموت»^(١).

رابعاً: الاستخفاف بأهداف الزواج وقيمه:

يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١] ، وقال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثركم بكم الأمم يوم القيامة»^(٢)، فأهداف الزواج وغاياته السكنى والمودة والرحمة وإنجاب الذرية الصالحة ، والآن «معظم عقول شبابنا تسيطر عليها متطلبات الحياة المادية، فالزواج - عند الكثير منهم - مسألة إشباع الحاجات الأساسية، بصرف النظر عن قيمة الزواج وأهدافه مجتمعة، القريب منها والبعيد، من هنا يغلب على مسألة الزواج الطابع الانتهازي الجنسي الذي لا ينتهي - غالباً - بالزواج المشروع القائم على أسس متينة والقابل للحياة، ونتج عن ذلك ضياع القيم وقبول اقتران المرأة بالرجل تحت أي وهم يسكت الضمير ويوحي لهما ولمن حولهما أن هذا زواج شرعي، مثل ما يسمى بزواج الهبة، وزواج المتعة، والزواج السري، وزواج الشغار، وغيرها من المسميات التي يطول ذكرها والحديث عن مضارها»^(٣).

(١) صحيفة الجمهورية عدد (٢٠٣٧٤) يوم ٩/١٠/٢٠٠٩م صفحة ١٥، وللمزيد من هذه الأخبار انظر مجلة منبر الإسلام ص ١٢٠، العدد (٦) السنة ٦٦ شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ومجلة التصوف الإسلامي ص ٢٥/عدد ٣٣١ السنة ٢٨ ن شهر رجب سنة ١٤٢٧هـ/أغسطس ٢٠٠٦م، ومجلة الحوادث التي لا يخلو عدد منها من ذكر أخبار مروعة عن مشاريع الزواج الفاشلة.

(٢) مصنف عبد الرازق لأبي بكر الصنعاني (١٧٣/٦) المكتب الاسلامي بيروت برقم ١٠٣٩١ عن سعيد بن أبي هلال تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط الثانية ، والحديث صحيح انظر صحيح الجامع ص ٢٩٤٠ .

(٣) للمزيد انظر كتاب الأسرة المسلمة في العالم المعاصر أ.د. / وهبة الزحيلي ص ٧٣ وما بعدها ص دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

المطلب الخامس: كثرة العداوات والخلافات بين الأقارب:

الخلافات بين الأقارب كثيرة، وأسبابها متنوعة، ومعظمها بسبب الأموال، وضيق الرقعة الزراعية والمساكن خصوصاً إذا كان الميراث قليلاً أو محدوداً، والكل يعلق عليه أمل البقاء والحياة والمستقبل، ففي مثل هذه الحالات يشتد الصراع ويكثر النزاع، وتنتهك الحرمات، وتصبح المسألة مسألة حياة أو موت.

إن الطمع والحاجة إلى المال تدفع المرء إلى بيع دينه بدنياه قال ﷺ: «يصبح المرء مؤمناً ويمسي كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(١)، وإذا كان المرء يبيع دينه بعرض من الدنيا، ألا يبيع أهله، وهو يظن أو يعتقد، أنهم يهددونه في رزقه ومصدر كسبه وسكنه، حيث إن كثيراً من الفقراء - وقد عضه الفقر - لا يثق برزق سوى الذي تحت يديه وتعود عليه، ويزعجه جداً، أن يفاجيء بمن يطرده منه أو يقاسمه فيه، فتقوم الخصومات، وتكثر الخلافات.

هذا للأسف هو الواقع في الريف المصري ومعظم الأماكن الفقيرة - إلا ما رحم ربي - ولا تقف هذه الخلافات عند حد الخصام أو الهجر أو السباب ... بل تصل - أحياناً - إلى حد القتال، بل وربما قتل الأب أو الأم استعجالاً للميراث»^(٢).

قد يحدث هذا بدافع الفقر، وقد يحدث بدوافع أخرى، بيد أن الفقر هو أقوى الدوافع، إن لم يكن أقواها على الإطلاق، إذ إن الفقر ابتلاء، والإنسان بطبعه مفطور على حب المال، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^(١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ^(١٦) كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ^(١٧) وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ^(١٨) وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا^(١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا^(٢٠) [الفجر: من ١٥ : ٣٠].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ يعني الميراث (أكلالاً) أي من أي جهة حصل لهم، من حلال، أو حرام»^(٣)، هذه طبيعة كثير من الناس.

(١) صحيح ابن حبان عن أبي هريرة برقم ٦٧٠٤ (١٥ / ٩٦) مؤسسة الرسالة مرجع سابق، والحديث حسنه اللباني انظر السلسلة الصحيحة، ٨١٠.

(٢) انظر كتاب ماذا حدث للمصريين ص ٢٩، مرجع سابق.

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥١٠، مرجع سابق.

وإذا كان المرء مفطوراً على حب المال، وعلى حب نفسه، فهو مفطور أيضاً على حب أولاده، ومع ذلك قد يقتل ولده مخافة أن يطعم معه، قال ﷺ وقد سئل: أي الذنب أكبر: فقال «.... وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»^(١).

إن كثرة الخلافات والعداوات بين الأقارب بسبب الميراث كثيرة ومشهورة، وعلى سبيل المثال تقول صحيفة الحوادث: «الميراث ومبلغ من المال اختلف عليه شقيقان بمدينة شبين القناطر الخيرية، بمحافظة القليوبية، كان دافعاً قوياً لكليهما ليفكر في قتل شقيقه والتخلص منه؛ أملاً في الفوز بنصيبه بميراث والده بعد مشاجرة عنيفة بينهما.....»^(٢).

إذن لا نبرئ الفقر من التحريض على الشر، وقطيعة الرحم وبث العداوات بين الأقارب والعصبية، مع التأكيد - مرة ثانية - أنه ليس ذلك ذريعة للإقدام على مثل هذه الأعمال الفظيعة. والله أسأل أن يصلح البلاد والعباد.

(١) رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله (٤/ ١٦٢٤) باب قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون برقم (٤٢٠٧) دار ابن كثير مرجع سابق.

(٢) صحيفة الحوادث ، السنة الثانية ، العدد ٦٥ ، السبت ٣١ من أكتوبر سنة ٢٠٠٩ م ص ١٥ ، تحت عنوان (ظهور قابيل وهابيل في القليوبية) ، تفاصيل الخبر أن معركة بالسلاح الأبيض دارت بين الشقيقين، تجرد فيها الشقيقان من مشاعر الإنسانية - كما تقول الصحيفة - وأخرج كل منهما مطواه قرن غزال، وحاولت شقيقتها إنهاء حدة الخلاف بينهما فأصيبت بعدة طعنات نافذة في منطقة متفرقة من جسدها ، ولولا خشية الإطالة لذكرت الكثير والكثير من هذه الخلافات التي صارت - مع الأسف - هي العرف السائد الآن ، إذ قلما يقسم ميراث بهدوء ورضا وتفاهم في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد ، والطمع الزائد وعدم الخوف من الله، ولقد مرت بي حالات كثيرة بحكم عملي في المسجد والفتوى ، ونزولي إلى الريف ونشأتي الأولى به، مما دفعني أن أسأل عدداً من رجال القانون فأكدوا لي أن قضايا النزاع على الميراث والطلاق هي أكثر القضايا في المحاكم الآن.

المبحث السادس: أثر مشكلة الفقر على أمن المجتمع واستقراره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: زيادة معدلات الجريمة.

المطلب الثاني: تبلد الحس وترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: زيادة عدد اللقطاء وأطفال الشوارع.

المطلب الأول: زيادة معدلات الجريمة:

ذكرت جريمة الرشوة التي تفشت بكثرة في المجتمع المصري، وأود - هنا - أن أذكر بعضاً من الجرائم التي لها صلة - من قريب أو بعيد - بمشكلة الفقر.

١ - الاعتداء على الزوجات:

يقول الدكتور عبد الهادي موسى أستاذ علم النفس، جامعة المنيا: «إن تفاقم حدة عنف الأزواج ضد الزوجات في المجتمع المصري يرجع إلى تزايد الأعباء والضغط على الأسرة في الفترة الأخيرة خاصة مع اتجاه الدولة لسياسة الخصخصة وارتفاع الأسعار وعدم كفاية الدخل لشراء احتياجات البيت ومصروفات المدارس والدروس الخصوصية وقائمة الفواتير من كهرباء ومياه وغاز وتليفونات وغيرها مما يستنزف الإمكانيات المادية لمعظم الأسر، وأشار إلى أن هذه الضغوط تنعكس على سلوكيات الزوج أكثر من غيره لأنه هو الذي يعول الأسرة خاصة في الأسر التي لا تعمل فيها الزوجة مما يؤدي إلى اعتدائه على زوجته بالضرب الذي يصل في بعض الأحيان إلى القتل أو إلقائها من الشباك أو إشعال النار فيها أو قذفها بموقد كيروسين مشتعل ونحو ذلك مثلما نرى في الحوادث التي تنشرها الصحف موضحاً أن الزوج دائماً يُحمّل زوجته مسؤولية الأوضاع البائسة التي يعيشها»^(١).

مع أن الفطرة السليمة تشهد أن للإنسان ميولاً طبيعياً لأسرته، وولده وزوجته، ووطنه وأهله، يصل في - بعض الأحيان - إلى درجة التفاني والفداء، وذلك عند العقلاء والأسوياء من أهل القناعة والإيمان، أما الضعفاء الذين قضى الفقر على قيمهم، ومروءتهم، فكما أنهم يبيعون دينهم وأهلهم بعرض من الدنيا، يبيعون أوطانهم ومجتمعاتهم أيضاً.

٢ - الخطف وترويع الآمنين:

لا يخلو يوم من عمليات الخطف، وترويع الناس، وانحراف السلوك، والعنف ... بدوافع كثيرة ومنها الهموم المعيشية والحالة الاقتصادية المتردية، مما جعل المحاكم تقتطع بالقضايا الإجرامية «خمس

(١) مجلة التصوف الإسلامي عدد (٣٣١) سنة ٢٠٠٦م ص ٣٢ رجب سنة ١٤٢٧ هـ تحت عنوان: ١٨٪ من الزوجات المصريات يتعرضن للضرب على أيدي الأزواج، لأسباب منها: (الفقر) دراسة صادرة عن المجلس القومي للسكان، ويؤكد الشيخ / فكري حسن إبراهيم عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن انتشار ضرب الزوجات يرجع إلى الظروف الاقتصادية التي غيرت المفهوم الحقيقي للزواج انظر ص ٣١، ٣٢.

ملايين حكم بالحبس في سنة واحدة، والعلماء يقولون: البطالة والفقر هما السبب، أصدر المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية إحصائية عن عدد الأحكام التي صدرت خلال عام ٢٠٠٩م بلغت أربعة ملايين و٩٣٥ ألف حكم بالحبس بينما بلغت أحكام الغرامة ، وثلاثة ملايين و٥٢٥ ألفاً^(١)، هذه الأعداد الهائلة التي ترصدها الصحف عن معدل ارتفاع الجريمة والتي تهدد أمن المجتمع واستقراره، وتؤكد أيضاً الدراسات الأمنية المتخصصة في مراقبة ومكافحة الجريمة، يقول الدكتور/ عزت الشيشيني والأستاذ الدكتور/ هشام مخلوف تحت عنوان: (العوامل التي تدفع المتعطل إلى ارتكاب الجريمة):

العوامل الاقتصادية:

ترتبط البطالة غالباً بانخفاض دخل العاطل انخفاضاً حاداً، أو فقدان الدخل كله مما يجعل الفرد فقيراً، سواء فقراً مطلقاً بمعنى عدم القدرة على الحصول على ضروريات الحياة العصرية أو فقراً نسبياً أي بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه، فإذا ما طال أمد هذا الانخفاض الحاد في الدخل أو استحکم، فإنه قد يؤدي إلى السلوك الإجرامي والانحراف بدافع من الحاجة المادية والعوز الاقتصادي، وهذه علاقة اقتصادية مباشرة بين البطالة والجريمة.

وقد تتولد علاقة اقتصادية غير مباشرة بين البطالة والجريمة عن طريق تأثر أسرة العاطل من سوء الرعاية الصحية وسوء التغذية والانقطاع عن التعليم في سن مبكرة، أو الإخفاف فيه، الأمر الذي قد يؤدي إلى الاختلاط بالجماعات الإرهابية التي تسد إلى حد بعيد حاجة هؤلاء المعوزين، ويجدون عندهم الملاذ من حالة البطالة والفقر التي يعانيها رب الأسرة العاطل^(٢)؛ لأن «غالب الشباب يعيش أزمات اقتصادية واجتماعية شائكة، عزلتهم عن واقع الحياة العملية والإنتاج وأخرت دخولهم عشر سنوات أو أكثر إلى عالم الكبار لصغر السن وعدم الخبرة، مما أدى بهم إلى الشعور بالتفاهة وعدم الأهمية وهذا ما يدفع بعضهم إلى التعبير عن رفضهم ونقدتهم للمجتمع من خلال سلوكيات شاذة من العنف والتمرد والغلو»^(٣).

(١) صحيفة الجمهورية يوم ١٢/٢/٢٠١٠م عدد (٢٠٥٠٠) صفحة ٥، تقول الصحيفة: علماء الدين والاجتماع ناقشوا هذه الاحصائيات، مؤكدين أنها دليل على الإنقلاب وغياب القيم بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي تحيط بالشباب وتعصف بمستقبلهم ومن العلماء الذي ناقشوا هذه المسألة الأستاذ الدكتور/ حذيفة المسير / الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف، والشيخ يوسف البدري ... انظر تفاصيل الموضوع في الصحيفة المذكورة .

(٢) الديموجرافيا الأمنية ص ١٢١ ، مرجع سابق .

(٣) د/ عدنان حسن باحارث وسائل المجتمع الاقتصادية لتأهيل الشباب المبكر للحياة الاجتماعية، ص ٦٤، ط دار المجتمع للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م الطبعة الأولى.

وفي تقرير وزارة الداخلية/ مصلحة الأمن لعام ١٩٩٤م تتصدر مشكلة الفقر والبطالة معظم الجرائم التي تم ضبطها في عام واحد، حيث هي على النحو التالي: تحت عنوان:

بلغت نسبة ضبط المتهمين في الجنايات:

الخطف	٨٨٪
هتك العرض	٩٩٪
السرقه بالإكراه	٩١٪
الرشوة	١٠٠٪
تزوير أوراق رسمية	٩٦٪
تزوير أوراق مالية	٩٤٪
تعرض وسائل النقل العام للخطر أو تعطيلها	١٠٠٪
سرقة الأسلاك	٦١٪ ^(١)

بالنظر إلى الجدول السابق يتبين لنا أن الجرائم تكون من الأغنياء والفقراء، ويكفى أن نتأمل العبارة الأخيرة (سرقة الأسلاك) الخاصة بالكهرباء، للانتفاع بها أو بيعها للخردة، ألا يدل ذلك على أن البلاد في أزمة ومحنة بسبب الفقر، وصلت إلى درجة سرقة أسلاك الكهرباء.

«ليس هناك في مصر من لا يتكلم عن (الأزمة) أو (المحنة) فسواء أكان هو الاقتصاد أو المجتمع أو السياسة أو الثقافة ... ، ما أسرع أن تردد عبارات مثل (محنة الاقتصاد المصري) أو (تدهور الأخلاق والقيم) والاقتصاديون المصريون يشكون اختلال الهيكل الاقتصادي لصالح القطاعات غير الإنتاجية.

وعلماء الاجتماع يشكون شيوع ما يسمى بالفساد والتسيب وعدم الانضباط، ومن زيادة حوادث العنف، وظهور أنواع جديدة من الجرائم وتفكك الأسر، وانتشار قيم مادية تعلي من قيمة الكسب السريع على حساب العمل المنتج»^(٢).

(١) للمزيد انظر تقرير وزارة الداخلية/ الأمن العام، مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٤م، لاني اكتفيت بالعناوين والجدول، دون الدخول في التفاصيل التي تؤكد ما سبق ذكره من وجود علاقة بين الفقر والبطالة، وبين ارتكاب الجرائم .

(٢) ماذا حدث للمصريين ص ٩ ، مرجع سابق .

وهذه في حد ذاتها جريمة كبرى تهدد أمن المجتمع واستقراره، إذ كيف يستقر مجتمع فيه قلة يكسبون ويتضاعف كسبهم بسرعة، وفي مشاريع غير منتجة، في حين أن الأكثرية منه ما بين عاطل وفقير، ألا يدعو ذلك إلى ارتكاب الجرائم والآثام؟!

«ما أضخم القضايا التي تنتظرها المحاكم عندنا من: جنایات، وجنح، ومخالفات، والعلة الأصلية في هذا، أن الاختلال المادي والأدبي هو الذي مكن لشرطيين الإجرام أن تعمل وتنجح، ولنضرب مثلاً ببعض الجرائم الشائعة لنرى مصداق ما قلناه.

يقول الدكتور عبد الرؤوف الضبع أستاذ الاجتماع ووكيل كلية الآداب جامعة سوهاج: «إن الفقر مصدر كافة الأمراض الاجتماعية، فهناك ارتباط وثيق بين الفقر وارتفاع معدلات الجريمة والتطرف والإرهاب، بالإضافة إلى انتشار المخدرات، وإن الفقر - في الوقت نفسه - يعد أهم معوق للتنمية، فمحدودي الدخل أكثر إنجاباً من الأغنياء وإن الفقر يؤدي إلى ارتفاع الأمية، والتسرب الدراسي»^(١).

٣- السرقة والسطو على ممتلكات الغير:

السرقة جريمة خلقية واجتماعية كبيرة رتب عليها الدين عقوبة دنيوية تتراوح بين قطع اليد وقطع العنق، عندما تكون السرقة في الخفاء، أو يكون صاحبها مدمن سرقة^(٢) واختلاس، وعقاب كهذا ليس به شائبة قسوة، مادام القصد من تنفيذه تأمين الحدود، وصيانة الجهود، وتوجيه الناس إلى العيش من كسب حلال، لا السطو على كسب غيرهم، والعيش من حرام ولكن هذه الأغراض كلها تذوب في مجتمعنا الذي يذخر بأسباب التملك الباطل، ووسائل الاستغلال المريب. والاضطراب الاجتماعي الخطير في هذا الوادي، وهو الذي يصم باللصوصية أقواماً كانوا من الممكن أن لا يوصموا بها قط، ويرى من اللصوصية أقواماً ينبغي ألا تفك عنهم أبداً»^(٣).

(١) صحيفة الجمهورية عدد (٢٠٣٨٨)، ص٣، بتاريخ: ٢٣/١٠/٢٠٠٩م.

(٢) يشير الشيخ: إلى حد الحراية الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، وللعلماء آراء متعددة في تنفيذ إحدى العقوبتين أشهرها: أنه إن سرق فقط تقطع يده، وإن سرق وقطع الطريق أو قتل؛ تقطع عنقه.

(٣) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص٦٤، ٦٥، مرجع سابق.

وكما أن الشيخ ﷺ تكلم عن السرقة على أنها أبرز مظاهر الفقر، تكلم أيضاً عن الزنا والتعطل، وربط بين هذه الجرائم وبين الفقر، ثم بين خطرهما على الأمم والشعوب وهذا يؤكد لنا أن هناك إجماع على أن مشكلة الفقر تؤثر سلباً على أمن المجتمع واستقراره.^(١)

لأن (هناك علاقة بين الفقر وانحراف الأحداث، فللظروف الاقتصادية دور هام في تكوين أسباب الجريمة وذلك لعدم وجود الضروريات التي تشبه حاجات الحدث كالمأكل والملبس والسكن، فالفقر يولد الانفعالات المتدنية لدى الفرد نتيجة شعوره بذلك، وهذا الوضع يقود إلى الرزيلة بجميع صورها، والجريمة واحدة منها، والفقر عامل أساسي في تكوين السلوك الاجرامية وكثير من الجرائم وخاصة السرقة تدفع إليها الحاجة المديدة)^(٢).

والآن أذكر نوعاً خاصاً من الجرائم، كالسرقة بالإكراه، والسطو على ممتلكات الغير، هذه جرائم لها طابع خاص، ودلالة مميزة، فالسرقة خلسة وخفية - وإن كانت جريمة كبرى - إلا أن السرقة بالإكراه والسطو على ممتلكات الغير، أخطر وأكبر وأشدّ جرماً وفجوراً، وفتكاً بالقيم الإنسانية والأخلاق الإيمانية، - ومع الأسف - انتشرت بكثرة هذه الجرائم في مصر، وهي في ازدياد مستمر، ولأسباب من أهمها وأخطرها الفقر.

هذا ما أكد عليه العلماء مراراً، بل وأثار استغراب وتساؤلات بعضهم فقال: «ماذا حدث في بر مصر؟ لقد تزايد معدل تلك الحوادث وتنوعت بين وقائع القتل والسرقة والفساد بكل ألوانه، وتصاعدت الجراءة في الاعتداء على الآمنين وترويعهم بما يصل إلى حد إغلاق مجموعة من الأشقياء مدخل التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة واعتراض سيارة تقودها سيدة ومعها أطفالها من دون أن يبدو أثر لأفراد الأمن، ولولا العناية الإلهية التي ألهمت تلك السيدة أن تنطلق بسيارتها غير عابئة بالمعترضين لكان مصيرها وأطفالها معروفاً، وتتزايد حالات العنف والانفلات بين طوائف كثيرة من الناس، ويشتبك أعضاء مجالس إدارة النقابات بالأيدي حين يختلفون، ويستخدم المتنازعون على رئاسة الأندية الرياضية البلطجية لمنع منافسيهم من دخول النوادي، وهكذا الكل يتصرف بوحى من

(١) للمزيد انظر كتاب سبب الجريمة ص ١٦، وص ٣٤، مرجع سابق.

(٢) إنحراف الأطفال المسمى جرائم الصغار، ص ٣٢-٣٣، مرجع سابق، نقلاً عن عبود السراج كتاب علم الإجرام ط

٢ الكويت ص ١٣٨ سنة ١٤٠٣ هـ.

إرادته ومصالحه الذاتية غير مكترث لقانون أو متهيب لسلطة، ونقرأ عن انعدام الأمن والرقابة داخل محطات المترو، وتعدد حوادث السرقة داخل القطارات، وأمام سلام الصعود والهبوط الكهربائية، وانتشار حالات سرقة السيارات، ناهيك عن الفوضى العارمة في الشارع المصري وفي كل الأحياء، فالسيارات تسير بدون لوحات المرور، وأصحاب السيارات يقودونها في عكس الاتجاه لاختصار بضعة أمتار بدلاً من الدوران في الأماكن المخصصة، وتجاوز السرعات وانعدام الالتزام بقواعد السير كلها أصبحت علامات مميزة للشارع المصري.

مرة أخرى ماذا حدث في بر مصر؟ نحن نرى أن تلك الحالة تعود في الأساس إلى عنصرين أساسيين:

الأول: هو الضائقة الاقتصادية التي تأخذ بخناق الناس وتجعلهم يلهثون بحثاً عما يواجهون به متطلبات الحياة بأي وسيلة حتى ولو كانت غير شرعية.

والثاني: هو التركيز على الأمن السياسي وضبط القوى السياسية والتقييد على حركة منظمات المجتمع المدني، ومن ثم الانشغال عن الأمن بمفهومه العام^(١).

إن الله ﷻ عندما ذكّر أهل مكة بنعمة الأمن، وحثهم على عبادته وحده، ربط ذلك بالإطعام من جوع، حيث قال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤٣]، والمتأمل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]: يجد أن الإفساد درجات، أخطرها إفساء الشيء الصالح، فالأرض الصالحة للمعيشة والحياة الكريمة تساعد أهلها على احترامها والحفاظ عليها، يقول ابن كثير في تفسير الآية السابقة: «ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح، فإنه إن كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان آخر ما يكون على العباد»^(٢).

أما إذا كانت الأمور - لاسيما الأرزاق والأقوات - فاسدة، والفساد منذ سنين طويلة ولا أمل - قريب - في حلحلة المشكلات الاقتصادية بما يبعث الأمل، ويوقظ الضمير، ترى كيف يكون حال البلاد والعباد؟

(١) مصر المحروسة ص ١٨٢، ١٨٣، بتصرف يسير، مرجع سابق.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٢، مرجع سابق.

الجواب في هذا التقرير: «الجريمة تتأثر بدرجة كبيرة بمشكلة البطالة حيث توجد علاقة طردية بينهما، كما تتأثر بأعمار مرتكبي هذه الجرائم وحالتهم التعليمية.

تشير بيانات دراسة بمعهد التخطيط القومي إلى أن حوالي ٤٢٪ من مرتكبي جنايات السرقة عاطلون، وذلك في عام ١٩٨٣، وأن هذه النسبة ارتفعت قليلاً لتصل إلى ٤٤٪ عام ١٩٨٨. ومن واقع دراسة مركز بحوث الشرطة بلغ إجمالي المتهمين في جريمة السرقة بالإكراه في الفترة محل الدراسة (١٩٨٦ - ١٩٩٥) ٥٨٩٨ متهمًا منهم ٢٦٥٠ متهمًا عاطلاً يمثلون ٤٤.٩٪ من إجمالي المتهمين.

كما يتركز التوزيع العمري لمرتكبي تلك الجريمة في الفترة محل الدراسة، في الفئة العمرية (٢٠ - ٣٠) سنة، وهذه الفئة يوجد بها غالبية المتعطلين حيث أن حوالي ٦٩٪ من المتعطلين يوجدون في هذه الفئة العمرية كما أشارت بيانات دراسة المركز الديموجرافي عن البطالة المشار إليها^(١). هذا الذي أشارت إليه الدراسات السابقة، وتطالعنا بمثله الصحف اليومية^(٢)، من واقع مرّ تعاني منه المجتمعات الفقيرة على وجه الخصوص، ففي منشية ناصر ومدينة السلام - على سبيل المثال - وهما منطقتان عملت بهما إمام وخطيب سنين طويلة، كان لا يمر أسبوع دون شكوى من سرقة بالإكراه أو خطف حقائب النساء، فكثير من الشباب العاطل يحمل السلاح، ويوقف المارة، وينتزع منهم المال تحت تهديد السلاح، وآخرون يركبون الدرجات النارية ويخطفون الحقائب من أيدي أصحابها ويهربون، وعند البحث والتحري تبين أن معظم هؤلاء شباب عاطل عن العمل ومن أسر فقيرة لا توفر له الحد الأدنى من الحياة الكريمة.

(١) الديموجرافيا الأمنية (المفاهيم والأساليب) ص ١٢٥، مرجع سابق، نقلًا عن مركز بحوث الشرطة، البطالة والجريمة، المركز الديموجرافي بالقاهرة سنة ١٩٩٩م المؤتمر الثامن والعشرون لقضايا السكان، وعن أ/ نادرة وهدان، تأثير البطالة على معدلات الجريمة في مصر مذكرة خارجية رقم (١٥٢٦)، معهد التخطيط القومي، مايو ١٩٩١م.

(٢) انظر ما نشرته صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٧/٦/٢٠١٠م ص ٢٩، عن تفاصيل حادث الهجوم المسلح على سيارة ترحيلات الشرطة، وأخبار اليوم في نفس اليوم ٢٧/٦/٢٠١٠م ص ١٠، عن التعديلات على الترع، وتدمير أرض شباب الخريجين.

والأغرب من ذلك والأعجب، سرقة الأعضاء البشرية، أو الإغراء ببيعها لمن يدفع الثمن، وبين يدي عشرات المقالات التي نشرتها المجلات والصحف اليومية، يقول الدكتور/ صلاح عبد اللطيف: «قاومت نقابة الأطباء وغيرها من المؤسسات العلمية التجارة في الأعضاء البشرية وذكر كبار أطباء مرضى الكلى أن ٩٨٪ من عمليات نقل الكلى في مصر تتم على سبيل التجارة وأن ٢٪ فقط تتم على سبيل التبرع لدوافع إنسانية، وقد أعلن ذلك المؤتمر الدولي الثاني لجغرافية أمراض الكلى ونشرته الأهرام في ٣٠ نوفمبر ١٩٩٣م، وقاومت النقابة بيع الكلى ونشرت روزاليوسف في ٢١ أبريل ١٩٩٧م أن الدكتور حمدي السيد أبلغ النائب العام عن طبيبين يبيعان الكلى للأثرياء العرب من مصريات بعد تزويجهن صورياً وبلاغ آخر يتهم خمسة مستشفيات متورطات في بيع الكلى (المصور في ٦ ديسمبر ١٩٩٢م) وصحيفة الأحرار في شهر سبتمبر ١٩٩٩م.

وبناء على إطلاغات نقابة الأطباء العامة تم تحويل الأطباء المتاجرين للأعضاء البشرية (مجلة أكتوبر ٢٠/٤/١٩٩٧م)، وأبلغت النقابة العامة عن توريط مستشفيات خاصة في هذه القضية. ونتيجة لذلك تدخل وزير الصحة وأكد خطورة هذه الظاهرة وأعلن في اجتماع مجمع البحوث الإسلامية في ١٧ مايو ١٩٩٧م، أن مجرد السماح بإجراء عمليات نقل الأعضاء في المستشفيات الخاصة يعني تحول هذه العمليات إلى تجارة حيث قال: «لو سمحت للمستشفيات الخاصة بنقل الأعضاء ستتحول هذه العمليات إلى أن تصبح تجارة، وكان البعض يلجأ إلى تزوير البطاقات الشخصية العائلية وإجراء زواج صوري من مصريات إلى أثرياء أجانب للتحايل بهدف الحصول على كلى المصريين لغير المصريين بادعاء وجود علاقة زوجية (كاذبة) لتحقيق قرابة من الدرجة الثانية التي تسمح بالتنازل عن كلية سليمة لزراعتها في جسم مصاب بالفشل الكلوي، وقامت النيابة بالتحقيق في بعض هذه الحالات وإلقاء القبض على بعض أصحابها»^(١).

وللأستاذ الدكتور شروح وتوضيحات - يطول ذكرها - عن ما نشر في وسائل الإعلام المختلفة في صحف ومجلات وتلفزيون عن سرقة الأعضاء وانتشار هذه الظاهرة، وتأكيد العديد من الكتاب والمتحدثين عن سرقة الكلى من المواطنين الغلبة كما يقول^(٢).

(١) كتاب العودة إلى الحياة، تجربتي مع زراعة الكلى ص ١١٤، ١١٣ مطابع الأهرام رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٥٤، ٢٠٠٥م، والدكتور صلاح، صحفي وباحث إعلامي، ونائب رئيس تحرير وكالة الشرق الأوسط.

(٢) للمزيد انظر المرجع السابق، ص ١١٠، ١١١.

المطلب الثاني: تبليد الحس وترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن رسالة الإسلام، رسالة قيم وآداب وأخلاق، بالدرجة الأولى، فلقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١)، فكان رسالته ﷺ منحصرة في هذه المهمة الأخلاقية، والله ﷻ وصف هذه الأمة بأنها خير الأمم فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، «قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها ورأى من الناس دعة فقراً هذه الآية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثم قال «من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها»، رواه ابن جرير^(٢).

والنبي ﷺ أمر كل فرد من أمة أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيذان»^(٣)، وبين الحق سبحانه أن بعض الأمم السابقة لعنت من أنبيائها؛ لأنها تخلت عن هذا الواجب فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

ويأتي تأثير الفقر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - لدى المسلم العالم بدينه - من أحد أمرين هما: الجبن أو الشغل، فالفقر إن لم يكن مجبنة، يدعوا إلى الجبن، فيخاف الفقير على نفسه وولده فهو مشغلة، يشغل الإنسان بهومومه فلا يجد من الوقت والفكر والحجة ما يساعده على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما ينبغي - لاسيما وأنصار المنكر - بجميع صوره - أقوى وأكثر من أنصار المعروف، والقوانين التي كانت كلها أو جلها - من قبل - في جانب المعروف، صار منها الآن ما هو حارس للرديلة وراض بالمنكر^(٤).

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٤، مرجع سابق.

(٣) رواه مسلم في صحيحه عن أبي بكر، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (١/ ٦٩) رحمه الله برقم (٤٩) دار

إحياء التراث مرجع سابق.

(٤) كقوانين الحريات، وتحرير المرأة، والخمر والتدخين والمعاملات الربوية والكباريات، والأفلام وقانون

الطوارئ، والتشريعات الاستثنائية إلخ.

تري ما عساه أن يفعل الفقير؟ (ينكر بقلبه)، وذلك أضعف الإيمان، صحيح أن هذا النوع من الإنكار مقبول شرعاً، وينجي صاحبه من العقاب، بيد أن هذا الإنكار لا يغير من الواقع شيئاً. إن مثل هذا الإنكار لا يكف الناس عن الفساد والمعاصي؟ ولا يتحسن حال المجتمع؟ والدولة هي المسئول الأكبر عن تغيير المنكر؛ لأن الله ﷻ يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

«إن الإسلام في دعوته لتكوين مجتمع فاضل أمر الجميع بالتخطيط وقيام كل فرد وكل مؤسسة من مؤسسات هذا المجتمع بحمل قسط من هذا العمل، ولقد حمل الدولة القسط الأكبر من هذه العملية الاجتماعية التغييرية المستثمرة، لأن أهمية الدولة في المجتمع تأتي من أنها تمثل القوة التي لا بديل عنها لإسناد الحق وسحق الباطل، وتحقيق قدر أوفى من الفضيلة والسعادة والأمن والسلام لبني الإنسان، وتأتي تلك الأهمية كذلك بإيجاد الجو المناسب الذي يمنع انتشار الفساد ويحفظ الإتران الخلقي من الضياع.

إن ترك التمسك الكامل بالأخلاق والفضائل إلى الأفراد أنفسهم يعني أن قسماً كبيراً من القيم والمبادئ الإسلامية ستعطل عن التطبيق وأن المسلم نتيجة لذلك لا يجد الجو الذي يستطيع فيه تنفيذ أمر الله لأن جزءاً كبيراً منه لا يمكن تطبيقه على الوجه الأكمل إلا عن طريق جهد جماعي، وهذا الجهد هو الذي يتيسر في الدولة لا في غيرها»^(١).

والله ﷻ بين هذه المسألة خير بيان فقال: ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. والفقر يشعر بقلّة الحيلة، ورقة الحال، وعدم القدرة على التأثير المباشر والفعال في الموقف الحاضر لأحوال الناس، فضلاً عن شعور الفقير بالوحدة والغربة والهوان هذه عوامل قلما يتغلب عليها الفقراء.

(١) منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام ص ١١٠، مرجع سابق.

«إن الجميع منشغلون بمشكلات اليوم والفترة القصيرة والكل - عدا سلطة الحكم - غير قادرين على التأثير بالقدر الكافي للتغيير، ويتخذون مواقف الدفاع عن مصالح ذاتية محدودة، والحقيقة المحزنة أن مصر تفتقد رؤية مستقبلية ترسم طريق التقدم والمعيشة الكريمة لأبنائها»^(١).

إن مجابهة الباطل كما أنها تحتاج إلى تخطيط، وحكمة، وتعاون تحتاج إلى وقت وعلم وصبر، وكل هذا لا يأتي من فراغ، وإنما يحتاج إلى تدريب وترتيب وقدوة واستعداد والفقر الكادح تراه غير مستعد للقيام بأعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ينبغي، فضلاً عن وتعاون مع المنكر ورضاه عن أهله؛ لأن المعاصي إذا انتشرت وكثرت فإن القلب يألفها، ولا يرى غضاضة أن يتعاون أو يتعامل معها، ولا سيما لو كان في حاجة إلى الطعام أو الدواء، فالفقر هو (المرشح دائماً) للخدمة، وإرضاء الأهواء، وتنفيذ الأوامر.

إن غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما أراده الإسلام - جعل كثيراً من المنكرات يعلن عنها فاعلوها وهم آمنون من العقاب أو حتى الحساب أو العتاب^(٢).

إن قوى الإصلاح بكل إمكاناتها وألياتها - بعيداً عن منهج الله - تعجز عن مواجهة المنكر الذي تفشى وانتشر بطريقة غير مسبوقه - مثلاً - ظاهرة التلوث البيئي وهي من المنكرات التي طالما تكلم عنها المصلحون وحذروا من خطورتها^(٣)، وهي في ازدياد فما بال الجرائم الكبرى التي أشرت إلى بعضها فيما سبق هل في مقدور الأفراد - لاسيما الفقراء - أن يواجهوها؟! أو يقللوا من خطرهما على المجتمع؟!!

إذن الفقر، ورقة الحال، وتفرق الناس، وانشغالهم بهمومهم اليومية.... عقبات كؤد أمام الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) مصر المحروسة ص ٤١ ، مرجع سابق .

(٢) كالزواج السري (العرفي كما يسمونه)، والإفطار علناً في رمضان ، والتحرش الجنسي والاغتصاب وتلويث البيئة ، والسكر، والعلاقات الآثمة بين الجنسين، لاسيما في حرم الجامعة وأماكن التربية والتعليم، ويكفي أن ننظر إلى الشباب والبنات في الجامعات المصرية الخاصة منها والأميرية ، أو أن نتجول ساعة في الأماكن العامة والحدائق ، والمصايف وأمام الكباريات ، ودور السينما إلخ

(٣) انظر كتاب التلوث لعنة العصر/ مهندس سعد شعبان ص ١٠ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة

المطلب الثالث: زيادة عدد اللقطاء وأطفال الشوارع:

الزنا جريمة بكل المقاييس، وجريمة أخلاقية واجتماعية، وهي فوق ذلك وقبل ذلك من أكبر الكبائر التي أجمعت على تحريمها وتجريمها قوانين الأرض والسماء، اللهم إلا من انتكست فطرتهم، وغلبت عقولهم شهوتهم، فصاروا عبيد الهوى والشهوات، وهذه الجريمة عادة ما تمارس في الخفاء، وقلما يجرؤ بإعلانها إلا شيطان رجيم أو حيوان بهيم، «الزنا جريمة خلقية واجتماعية بالغة الفحش، ولعل الاختلال الاقتصادي - بما يخلقه من بؤس وترف - أهم الأسباب المؤدية إلى انتشار هذه الجريمة، إن الشهوة الجنسية لا بد وأن تتحرك مع الفقراء والأغنياء على السواء، فإذا لم تتح لها الحركة الطيبة، لم يبق أمامها غير الحركة الخبيثة.

والعصمة المؤقتة، أو الدائمة عند بعض الرجال الفضلاء، أو الرجال الهادئين، لا يصح الالتفات إليها عند وضع تشريع عام، يراد به حفظ عفاف الأمة، وصيانة قوى الشباب المادية والأدبية والفعلية.

فإذا أردنا - باسم الدين - قمع الحركات الخبيثة للشهوة الجنسية، فيجب أن نيسر وأن ننظم أسباب الاتصال الجنسي الحلال، وأن نفرغ من العمل على وضع الحلول الصحيحة لهذه المشكلة المعقدة، ولن يكون ذلك إلا بإعادة النظر في فهم حقيقة الزواج، والأساليب العسيرة التي يتم بها الآن^(١).

وقد سبقت الإشارة أن كثيرًا من الشباب في ظل الظروف الاقتصادية الحالية وقلة ذات اليد، يعزفون عن الزواج الشرعي، أو يتأخرون إلى سن العنوسة، فيندفعون إلى أمور تستحي بعض الحيوانات أن تفعلها أو تمارسها إلا في الخفاء^(٢)، وبعض الناس - وقد قلّ الحياء - إلا من رحم ربي - يعلن بهذه الأفعال الذميمة حتى صارت مشكلة تقلق الكثيرين «إننا أمام مشكلة تحرش أخلاقية عميقة الجذور تتفاقم أمامنا منذ فترة طويلة وحذرت منها العديد من المنظمات النسائية ومن خطرنا على السياحة؟ وهل نسينا أن الكثير من الدول الغربية حذرت رعاياها القادمين إلى مصر من التحرشات الجنسية بشوارع القاهرة؟! بل طبعت لهم كتيبات عن كيفية مواجهة هذه التحرشات التي باتت علانية ووضعت لهم قاموسًا لكلمات التحرش المتداولة في الشارع المصري!

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٦٦، ٦٧، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب «الاغتصاب، أسبابه وعلاجه» تأليف / ناصر بن محمد السليمان ص ١٩، ط مكتبة الدعوة ٢٠٠٢ م.

الغريب أن البعض منا بكل عاطفة ساذجة مازال يتصدى مدافعاً بأننا بلد الأمن والأمان وأن المتحرشين فئة قليلة يجب ألا نلتفت إليها وهم في زوال بإذن الله وادخلوها بسلام آمين.....! أيها السادة: الأحكام القضائية رغم أهميتها الحيوية لا تكفي في مثل هذه القضايا الأخلاقية عميقة الجذور ولا تستطيع وقف التيار الكاسح لثقافة متسلقة تعشش فوق رءوس الكثيرين وتجذب البيئة الخصبة لنموها أعزائي المبتهجين بالحكم على المتحرش - وأنا واحد منهم - بغير المواجهة الشاملة والجادة لتلك الثقافة الظلامية وتحسين الظروف البيئية المحبطة للشباب وسط طوفان الفساد^(١)

بدون ذلك لن يتحسن الوضع، ما كانت مصر تعرف هذه السلوكيات الخاطئة التي نبتت وتغذت ونمت وانتشرت في غيبة الضمير والشرع والقانون، وفي شيوع ثقافات هابطة تهتم بالجنس، وتستجيب للغرائز الدنيا، وتطلق الحريات دون قيود أخلاقية، أو حدود شرعية فكان ما لا يتوقع أن يكون.

«إن المجتمع المصري يتميز من قديم بدمائة أخلاقه وتدينه، ومحافظته على أصوله وثوابته، ومن ثم تتعالى الصيحات بالرفض لكل ما يخرج على المنظومة القيمية والآداب العامة التي درج عليها.

لذلك فجرت حادثة التحرش الجنسي التي شهدتها بعض شوارع وسط القاهرة في شهر أكتوبر بسنة ٢٠٠٨م العديد من التساؤلات حول هذا السعار الجنسي الذي طفا بشكل مفاجئ على سطح مجتمعاتنا ذات الطابع المحافظ والقيم الضابطة، بالطبع طرحت القضية على بساط البحث ونوقشت في مختلف وسائل الإعلام، وتناولها بالبحث علماء الدين والتشريع إلى جانب علماء التربية وعلماء النفس والاجتماع، وقد حاول الجميع - كل في مجال تخصصه - تشخيص الداء ووصف العلاج.

(١) «احترس مصر ترجع إلى الخلف» ٢٠٨، ٢٠٩ بتصرف يسير، مرجع سابق .

وتضيف الدراسة أن التحرش لم يعد مقتصرًا على الألفاظ الخارجة ولا حتى الجارحة، بل بدأ يأخذ أشكالًا متعددة تشير إلى تفاقم القضية بنسبة عالية قد تصل إلى ٦٠٪، بالإضافة إلى ما تلاقيه بعض السيدات في منزلهن من مضايقات وكذا ما تواجهه من ملاحقات في الشوارع والمواصلات وعبر التليفونات والبريد الإلكتروني..... إلخ.

لقد تطور التحرش الجنسي فلم يعد فرديًا بل أصبح جماعيًا وهو عودة لروح القطيع والبلطجة التي يجتمع عليها الشباب اللاهي، والتي تدل على الاستهانة بقيم المجتمع، لأن للشباب قوة غريزية جامحة إن لم ينفث عنها في الحلال أدى به الحال إلى التحرش بالفتيات، وتأخر سن الزواج، ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين:

الأول: المعوقات المادية التي تواجه الشباب.

الثاني: عدم الرغبة عند البعض في تحمل تبعات الزواج.^(١)

وفي ذلك خطر على قيم المجتمع وتهديد للأمة، لدرجة أن كثيرًا من العلماء يطالبون بتطبيق حد الحرابة على مرتكبي تلك الجرائم بعد تجريد سيدة من ملابسها في عرض الشارع^(٢) والمطالبة بتدريب شرطة حريمي متخصصة لمنع هذه الظاهرة بعدما كشفت دراسات حديثة للمركز المصري لحقوق المرأة أن ٦٤٪ من النساء يتعرضن للتحرش يوميًا^(٣).

(١) انظر كتاب التحرش الجنسي أسبابه وعلاجه ص ٣، ١٣، ١٤، ٥ ط وزارة الأوقاف ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م بتصرف بسيط، وبالهامش ص ٥/ يقول الكتاب: أثبتت الدراسة أن ٦٢٪ من الرجال اعترفوا بالتحرش أكثر من مرة، ٦٩٪ من حالات التحرش تقع بالشارع، ٤٢٪ من حالات التحرش تقع في وسائل المواصلات، ٢٢٪ من حالات التحرش تقع على الشواطئ، ٦٪ من حالات التحرش تقع في مواقع العمل، وانظر (مجلة منبر الإسلام عدد ١١٤ السنة ٦٧ شهر ذي الحجة ١٤٢٩ هـ)، والعدد ١٢ سنة ٦٧، مقال تحت عنوان (التحرش الجنسي... المشكلة والحل).

(٢) هذا ما نشرته جريدة الجمهورية حرفيًا وبالبنط العريض يوم ٥/ ١١/ ٢٠٠٩ م صفحة ٢٦ عدد (٢٠٤٠١)، تحقيق أحمد جمعة بحضور علماء دين وتربية واجتماع منهم الدكتور/ عبد الحفي عذب/ أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر، والدكتورة/ إنشاد عز الدين أستاذ علم الاجتماع، والدكتور/ محمد عبد السلام أستاذ بجامعة عين شمس.

(٣) صحيفة الجمهورية يوم ٣٠/ ١/ ٢٠١٠ م عدد (٢٠٤٨٧) تحقيق صفوت عثمان، بحضور عدد من العلماء، وبشروح مطولة عن خطورة هذه الجرائم على القيم والأخلاق، وربط ذلك بالمشكلة الاقتصادية.

والأسباب كثيرة ومنها الظروف الاقتصادية التي تعاني منها البلاد، هذه الجرائم التي أصبحت ظاهرة للعيان تمارس في الشوارع والمواصلات العامة نذير خطر على قيم المجتمع وأخلاق أبنائه، ناهيك عن الزواج العرفي وغير ذلك من المفاصد التي لا يعلم مدى خطورتها إلا الله تعالى^(١)، وكما قيل: ما خفي كان أعظم.

ظاهرة أطفال الشوارع:

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، ومن أهم واجباتها وأخطر مهامها، رعاية الأبناء - لاسيما - في المرحلة الأولى من حياتهم، إذ تعد مرحلة الطفولة والمراهقة أخطر المراحل التي تتشكل فيها شخصية الفرد والتي تعكس - فيما بعد - القيم والاتجاهات والمبادئ الأخلاقية، ولقد اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالأطفال في هذه المرحلة بالذات، كما أن هناك قوانين ومنظمات دولية تهتم بالطفل «حيث أنشأت الأمم المتحدة منظمة (اليونيسيف) في عام ١٩٤٦ م التي أصبحت فيما بعد عام ١٩٥٣ م جزءاً دائماً من منظومة الأمم المتحدة فمهمتها الأساسية مساعدة الأطفال الفقراء في الدول النامية، وترعى الأطفال في سنوات العمر الأولى؛ إذ إن هؤلاء الأطفال ضحايا المشكلات السكانية والاجتماعية والاقتصادية، التي تتبلور في كثرة الإنجاب والتفكك الأسري والفقر»^(٢).

ومع هذا الاهتمام العالمي، والقوانين المحلية، والشرائع السماوية التي أجمعت على ضرورة مراعاة الأطفال بما يكفل لهم الحياة الكريمة، إلا إن ظاهرة أطفال الشوارع، وتكليفهم بالأعمال الشاقة التي لا تتناسب مع أعمارهم لازالت في ازدياد «فقد تزايدت حدة ظاهرة أطفال الشوارع في مدن مصر خاصة القاهرة، ولا يخفى على أحد أن هؤلاء الأطفال لهم تداعياتهم الأمنية الخطيرة»^(٣).

(١) انظر كتاب الاغتصاب أسبابه وعلاجه ص ٧ وما بعدها ، مرجع سابق ، وانظر كتاب الولاية والشهادة في النكاح

ص ٢٢٨ ، ط دار النهضة ٢٠٠٧ م

(٢) كتاب الديموجرافيا الأمنية ص ١١٣ ، ص ١٥٣ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق ص ١١٣ .

عدد أطفال الشوارع في مصر وما يتعرضون له:

- «يقدر عدد أطفال الشوارع على مستوى الجمهورية بـ ٢ مليون طفل.
- تشير بيانات المجلس القومي للطفولة والأمومة بالآتي^(١):
- * القاهرة والإسكندرية أكثر الأماكن كثافة لظاهرة أطفال الشارع.
- * ٩٢٪ منهم من الذكور و ٨٪ من الإناث.
- * ٣٢٪ منهم يقع سنهم بين (٥ - ٩) سنوات، و ٤٤٪ يقع سنهم بين (١٠ - ١٤) سنة.
- * ٦٦٪ منهم متسربون من التعليم أو لم يلتحقوا بالنظام التعليمي.
- * ٨٠٪ منهم معرضون لحالات عنف مختلفة.
- * ١٣٪ اعترفوا بتعرضهم لحالات اعتداء جنسي^(٢).
- والسؤال: هل هناك ضياع للمبادئ الأخلاقية، والقيم الإيمانية والإنسانية، مثل هذا الضياع؟

إن هذه المخاطر التي يتعرض لها أطفال الشوارع تنعكس على المجتمع بأسره، ناهيك عن «ورثة الفقر والمكانة المهنية المنخفضة، نظرًا لكون هؤلاء الأطفال ينتمون إلى أسر من فئات اقتصادية ومهنية منخفضة مما يؤدي عادة إلى أن يورث هؤلاء الأطفال الفقر والمهنة التي نشأوا عليها في أسرهم، وبذلك يصبح مجاهم في تحسين مستواهم الاقتصادي، والاجتماعي ضعيف، وينحصر طموحهم في حدود متدنية^(٣).

(١) المجلس القومي للأمومة والطفولة، حماية وتأهيل وإدماج الأطفال بلا مأوى (أطفال الشوارع)، القاهرة ٢٠٠٦ م.

(٢) كتاب الديموجرافيا الأمنية ص ١٥٨، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص ١٦١.

الأوضاع المعيشية لأطفال الشوارع:

أطفال لا مأوى لهم، ولا راع ولا مرعى، ولا رقيب ولا حسيب، ولهم احتياجاتهم الخاصة وربما معها احتياجات بعض أفراد الأسرة؛ - إن كان لبعضهم أسر - ترى ما هي الأعمال التي يمارسونها؟ وهل تتفق مع القيم التي جاء الإسلام بها، وعاش بها ولها أبناء مصر؟ أو هل تتفق - حتى - مع القانون الدولي لحقوق الطفل؟

إن أولاد الشوارع الذين يدفع بهم إلى مقار الشرطة أو الملاجئ ودور الأيتام ولم يأخذوا حظاً من التأهيل والتعليم، تقول الأستاذة/ عزة كريم تحت عنوان:

جرس إنذار يدق المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية: «إن التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في المجتمع المصري في الفترة الأخيرة ساعدت على انتشار ظاهرة أطفال الشوارع بسبب التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وأن طريقة القبض عليهم واحتجازهم في الأقسام والدفع بهم إلى الملاجئ ودور الأيتام يعرضهم للأذى، وكشف المشاركون في ورشة عمل تابعة للمركز أن أطفال الشوارع يرتكبون (٣٠٦٩) جريمة في السنة الواحدة»^(١).

تقول التقارير والإحصائيات أن عدد أطفال الشوارع على مستوى الجمهورية يزيد عن ٢ مليون تتراوح أعمارهم ما بين (٥ : ٩) سنوات معظمهم تعرض للانحراف^(٢).

إن الحرمان والذل والهوان يجعل الكثير من هؤلاء الأطفال - في هذه السن الحرجة - يقبل بالعمل في المهن الخطرة والأخلاقية^(٣)، والانضمام إلى عصابات الشر وقرناء السوء من المجموعات الإجرامية التي تستغل سذاجة وبراءة واحتاج هؤلاء الأطفال أسوأ استغلال،

(١) صحيفة الوفد ٣/ ١١/ ٢٠٠٩، العدد (٧٠٧٨)، الصفحة ١٦ - إلى الأخيرة، والأستاذة عزة كريم أستاذ علم

الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

(٢) كتاب الديموجرافيا الأمنية ص ١٥٨، مرجع سابق. وسأعرض لهذه المسألة بالتفصيل في الفصل الرابع، المطلب

الرابع.

(٣) أشرت إلى العمل في المهن الأخلاقية بالنسبة للمرأة والطفل تحت وطأة الفقر، وذلك ص..... من هذا البحث.

وإليك بعضاً من الأعمال التي يمارسها أطفال الشوارع حسب تقرير الخبراء:

١ - القيام ببعض الأعمال الهامشية التي تدر عليهم بعض الربح مثل تلميح الأحذية وغسل السيارات.

٢ - الانضمام إلى العصابات الإجرامية التي تحترف النشل والسرقه وتوزيع المخدرات وتسهيل الدعارة.

٣ - ممارسة التسول أمام المساجد وفي الأماكن المزدهمة.

٤ - جمع القمامة والمخلفات، كالورق المستعمل والقماش الممزق والزجاجات والعلب الفارغة وبيعها إلى التجار لإعادة استخدامها.

٥ - مسح زجاج السيارات في إشارات المرور، أو داخل مواقف السيارات^(١).
لقد تحولت براءة الأطفال إلى إجرام وعنف وصارت أدوات سهلة ورخيصة للأنشطة اللامشروعة، سواء في الترويج أو التوزيع أو التصنيع أو النقل لكل مواد الفساد والفسق والفجور.

تقول الدكتورة/ عزة كريم: «جرس إنذار يدقه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، فالملاحي ودور الأيتام يؤر لتفريخ الإرهابيين، وأنه من الصعب فصل ظاهرة أطفال الشوارع عن التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وأن أطفال الشوارع يرتكبون - ٣٠٦٩ جريمة مختلفة في السنة الواحدة، السرقه بنسبة ٥٦٪ والتشرد بنسبة ١٦،٥٪ وأن محافظة القاهرة هي أعلى المحافظات تليها بورسعيد ثم السويس»^(٢).

(١) كتاب الديموجرافيا الأمنية معهد الإحصاء عام ٢٠٠٧م ص ١٦٣، مرجع سابق.

(٢) د/ عزة كريم أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، تحت عنوان «أولاد الشوارع وحقوق الإنسان في إطار الإتجار بالبشر والزيادة المطردة في أعداد أطفال الشوارع»، صحيفة الوفد ٣/ ١١/ ٢٠٠٩م عدد (٧٠٧٨) ص ١٦.

والعجيب أن محافظة القاهرة وهي (العاصمة) تحتل المركز الأول في عدد هؤلاء الذين ينتمون إلى هذه الفئة، وليست المحافظات النائية أو الحدودية، أي أن الخطر في القلب، وأنه يتهدد المجتمع في العمق، وليس في طرف من أطرافه... تأمل!!
والأعجب من ذلك كثرة التحذيرات من العلماء المتخصصين وتكرارها بين الحين والحين ومنذ سنين والخطر قائم وفي ازدياد^(١).

* * *

(١) ولولا خشية الإطالة لذكرت الكثير والكثير من التحذيرات من خطر هذه الظاهرة، وليس آخرها ما نشر في صحيفة المساء ٢٧/٢/٢٠١٠م، الصفحة الأولى تحت عنوان: (فوضى الشوارع والباعة الجوالون والأرصفة).

المبحث السابع: أثر مشكلة الفقر على الكيان السياسي للدولة

وفيه تمهيد وخمسة مطالب

المطلب الأول: سوء العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة.

المطلب الثاني: السخرية والاستهزاء وكتمان العداء للسلطة.

المطلب الثالث: قيام الاحتجاجات للمطالبة بتوفير ضروريات الحياة.

المطلب الرابع: ظهور التيارات المناوئة لنظام الحكم سياسية كانت أو

اجتماعية.

المطلب الخامس: ظهور الثورات المطالبة بالحرية، والعدالة الاجتماعية.

تمهيد

الفطرة الإنسانية تشهد أن للإنسان ميولاً طبيعياً لأسرته وعشيرته ووطنه وقومه ... الفطرة السليمة لدى الإنسان السوي تقول ذلك، والفقر - مع الأسف - يؤثر سلباً على هذه الفطرة فلا يستطيع الإنسان مع الحاجة الملحة أن يحافظ - كما ينبغي - على فطرته وسويته واتزانه وحبه لوطنه وأهله ... كل ذلك يتلاشى ويضيع أمام ضغوط الحياة وضروريات المعيشة.

وإذا كان للفقر آثار سيئة وخطيرة على كيان الفرد والأسرة والمجتمع - كما ذكرت في الصفحات الماضية - فإن آثاره على الكيان السياسي للدولة أخطر وأكبر وأدهى وأمر.

الفقير الذي لا يجد قوت يومه ولا علاج مريضه، لا مانع عنده - غالباً - من رفع صوته والقيام بالأعمال الاحتجاجية والسخرية والاستهزاء، والتحالف مع التيارات المناوئة للسلطة الحاكمة، وربما ترك الولاء^(١) وأعلن البراء، والتربص وانتظار الفرص للخروج على النظام ... والهجرة والخيانة ...، وهذا خطر كبير وشر مستطير.

والأمثلة على ذلك عديدة «ففي مصر تحتوي ملفات المخابرات العامة على حالات استقطاب للمصريين بالخارج ووقوعهم في براثن الجاسوسية لحساب دولة إسرائيل، نتيجة لإغراءات معينة»^(٢).

وإذا كان الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - قد تأثروا بالفقر - وهم أهل تقوى وإيثار كما شهد لهم القرآن الكريم - فكيف حال فقراء اليوم قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

(١) انظر ما نشر في صحيفة الأهرام بتاريخ ١٥ / ١ / ٢٠١١م، ص ٢٠، تحت عنوان محاكمة شبكة الجاسوسية ... نصائح الموساد للعميل المصري ورد هذا العميل في التحقيقات على سؤال المستشار طارق الخولي هل لديك أقوال أخرى قال العميل: أنا غلطت وأنا ندمان ولكن ظروف معيشتي التي كانت في الصين كانت صعبة جداً وهذا ما اضطرني أبعث رسالة للمخابرات الإسرائيلية وأقول لهم أنا عايز أتعامل معاكم.

(٢) الديموجرافيا الأمنية ص ٩٥، مرجع سابق.

ذكر المفسرون صورًا من تطلع بعض الصحابة الكرام للغنائم والأنفال واختلافهم بشأنها، ومطالبتهم الصريحة لرسول الله ﷺ بتقسيمها عليهم^(١)، وقد حدث هذا في غنائم حنين وبدا الاحتجاج من الأنصار واضحًا لا لبس فيه ولا غموض^(٢) مما جعل رسول الله ﷺ يخاطب رؤساءهم بل ويجمعهم ويخطب فيهم ليرضيهم...

ولعل ما حدث في غزوة أحد من ترك الرماة مواقعهم - مع أن رسول الله ﷺ أكد عليهم أن لا يتركوا أماكنهم - لعله دليل آخر يؤكد لنا خطورة الفقر على الكيان السياسي للدولة. وسأذكر - باختصار شديد - بعضًا من المخاطر التي تهدد الدولة في العصر الحديث، بسبب الفقر، وسأراعي الضوابط العلمية والحدود المسموح بها في البحث العلمي^(٣).

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٢، ٢٧٣ مرجع سابق.

(٢) انظر فقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي ص ٢٩٨ : ٢٩٩ ، مرجع سابق، وكتاب الرحيق المختوم ص ٤٠٥ ، مرجع سابق.

(٣) لأن معظم ما قرأته من كتب ومجلات وجدته يصرح بأسماء بعض المسؤولين الكبار، وينتقد بطريقة لا تتفق مع البحث العلمي، لذلك اقتصر على الكتابات التي حافظت على القيم العلمية والأخلاقية.

المطلب الأول: سوء العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة:

الطبقة الوسطى هي رمانة الميزان، وعندما يحدث خلل، ولو بقدر جرام واحد في هذه الرمانة التي تعرف من خلالها مقادير الأوزان، لا شك أن الوزن يختل، ولا يأتي بنتائج صحيحة، وقد بينت أن الطبقة الوسطى تأكلت وضعفت على حساب الفقراء، فزادت من أعدادهم، وزاحمتهم في القليل الذي بين أيديهم مما جعل هذه الأعداد الغفيرة تتطلع إلى الخلاص الذي طال انتظاره.

«فمعظم السكان في مصر يعيشون في مستوى اقتصادي واجتماعي منخفض، ويفرض هذا المستوى المعيشي المنخفض ظروفًا حياتية صعبة تجعل الإنسان العادي لا يهتم كثيرًا بأمور السياسة، فمحور اهتمامه هو حياته وهمومه الفردية والأسرية وهنا يتحدد الوعي الاجتماعي عند مستوى هذه الهموم لا يتجاوزها إلى المستوى العام والنتيجة تكون إفراطًا في السلبية واللامبالاة تجاه ما هو عام، وإفراطًا في الاهتمام بما هو خاص»^(١).

إن مسألة السلبية وسوء العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة باتت من الأمور الواضحة، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما نشرته صحيفة الجمهورية تحت عنوان: (غياب الهوية السياسية أزمة مواطنة)، ١٪ فقط من الشباب يعرفون عدد الأحزاب وسعة ٧٪ أعضاء بها، وانشغال الناس بلقمة العيش هو السبب^(٢).

«يترتب على الفقر ضعف المشاركة السياسية للأفراد والعزوف عن المشاركة في الانتخابات العامة، وعدم فاعلية الأحزاب السياسية وسيطرة الأغنياء على مقدرات الحكم مما يؤدي إلى الدكتاتورية..... كما يترتب على الفقر حدوث اضطرابات أمنية وحركات إرهابية تستهدف تقويض النظام الذي يتجاهل الفقراء ويؤدي إلى ثراء الأغنياء المسيطرين على الحكم»^(٣).

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمته الله: «الكرامة الاجتماعية تقوم على المساواة بين الطبقات، وإقامة الموازين القسط بينهما، وجعل التكافل المادي والأدبي هو الرباط الذي يجمع شتاتها، ويركز قواها،

(١) المجتمع المصري ص ٤٤٥، مرجع سابق.

(٢) للمزيد انظر صحيفة الجمهورية العدد ٢٠٥٢٠ بتاريخ الأحد ١٤ فبراير سنة ٢٠١٠م صفحة ٣، تحقيق/ محمد عبد الحميد أحمد.

(٣) أ.د / حمدى عبد العظيم، كتاب أبحاث ندوة الفقر والفقراء في نظر الإسلام، ص ١٦١، مرجع سابق.

فلا تكون النعمة احتكارًا لطائفة ويكون الحرمان نصيب الأخرى، إذ إن هذه التعاسة مصدر ضعف عارم ومثار سخط مكتوم، تجعل أبناء الوطن الواحد لا يتحمسون للدفاع عنه ما داموا ليسوا سواء في الانتفاع بخيره، وقديما قال الشاعر:

لا أدود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

وهذه الحقيقة هي سر الفتور والبرود الذي يسود الجماهير في الأمم المستعمرة، والشبيهة بالمستعمرة، فلا بد من محاربة الاستعمار الداخلي ... حتى تهب الشعوب على قلب رجل واحد بإذاء أي هجوم يوجه إليها من أعدائها»^(١).

يقول الدكتور رشدي سعيد: «أن عامة الشعب المصري يعيش في مأساة تجعله في ارتباك دائم لا يفيق منه، ولا يقوي معه للبحث عن القضايا العامة بسبب المعاناة التي تعانيها الأسر الفقيرة (كتلة البشر الغاطسة) والتي يصل تعدادها - حسب ملخص الأهرام الاقتصادي بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٤م - إلى خمسين مليوناً تنتظم في حوالي ٨.٥ مليون أسرة يتراوح دخلها الشهري بين ١٠٠ مائة جنيه إلى ٥٠٠ خمسمائة وأن أعداد هؤلاء الفقراء في ازدياد»^(٢).

أذكر وأنا مجند سنة ١٩٨٨م وكانت التعليمات تلقى علينا في طابور الصباح، وكلها أوجلها عن السمع والطاعة والدفاع عن الوطن فسمعت من بجواري يقول بصوت خافت:-

سمعا وطاعة لأمر لست أفهمه إذ كيف أفهمه إذ لست أرضاه

لا بيت لي من الطين أسكنه أقصر - فأمرك هذا نفسي - تأباه

وعندما انتهى الطابور سألته: وقد سرد أبياتاً كثيرة عن حاله وحال أسرته، فقال: هل تعلم أني أعيش أنا وأبي وخمس بنات هن أخواتي يتراوح أعمارهن بين ثلاثة أعوام وسبعة عشر عاماً في غرفة واحدة لا تزيد مساحتها عن عشرة أمتار مربعة، ترى عن أي وطن نقاتل؟ أبي يعمل بواباً في عمارة نسكن أسفلها في غرفة لا نملكها!!

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١٠٨، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب (الحقيقة والوهم في الواقع المصري) ص ١٥ وما بعدها، مرجع سابق.

ولقد نشر فاروق جوييدة قصيدة بعنوان (كانت لنا أوطان) ختمها بقوله:

يا فارس الشعر قل للشعر معذرة لن يسمع الشعر من بالوحي قد كفروا
واكتب على القبر هذه أمة رحلت لم يبق من أهلها ذكر ولا أثر^(١)

ويقول الدكتور أحمد عكاشة: «كلنا نشعر الآن أن المواطن المصري قد أصبح جزيرة منعزلة مستقلة عن الوطن يشعر بوجوه غريبة وانكفاء على الذات دون أن يجد حلاً أو مهرباً خاصاً لمشاكله، الأقرباء والجيران والأصدقاء والمعارف لم يعودوا عزوة الوطن، بل باتوا غرباء عنه أو انقلبوا خصوماً له في بعض الأحيان وترتفع بين الحين والحين شعارات (إعادة بناء المواطن المصري) و(الانتماء كيف يتحقق) والذين يتحدثون عن انتماء المواطن المصري لا يهتمون بالبحث عن دور هذا المواطن في وطنه، ولا ينادون بتدارك وتلاقي الأسباب التي حدى بها المواطن إلى أن يصبح جزيرة منعزلة إلى الحد الذي يجعله غير عابئ بشيء في الوطن بدءاً بحقه الانتخابي، وانتهاءً بحرصه على عدم الإسراف في استهلاك المياه، هذه إذا توفرت في صناديق منزله أصلاً»^(٢).

ولم يقف الحال عند حد الفتور وضعف العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة، بل زاد الأمر إلى درجة السخرية والاستهزاء وكتمان العداء للسلطة والنظام ... وهذا ما سأذكره .. باختصار.

(١) أخبار المصريين في القرن العشرين من سنة ١٩٧٦ إلى ٢٠٠٠ م، تأليف/ سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب سنة ٢٠١٠م ص٩٧، وانظر إلى كتاب الأعمال الكاملة للشاعر أحمد مطر، ط كنوز المعرفة الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م، ص ٤٠١ قصيدة يعنون لها بعنوان (يسقط الوطن) لأنه - كما يرى الشاعر - لا يوفر للمواطن أبسط الحقوق التي يجباها كريماً، ويرى أيضاً أن وطناً كهذا لا يستحق الدفاع عنه، ولا الموت في سبيله، ويقول: (ملعون أبو هذا الوطن)، ويقول: (يا سيدى خذه بلا شيء فقط.....خلصنى من هذا الوطن)، وانظر ص ١٧٤-٣٤٢-٥٧٢-٦١٦ كلها أشعار وعبارات تهكمية وساخرة للشاعر عن الأوطان التي لا تهتم بالمواطن .

(٢) ثقبوب في الضمير ص ١٦ إلى ١٨، بتصرف، مرجع سابق.

المطلب الثاني: السخرية والاستهزاء وكتمان العداء للسلطة:

من أخطر القضايا التي تشغل بال العقلاء من الحكام والمسؤولين في أي قطر، هي رضا الشعب عن نظام الحكم، أو ما يسمونه - بالرأي العام، أو بالجبهة الداخلية - إذ إن العدو من الداخل أخطر بكثير من العدو من الخارج، فالإنسان الذي يفترض أن يكون مؤمناً بحب الوطن يدافع عنه، ويفديه بروحه ودمه، يتحول إلى عدو أو حاقد أو مستهزئ بسبب ما آلت إليه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ... أمر خطير، وخطير إلى أبعد الحدود، ويتج عنه أعظم الخيانات فهو أشبه بالسرطان الذي يسري في جسد الأمة ... أو بمرض الإيدز الذي يفقد صاحبه المناعة والمقاومة لأي جسم غريب ... فيصبح الترابط بين أبناء الوطن الواحد حبراً على ورق سرعان ما ينهار أو يسقط في أول اختبار؛ لأنه ترابط هش لا وزن له ولا قيمة.

والإنسان العادي - فضلاً عن المثقف - الذي يطلع كل يوم على الصحف والمجلات والإصدارات والكتب والتقارير المحلية والدولية يعلم يقيناً الحالة التي وصل إليها المجتمع المصري .. وبالأخص العلاقة بين الفرد والدولة، لا أقول الكم الهائل من الرسوم الكاريكاتيرية^(١)، والقنوات الفضائية وبعضها يصرح بالاسم واللقب ... ويعلن بالسب واللعن ... لأن البحث العلمي لا يسمح بمثل ذلك، ويكفي لتأكيد هذه الحقيقة أن تطلع يوماً واحداً على أهم الصحف والقنوات التي تتكلم عن الحالة الاقتصادية في مصر، وعن كم النكات التي تتردد على الألسنة عند قراءة هذه الصحف وعند الوقوف في طابور العيش، أو الجمعية التعاونية، أو في المواصلات العامة مما ينجل القلم عن كتابته^(٢).

(١) والصحف الرسمية أيضاً- لا تخلو يوماً من الرسوم الكاريكاتيرية، لاسيما ما يتعلق بالأحوال المعيشية للمواطن المصري ووعود المسؤولين بتحسين الحال والعمل على حل المشكلة.

(٢) ناهيك عن الكتابات الساخرة، عن وزارة القوى العاملة، وحال الشباب وزيادة حالات التسول انظر كتاب «احترس مصر ترجع إلى الخلف»، مرجع سابق، ص ١١٥ - تحت عنوان - مطلوب شحاذين الوسطاء يمتنعون .

هذا الجو الداكن، والعلاقات القائمة بين أفراد المجتمع والتي يسودها الظلم والفقر، لتوحي بفصول من المواجهة بين الشعب والنظام القائم، لا تختلف كثيراً عن مواجهة قوى الاحتلال، يقول الشيخ محمد الغزالي: «إن عشرات الحكومات ظهرت في الشرق الإسلامي لا تعتمد في بقائها على إثارة من حب، أو رائحة من أعذار، إنها ما تعتمد إلا على السيف وحده لبقائها، وما تتوسل بالحكم إلا لضمان مصالحها الخاصة، وكم نظن عمق الفجوة بين هؤلاء الحكام وبين أمهم المقهورة؟! لذا قلنا إن أمثال هذه السلطات استعمار داخلي، وإن ما يتولد في ظلها من ذل وقطيعة وبغضاء هو المهاد الطبيعي للاستعمار الخارجي»^(١).

ولم يكتف الشيخ محمد الغزالي بهذا الوصف بل يوجب على الشعوب المقهورة أن تفيق لتسترد حقوقها وتتبوء مكانتها وكرامتها فيقول: «هذا يوجب على الجماهير أن تستيقظ، لتضع حدًا لهذا الافتئات الحقيق، وهذا الاستهتار الكبير»^(٢).

إن كثيراً من الكتاب بدأ يحذر من خطورة الوضع الراهن، لدرجة تنذر بالانفجار وتدق أجراس الخطر، وهذا ما ساذكره بالتفصيل في الصفحات التالية.

(١) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ١١١، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثالث: قيام الاحتجاجات للمطالبة بتوفير ضروريات الحياة:

لا أظن أن أحدًا يعيش في مصر ينكر هذه الحقيقة التي باتت واضحة وضوح الشمس في وسط النهار، فمنذ بدأت القراءة لإعداد هذا البحث وأنا أجد كل يوم احتجاجات معلنة وخفية، سواء أعلنت عنها وسائل الإعلام المقروءة، أو المرئية، أم لا، والتي تطالب المسؤولين بتوفير الخدمات اللازمة والضرورية لحياة الشعوب، وتنذر بشر مستطير إن استمرت الأوضاع الاقتصادية على ما هي عليه.

والعجيب أن هذه الاحتجاجات متنوعة ومتكررة ويقر بوجودها وخطورتها المسؤولون والعلماء المتخصصون في الاقتصاد والأمن.

وسأذكر بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

١- «في كلمته أمام قمة الغذاء يقول رئيس الجمهورية: الطعام حق أساسي للإنسان ومخاطر الأمن الغذائي تهدد حياة البشر، وقد حان الوقت لتجاوز الحوار إلى إجراءات جادة وملموسة تتعامل مع القضية على أرض الواقع»^(١).

هذا هو العنوان الرئيس للخبر وفي التفاصيل ما يطول ذكره، وكذلك في صحيفة الأهرام^(٢) يقول/ رئيس مجلس الشعب: «معارضون وحركات احتجاجية يعملون للهدم لا للبناء .. وحذر من التظاهر أمام المحاكم، ووعد بالرد على الاتهامات التي توجه ضد أعضاء الحكومة»^(٣).

وفي جريدة الأخبار سيادة المفتي د/ علي جمعة «يطالب بقوانين اقتصادية لحياة الفقراء»^(٤). وفي صحيفة الجمهورية - أيضًا - «مئات الشكاوي لعدم توافر أسطوانات الغاز»^(٥)، ومثل هذه الشكاوي والاحتجاجات والمطالبة بتوفير الغذاء والدواء والمساكن والتعليم، والخدمات الأخرى كثير جدًا.

(١) سأكتفي بذكر بعض الاحتجاجات المنشورة في بعض الكتب، وبعض الصحف الرسمية رغبة في الاختصار.

(٢) صحيفة الجمهورية عدد ٢٠٤١٣، ص ٣، الثلاثاء ١٧/١١/٢٠٠٩ م.

(٣) صحيفة الأهرام ص ١، الأحد ٢٥/٧/٢٠١٠ م عدد ٤٥١٥٦.

(٤) صحيفة الأخبار يوم ٢/١/٢٠٠٩ م ص ١٦.

(٥) صحيفة الجمهورية يوم ٨/٢/٢٠١٠ م ص ٢٥، عدد ٢٠٤٩٦.

ويكفي أن أشير إلى إحدى جلسات مجلس الشعب التي تنشر تفاصيلها صحيفة الأخبار تحت عنوان:

«جلسة عاصفة بمجلس الشعب خلال مناقشات قرار العلاج بالإجماع تأييد طلب التحري عن قرارات العلاج على نفقة الدولة من الداخلية والرقابة الإدارية»^(١).

إذا كان هذا موجوداً في الجرائد والصحف الرسمية وقد - بلغ حدّاً يصعب على حصره فكيف بالصحف والأخرى التي تعمدت أن لا أذكر منها شيئاً^(٢) ناهيك عن ما تنشره وسائل النشر الأخرى من قنوات تلفزيونية وكتب وهيئات ونقابات.

ولعل ما قامت به نقابة المعلمين والأطباء وغيرهما للحصول على الكادر الخاص خير دليل على الاحتجاجات والمطالبة بتحسين الأجور.

«إن أكبر الأسباب التي تجعل العاملين بالجهاز الإداري للدولة، غير راضين عن عملهم بالحكومة هو قلة الدخل»^(٣).

ولم يقف الأمر عند حد المطالبة والاحتجاجات بل تجاوز ذلك إلى الاضطرابات والاعتصامات والمساءلات والاستجوابات التي أربكت الاقتصاد المصري وضاعفت من حجم المشكلة بدلاً من حلها.

الأمر الذي دعا السلطات إلى الحلول السريعة: كالعلاوات، وبطاقة التموين، وزيادة المرتبات استجابة لمطالب النقابات، وصاحب ذلك زيادة في الأسعار وبقيت المشكلة كما هي ورجعنا إلى المربع الأول: «مما أدى إلى انتشار حركات الاحتجاج غير العقلانية حتى أصبح الاقتصاد معتمداً في الأساس على بيع الأصول وعلى تقديم الخدمات وتصدير العمالة وتقبل الإعانات»^(٤).

(١) صحيفة الأخبار يوم ٢٨/٢/٢٠١٠م ص ٥، عدد (١٨٠٥٥)، وفي تفاصيل الخبر استجوابات واحتجاجات واتهامات بالأدلة والأرقام.

(٢) بين يدي العشرات من المنشورات في الصحف الرسمية وغيرها.

(٣) للمزيد انظر كتاب (جذور الفساد الإداري في مصر) ص ١٢٧/١٩٤/١٩٥، وما بعدها، مرجع سابق.

(٤) الحقيقة والوهم في الواقع المصري ص ٥٢، مرجع سابق.

إن ما وصلت إليه الشعوب من يأس وذل وهوان جعل بعض العلماء يصف الحالة الراهنة «بالزلال الذي يصيب النفس البشرية من قلق على مصير يعصف بكل إيجابياتها وتلك مأساة زلزالية بكل المقاييس!!»^(١).

«بيد أن القوانين الدولية عمومًا والمواثيق الدستورية المصرية خصوصًا تؤكد على إلزام الدولة بالقيام على مصالح رعاياها وتوفير حد الكفاية اللائقة بآدمية الإنسان وتوفير العدل والأمن بالمعنى الشامل والواسع، بما يحول دون الاستغلال ويؤدي إلى تقريب الفوارق بين الدخول، ويحمي الكسب المشروع، ويكفل عدالة توزيع الأعباء والتكاليف العامة، وعلى التضامن الاجتماعي»^(٢).

كل هذا ساقه العلماء في سياق الاحتجاج والمطالبة بتغير الأوضاع إلى الأحسن حتى يعود الأمن ويسود الاستقرار.

(١) ماذا أعدت مصر لنفسها بعد أكثر من زلزال، د/ عبد الصبور شاهين ص ٣١، ط دار الاعتصام ١٩٩٦م.

(٢) جذور الفساد الإداري في مصر ص ٣٤ وما بعدها، مرجع سابق، فلقد أفرد المؤلف مبحثًا خاصًا بالقوانين الدولية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكذلك المواثيق الدستورية المصرية التي لا تختلف كثيرًا عن المواثيق الدولية.. وبعد سرد المؤلف لهذه القوانين يرى أنها باتت حبر على ورق فلقد جرى إهدارها ولم يحل وجودها من تردى أوضاع العاملين وغيرهم. انظر ص ٤٠ للكتاب المذكور.

المطلب الرابع: ظهور التيارات المناوئة لنظام الحكم سياسة كانت أم اجتماعية:

كنت أظن أن الاحتجاجات لا تعدو ما ألفناه من الاعتصامات والاضطرابات يوماً أو أياماً عن العمل، للحصول على علاوة ما أو كادر خاص ... ولكن فوجئت بأمور ما كنت أحسب أننا في مصر قد نصل إليها^(١).

إن الاحتجاج والمطالبة بتوفير الخدمات وزيادة الجور عبر القنوات المشروعة، أمر مشروع، ومعتاد، ويحدث في كثير من البلاد التي يعاني أهلها من مشاكل اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.

أما أن يتحول معظم الشعب إلى (خصم) مناوء، يعلن عداؤه للنظام القائم، أو على الأقل عدم رضاه عنه، وقوله لهذا النظام كفى^(٢) فما عدت تصلح لقيادة الأمة إذا تحول المجتمع إلى هذه الحالة فهذا نذير خطر لا بد من تدركه قبل فوات الأوان.

هذا ما يقوله العقلاء ويعملون له ألف حساب وحساب؛ لأن تماسك الجهة الداخلية أمر لا تخفى أهميته.

إن أصحاب هذا التوجه (مناوءة النظام) يرون أن السمكة تفسد من رأسها، وأنه قد مضى زمن الاحتجاجات وأنه لا بد من تغير يبدأ من القمة، وأنه لا بد من نظم بدلية وبناء أيد لوجبات سياسية واجتماعية وثقافية وذلك: «لعجز النظام القائم عن رؤية السلبيات وإصلاحها وتقديم أهل الثقة ... وفي ذلك خلا جوهرياً سيؤدي بالوطن إلى كارثة»^(٣).

يقول الدكتور جلال أمين: «لقد أشار بعض الكتاب إلى أن هناك، فضلاً عن ظاهرة الاستعمار، ظاهرة (القابلية للاستعمار) وقد تعدل هذا التعبير تعديلاً طفيفاً فنشير إلى (القابلية للتبعية) وتقصد بذلك موقفاً نفسياً لا يتعلق بالضرورة بمكاسب مادية من الارتباط بالقوى الخارجية، بل قد يتعلق فقط بضعف الشعور بالولاء للوطن والكرامة القومية، وضعف الحمية، والحماس لقضايا وطنية مجردة، والانصراف إلى الاهتمام بقضايا معيشية يومية، والانشغال بلوازم الصعود الاجتماعي للفرد وأسرته»^(٤).

(١) انظر كتاب «لماذا لا يثور المصريون» علاء الأسواني، ط دار الشروق سنة ٢٠١٠ م.

(٢) كحركة كفاية، وحركة الإخوان المسلمين، والوفد والناصري وغيرهم.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٠، مرجع سابق.

(٤) ماذا حدث للمصريين ص ٤٠، مرجع سابق.

إن هذا الذي يخشاه الدكتور جلال قد وقع بالفعل في أقطار عربية وإسلامية مجاورة، لا تقل في ادعائها الوطنية والعروبة والإسلام عن مصر، وتأمل ما يحدث الآن في العراق والسودان والصومال وغيرها من بلاد المسلمين، كم من أناس تعاونوا ولا يزالون يتعاونون مع المحتلين حتى صار أعداء الأمس أصدقاء اليوم؟

وكم من أناس هجروا أوطانهم سواء إلى الخارج أو الداخل بحثاً عن العمل الذي يكفيهم مؤنة الحياة^(١) «إن افتقار المرء لخصوصيته وشعوره بأن المجتمع الذي يعيش فيه لا يعير هذه الخصوصية اهتماماً.. يخلف لديه شعوراً بالغيب والغضب وعدم الانتماء، ومن ثم الأنانية والتمحور حول الذات أو الرغبة في تخطيم المجتمع»^(٢).

* * *

(١) انظر ما كتب في ملحقات الأهرام بتاريخ ٦/٣/٢٠١١م صفحة شباب التحرير رقم ١ عن معاناة آلاف المصريين في

ليبيا والتهديد باستخدامهم كدروع بشرية.

(٢) تشريح الشخصية المصرية ص ٢١٢، مرجع سابق.

المطلب الخامس: ظهور الثورات المطالبة بالحرية والعدالة الاجتماعية:

يعجب أحد الصحفيين من صبر المصريين وقدرتهم على التحمل ومواصلة الحياة في الظروف المعيشة الصعبة، حتى إنه يعنون لكتابه بعنوان «لماذا لا يثور المصريون؟» وكان الرجل يذكر الأثر القائل: عجبت لمن بات جائعاً كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه.

يقول صاحب الكتاب المذكور: «الوضع في مصر متدهور في كل المجالات، وقد فشلت الحكومات المتعاقبة في تأمين أسبغ حقوق المواطن المصري، في العمل والسكن والعلاج والحياة الكريمة المحترمة، ملايين المصريين يعانون من الفقر والبطالة والقمع والفساد، وهذا الفشل الكبير لا يعود إلى تقصير المسؤولين المصريين بقدر ما يعود أساساً إلى الطريقة التي تحكم بها مصر، والطريقة التي يحصل بها أي مسئول على منصبه وبها تحدد تصرفاته في هذا المنصب»^(١).

يستطرد الكاتب في ذكر ما آلت إليه الأمور ويذكر مواقف حدثت له، وتجارب مرت به وهو يرغب في علاج الوضع القائم وهو يسأل نفسه ويقول: «لماذا لا يثور المصريون والحق أن في مصر من الظلم والفساد والاستبداد ما يكفي لإشعال عشر ثورات في بلد آخر فلماذا لا يثور الناس في بلادنا؟ هل لأنهم جبناء؟ الإجابة بالنفي إن ما يمنع المصريين من ذلك خبرتهم الأليمة بالقمع وببأسهم الكامل من الإصلاح، وقد تعود المصريون أن يبتعدوا قدر الإمكان

هم فقراء لا يملكون ترف الدخول في معارك رومانية؛ لأنهم يخوضون كل صباح معركة مريعة ضارية ينتزعون آخرها الطعام لهم ولأولادهم»^(٢).

ولقد جاءت ثورة الخامس والعشرين من يناير سنة ٢٠١١م، لتكون خير شاهد على آثار الفقر، ولتؤكد ما سبق ذكره، وتزيد عليه ما لم نكن نتوقعه.

هذه الثورة بأحداثها، وشعاراتها، وأهدافها، ونتائجها.... فاجأت الباحث.... ولم يكن في الحسبان أن يتوقع ما حدث في أيام الثورة.... كان التصور الحاضر منذ تسجيل هذا البحث وبدء الكتابة فيه^(٣) لا يعدو ما هو مألوف ومعروف ومتكرر في مصر، والذي تم رصده والكتابة عنه في

(١) «لماذا لا يثور المصريون» ص ٩٦، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ص ١٠، بتصرف.

(٣) سجل هذا البحث بتاريخ ١/ ١٠/ ٢٠٠٩م، أما بدء الكتابة لوضع الخطة كان قبل ذلك بثلاثة أشهر.

الصفحات السابقة، أما أن تقوم ثورة بهذا الحجم، وتتطور الأحداث بهذه السرعة، وتتواصل الجهود بعزم، وحزم بين جميع القوى السياسية رغم اختلاف مشاربها وانتمائها على هدف واحد (إسقاط النظام ومحكمة رموزه) هذا ما لم يكن يتصوره الباحث، لا عند اختيار الموضوع (مشكلة الفقر في مصر وأثرها على القيم)، ولا عند كتابة هذا الفصل (أثر مشكلة الفقر على الكيان السياسي للدولة). والحق أن ما ذكر في الصفحات السابقة - بقدر الله تعالى - ليعين أن الثورات الكبرى لا تقوم بين عشية وضحاها ولا لمجرد وجود بعض التجاوزات هنا أو هناك، وإنما هناك سنن إلهية ومراحل منهجية لا بد منها أولاً لقيام أى ثورة، ومن هذه السنن:-

١- التدرج الطبيعي لقيام مثل هذه الثورة:

إذ تبدأ الثورات - غالباً - بسوء العلاقة بين الحاكم وعامة الشعب ... ثم تتطور إلى السخرية والاستهزاء وكتمان العداء، بسبب الجور والفساد وعدم العدالة في الحقوق وتوزيع الثروات، وكبت الحريات ... ثم تقوم الاحتجاجات المطالبة بالاصلاح المالى والسياسي والإداري والاقتصادي... ثم يئس الشعب من النظام بسبب عدم التجاوب معه والاستخفاف بمطالبه^(١) الأمر الذي يؤدي إلى ظهور التيارات المناوئة للنظام السياسية منها والاجتماعية، من ثم إلى الثورات الغاضبة، سواء أكانت حمراء أم بيضاء.

٢- الكم الهائل من الفساد المالى والإداري ... الأمر الذي زاد من فقر الفقراء ... وظلم الظالمين، والذي ساعد على قيام هذه الثورة، بل وعلى استمرارها وصمودها ووصولها إلى بعض أهدافها. ورغبة في الاختصار، أذكر هنا - فقط - ما يرتبط بموضوع البحث ليكون دليلاً آخر يضاف إلى ما سبق ذكره قبل قيام هذه الثورة.

أولاً:- أسباب الثورة:

لا ينكر أحد أن الثورة قامت بسبب الفقر والظلم، أو بعبارة أخرى بسبب انعدام العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل، وبسبب التضيق على الحريات والتعبير عن الرأي. ولذا أقول: مشكلة الفقر في مصر.... ومن مظاهرها البطالة.... تستقل بنصف الأسباب التي قامت بسببها الثورة^(٢).

(١) هذا أقصى ما كان يتصوره الباحث عند وضع خطة البحث.

(٢) انظر ما كتبه/ عبد الحليم قنديل في كتابه - كارت أحمر للرئيس - بعنوان (يا مبارك نسألك الرحيل)، ص ١٠٤ وما بعدها، مرجع سابق، وانظر أيضاً ما كتبه الصحف القومية الثلاث يوم الثلاثاء ٨ فبراير ٢٠٠١م، وخصوصاً صحيفة الأخبار - الصفحة الأولى - تحت عنوان سيل من بلاغات الفساد.

وفي هذا دليل كاف وقاطع على أن الفقر يؤثر على الكيان القائم للدولة من جهة، وعلى القيم الأخلاقية المتبادلة بين الحاكم والمحكوم من جهة أخرى.

ويكفي أن ننظر إلى الشعارات التي رفعت أيام الثورة، وإلى الكلمات التي ترددت على ألسنة الثوار في ميدان التحرير، وفي الميادين الأخرى على مستوى الدولة^(١) والتي نقلتها وسائل الإعلام على مدى أيام.

لقد بدأت الثورة بطلب التغيير والإصلاح، ثم تطورت وارتفع سقف مطالبها إلى تغيير النظام بالكامل، واستبداله بنظام عادل يقوم على الحرية والعدالة الاجتماعية.

والسبب في ذلك انضمام أعداد أخرى للمتظاهرين، معظمهم من الفتويين الذين يشكون من الظلم والتمييز في الرواتب والأجور والدرجات الوظيفية، وساعد على ذلك ما كشفه الإعلام - أيام الثورة - من الفساد المالي والإداري، ومدى الهوة السحيقة بين الفقراء والأغنياء والتي ساعدت الدولة ونظامها في إنشائه وبقائه وحمايته^(٢).

ثانيًا: أحداث الثورة:

لا تقل أحداث الثورة في دلالتها عن أسبابها، فإذا كانت الثورة قد قامت بسبب الظلم في تقسيم الثروات وفرص العمل ... والتضييق على الحريات ... فإن أحداثها تدل دلالة قاطعة على خطورة البطالة والفقر على الكيان السياسي للدولة.

وبالنظر إلى ما نقلته وسائل الإعلام المحلية والعالمية، على أن الشريحة الكبرى من المتظاهرين كانت من الشباب العاطل، أو على الأقل الشباب الراغب في تحسين فرص العمل ومستوى الأجور.

وبالنظر أيضًا إلى إصرار هؤلاء الشباب، وتحديهم للنظام، ومواجهتهم للموت، ومعاناتهم في المبيت في العراء ... في فصل الشتاء ... والعدد الذي سقط من القتلى والمصابين ... وانضمام الكثيرين

(١) ومنها ارحل امش ... أريد أن أعيش ... أريد أن أتزوج أريد وظيفة، أو فرصة عمل انظر صحيفة الجمهورية يوم ٢٦ مارس ٢٠١١م، ص ١-٣-٥-٦.

(٢) انظر ما كتب في صحيفة الأخبار يوم الجمعة ٤ فبراير ٢٠١١م، عن الفساد ومحكمة عدد كبير من رموز الدولة بسبب ضلوعهم في الفساد المالي والإداري، انظر ص ١-٦، وانظر ما كتب في الصحيفة ذاتها يوم ٣١ مارس ٢٠١١م، عن الحسابات السرية لرموز النظام في الداخل والخارج ... وللعلم أن جميع وسائل الإعلام تكلمت عن هذا الأمر.

من المثقفين والعمال، والمهنيين ... حتى من جاءوا على ظهور الجمال والحمير والخيول ... بدعوى أنهم تعطلت أعمالهم^(١) ... كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن هموم المعيشة لدى الكثير من المصريين هي التي حركت الأحداث وألهبت المشاعر، خصوصاً وقد ظهرت أسرار تتعلق بأموال الدولة، وبأحوال المسؤولين ... وما لديهم من ثروات تفوق الخيال وموضوع الخصخصة، والاستثمار الداخلي والخارجي وتهريب الأموال إلى الخارج... وسن القوانين الميسرة، بل والداعمة للظلم والفساد ... في حين وجود فقراء وعاطلين عن العمل بلغت أعدادهم أرقام مخيفة ... كل ذلك يؤكد أن الثورة في مصر لم تقم من فراغ، وإنما قامت لأسباب ومرت بأحداث، وتهدف إلى أهداف لها علاقة بالوضع المعيشي السيئ في مصر.

ثالثاً: - أهداف الثورة:

من خلال ما سبق ذكره ... يمكن لي أن أوجز - في أقصر عبارة - أهداف الثورة فأقول: العدل والحرية.

وكما ذكرت أن نصف الأسباب التي قامت الثورة بسببها، تتعلق بالأحوال المعيشية في مصر، أذكر هنا أيضاً أن نصف الأهداف التي تهدف الثورة إلى تحقيقها هي العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل، وهذا واضح ومعلوم، وطالما أكد عليه الثوار بجميع طوائفهم ومشاربهم، وكذلك وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، وكل ما سبق من أدلة تؤكده^(٢).

(١) وهذا يدل على أن الفقير الذي ليس له إلا مصدر وحيد ومحدود، أو ليس له مصدر دخل أصلاً، يمكن بل ويسهل تجنيده لإحداث القلاقل والفتن نظير مبلغ من المال ... في الوقت الذي يعترف فيه الرئيس السابق بأنه لا ينكر أن لديه ثروة والجهات الرقابية تعلم ذلك انظر صحيفة الأخبار بتاريخ ٩ مارس ٢٠١١م، ص ١ وكتاب أباطرة الفساد ص ٢٩، مرجع سابق.

(٢) انظر صحيفة الأهرام يوم الجمعة ١٨ فبراير ٢٠١١م، من الصفحة الأولى وحتى الصفحة الثامنة، العدد رقم (٤٥٣٦٤)، عن مطالب الثوار، وانظر كتاب مليارديرات حول الرئيس ص ١٥٥ وص ١٧٣ وما بعدها مرجع سابق، وكتاب أباطرة الفساد وزراء ورجال أعمال نهبوا ثروات مصر تأليف/ السيد عبد الفتاح، ص ٩ وص ٢٨٣ وما بعدها، ط دار الحياة للنشر والتوزيع سنة ٢٠١١م.

هذه المراجع التي ذكرتها عن أسباب وأحداث وأهداف ثورة ٢٥ يناير هي جزء من المراجع فقط على سبيل المثال لا الحصر، لأن جميع وسائل الإعلام تكلمت أو كتبت عن هذه الثورة.

رابعاً: ثمرات الثورة ومكاسبها:

إذا كانت أهداف الثورة تتلخص في طلب الحرية والعدالة الاجتماعية ... وهما المطلبان اللذان رافقا الثورة منذ شرارتها الأولى، واستمررا معها لا ينفكان عنها ولا ينفصلان، وإلى الآن فإن مسألة الحرية والعدالة الاجتماعية من أهم المسائل التي تصدر قائمة المطالب لدى شباب الثورة وأنصارها^(١) والحق أن الثورة قد نجحت نجاحاً كبيراً فيما يتعلق بإطلاق الحريات، والتعبير عن الرأي ... ففي ثمانية عشر يوماً أطاحت الثورة برأس النظام، وقد استطاعت - بفضل الله - كسر حاجز الخوف لدى الكثيرين الذين أصبحوا يطالبون - ليل نهار وبصوت مرتفع - بمحاكمة المجرمين ورموز الفساد ومواجهة المؤيدين لهم، والمدافعين عنهم، بل وصار كل من له حق أو (شبهة حق) يطالب به دون خوف أو تردد.

بيد أن العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات وفرص العمل (المطلب الثاني للثورة) لا يزال يراوح مكانه، ولم تحقق الثورة إلى هذه اللحظة شيئاً يذكر في هذه المسألة، اللهم إلا الوعود والآمال المستقبلية ... والانتظار إلى ما تسفر عنه الأيام المقبلة^(٢) والحق أن تحقيق العدالة الاجتماعية ليس كإطلاق الحريات ... فالأول يحتاج إلى جهود مستمرة وصبر ومثابرة ووقت طويل وقوانين صارمة، وميزانيات مدروسة وممولة ... وفوق ذلك، وقبل ذلك يحتاج إلى صدق نية، وتعاون حقيقي بين جميع أبناء المجتمع، فإذا كانت الثورة قد أطلقت الحريات وغيرت الكثير من النظم، واكتسبت الاعتراف الواسع لدى دول العالم، والتأييد الشعبي الكبير، رغم اختلاف المذاهب والمشارب والإيرادات ... إلا إن الطريق طويل لتحقيق جميع الآمال، والأهداف، لاسيما ما يتعلق بمشكلة الفقر، أو العدالة الاجتماعية، فالأمر يحتاج إلى الكثير والكثير من الجهود والأيدلوجيات والتعاون والإخلاص، والإحساس بالمسئولية أمام الله ﷻ وأمام الناس، والله أسأل أن يعين العباد ويصلح حال العباد^(٣).

(١) للمزيد انظر مجلة منبر الإسلام ص ٥٥، عدد ٤ ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ / مارس ٢٠١١م، للدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور القسبي زلط، وغيرهما عن اختلال موازين العدالة الاجتماعية، وعلاقة الثورة بهذه المسألة.

(٢) انظر ما نشرته صحيفة الأهرام المصرية يوم الثلاثاء ٣ مايو ٢٠١١م / ص ٣، ١، تحت عنوان رئيس الوزراء: لرؤساء الصحف: المستقبل باهر بشرط الخروج من عنق الزجاجة...

(٣) وهذا ما سأذكره بالتفصيل - إن شاء الله - في الفصل الأخير من هذه الدراسة والذي يتعلق بالحلول المطروحة لمواجهة المشكلة.

والخلاصة:

- ١ - أن مشكلة الفقر لها آثارها الخطيرة على الفرد والمجتمع والكيان السياسي للدولة.
 - ٢ - الفقر يدفع إلى العداء بين السلطة الحاكمة وبين أفراد الشعب.
 - ٣ - والفقر قد يضعف الشعور بالولاء للوطن ويقتل الحمية ويعلم الأناثية.
 - ٤ - والفقر يهين أصحاب النفوس المريضة للتبعية الخارجية، وقد توجد المبررات التي تسكت الضمير، وتقنع الفقير أن هذه التبعية هي البديل عن النظام القائم، وفي ذلك من المفسد ما الله به عليم.
 - ٥ - الفقر يدفع إلى الثورة على النظام ومواجهته، والمطالبة برحيله والاصرار على تغييره، بل ومحاكمته على ما قصر واقترف، وهذا ما أكدت عليه ثورة ٢٥ يناير سنة ٢٠١١م.
- ونسأل الله السلامة والرشاد آمين.

* * *

الباب الثاني

الدراسة الميدانية

الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة.

الفصل السادس: تحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية.

مقدمة

تعتبر هذه الدراسة الميدانية هي المدخل، والطريق الموصل لفهم الواقع، ومعرفة الحقائق على الأرض، فهي ليست دراسة وحيدة الجانب، قاصرة على فهم الباحث وحده للمشكلة التي يكتب عنها، بل وفهم المبحوث أيضاً، لأبعاد هذه المشكلة وواقعها، وذلك من خلال تواصل، وتفاعل متبادل بين الباحث، والمبحوث وذلك من خلال استمارات الاستبيان التي تعتمد عليها الدراسة.

والجدير بالذكر أن هذه الدراسة الميدانية كانت مكملة للدراسة النظرية، إذ جاءت بعدها، متممة لها، وموضحة لكثير من حقائقها، ومن ثمّ كان البحث كاملاً، وشاملاً، لا يقتصر على النظر والغرض بقدر ما يستند إلى الوقائع، والحقائق، والملاحظة، والرصد، وأخذ الأدلة من أفواه أصحابها، ومن ذوي الخبرة، والتجربة في طريق حل المشكلة، وذلك حتى تتم الفائدة المرجوة من الدراسة، ويحصل المقصود، ويصل الباحث إلى الهدف المنشود من البحث.

وفي هذا الفصل يتناول الباحث - بالعرض والتحليل - الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية من حيث تساؤلات الدراسة، ونوعها، والمنهج المستخدم، وأدوات جمع البيانات، ومجالات الدراسة، وأيضاً الأساليب الإحصائية المستخدمة؛ لأن لكل دراسة خطة تحتوي على عناصر أساسية، ودراستنا هذه تحتوي على هذه العناصر.

الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة

مقدمة:

- ١ - تساؤلات الدراسة.
- ٢ - صعوبات الدراسة.
- ٣ - نوع الدراسة.
- ٤ - المنهج المستخدم.
- ٥ - أدوات الدراسة.
- ٦ - مجالات الدراسة.
- المجال المكاني .
- المجال البشري .
- المجال الزمني .
- ٧ - الأساليب الإحصائية المستخدمة.

أولاً: تساؤلات الدراسة:

- ١ - ما مظاهر مشكلة الفقر في المجتمع المصري ؟
- ٢ - ما أسباب هذه المشكلة في مصر ؟
- ٣ - ما الآثار المترتبة لمشكلة الفقر على القيم في المجتمع المصري ؟
- ٤ - ما المقترحات لمواجهة مشكلات الفقر في مصر ؟

ثانياً: صعوبات الدراسة الميدانية:

الحق أن الدراسة الميدانية لم تكن سهلة، إذ إنها لم تعتمد على الكتب، والمراجع، والمعلومات المتاحة للباحث، والتي يمكن الحصول عليها بطريقة أو بأخرى إنها اعتمدت على آراء عدد ليس بالهين^(١)، وفي المحافظات الثلاث الأمر الذي أدى إلى بعض المشكلات المادية، والمعنوية، والتي يمكن للباحث أن يحملها فيما يلي:

أ - تردد كثير من المبحوثين في أخذ الاستمارة، والتجاوب مع الباحث، وذلك خوفاً على نفسه من المساءلات القانونية، أو الملاحقات الأمنية، أو اليأس من حل المشكلة، أو فقد الأمل في المستقبل - كما عبر عن ذلك كثير من المبحوثين - أو بسبب الجهل، والاستخفاف بالمسألة برمتها، أو السلبية، وعدم الرغبة في التعاون مما كلف الباحث جهداً كبيراً في إقناع هؤلاء وهؤلاء.

ب - طلب المال من الباحث مقابل إتمام الإجابة على الاستمارة، بدعوى أنهم فقراء وفي حاجة إلى المساعدة.

ج - السفر المتكرر إلى مواقع المبحوثين في المحافظات الثلاث لتابعة الاستمارات الموزعة عليهم، واكتشاف أن كثيراً منهم قد أهملها، أو فقدوها، أو نسيها في البيت، مما كلف الباحث استمارات أخرى، ووقت آخر.

د - استخراج النتائج، والمقارنة بينها، ومعرفة الإحصائيات المئوية في كل محور من محاور استمارات الاستبيان، حيث وجد الباحث صعوبات بالغة، وذلك بسبب عدم تخصصه واقتصار دراسته الماضية على المجالات الشرعية والأدبية (الدينية)، وبعد هذه الدراسة عن الرياضة والأرقام والإحصاء.

(١) ثلاثمائة (٣٠٠) حالة مستهدفة.

هـ - التردد على أساتذة الجامعة كثيرًا للتعاون مع الباحث في إنجاح هذا البحث لاسيما مسألة تحكيم الاستمارة من الأساتذة المحكمين ، ثم استخراج بعض النتائج والدلالات والنسب من

الجداول التي جاءت بها الدراسة، مع عمل مقابلات مع بعض الأساتذة المتخصصين في طرق حل المشكلة.

هذه هي أهم المتاعب والمصاعب التي واجهت الباحث في هذه الدراسة، والتي تم التغلب عليها - بعون الله - ثم بعون الأساتذة الكرام.

ثالثًا: نوع الدراسة:

يتحدد نوع الدراسة على أساس مستوى المعلومات المتوفرة والممكنة لدى الباحث ، وعلى أساس الهدف الرئيس للدراسة، وكذلك حساب طبيعة الموضوع الذي يدرس من حيث الجدوية، أو التعميق وإمكانية التعميم^(١).

ولما كانت الدراسة الحالية تستهدف الوقوف على أثر مشكلة الفقر على القيم والأخلاق في المجتمع المصري، لذا فأنسب أنواع الدراسات التي تتناسب مع طبيعة هذا الموضوع (الدراسة الوصفية).

رابعًا: المنهج المستخدم:

تمشيًا مع نوع الدراسة الحالية، واتساقًا مع أهدافها، فقد استخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة المختارة للدراسة.

خامسًا: أدوات الدراسة:

١ - استمارة مقابلة شبه مقننة للتعرف على أثر مشكلة الفقر على القيم، مطبقة على المستفيدين من لجان الزكاة، والجمعيات الشرعية، والخيرية.

٢ - دليل الخبراء، وآراؤهم حول مواجهة مشكلة الفقر في المجتمع المصري.

(أ) مرحلة إعداد الاستمارة:

في سبيل إعداد هذه الاستمارة، تم الاطلاع على كثير من الدراسات السابقة والتي تناولت مشكلات الفقر في المجتمع المصري بصفة عامة، ومشكلات القيم والأخلاق في مصر بصفة خاصة، وقد مرت هذه الاستمارة بعدة مراحل، واشتملت على عدة محاور، وتميزت بعدة مزايا، أذكر منها ما يلي :-

(١) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة وهبة سنة ١٩٩٠، ص-١٣٣.

١- وضع الاستمارة في صورتها الأولى ، وذلك عن طريق عمل مقابلات مفتوحة مع أساتذة الجامعات ، والمهتمين بالموضوع - محل الدراسة - للتعرف على أهم القضايا التي لا بد وأن تطرح في هذه الاستمارة.

٢- اختيار العينات المستهدفة ، والأحياء التي تنتمي لها هذه العينات .

٣- محاولة الربط بين هذه الدراسة، والإطار النظري الذي سبقها، والدراسات السابقة عليها للوصول إلى نتائج ومعلومات مؤكدة، عن مظاهر وأسباب وآثار مشكلة الفقر على القيم في المجتمع المصري، ومقترحات المستفيدين نحو مواجهة المشكلة.

(ب) مرحلة اختبار صياغة الأداة:

(أ) بعد أن تم إعداد الاستمارة في صورتها المبدئية والتي احتوت على (٥٢) عبارة، وقد روعي في صياغة هذه العبارات عدة اعتبارات من أهمها ما يلي:

١- صياغة العبارات بطريقة سهلة وواضحة .

٢- وضوح ألفاظ كل عبارة بحيث لا تحمل أكثر من معنى .

٣- مراعاة الخلفية المعرفية للعيينة المستهدفة للدراسة.

وقد تم عرض هذه الاستمارة في صورتها المبدئية على مجموعة من أساتذة و خبراء الخدمة الاجتماعية، وكلية الدعوة الإسلامية^(١) وقد بلغ عددهم (١٦) وذلك بهدف قياس الصدق الظاهري للأداة ، والتأكد من ارتباط كل سؤال أو عبارة بالمراد قياسه، وقد أرفق بها كتاب أوضح الباحث فيه عنوان الدراسة، والهدف منها، والمحاور المكونة للاستمارة.

وبناءً على التغذية المرجعية التي استفادها الباحث من آراء المحكمين، تم التعديل في صياغة العبارات ، وكذلك حذف عبارات أخرى، حيث تم الإبقاء على العبارات التي حازت على نسبة ٧٠٪ من آراء المحكمين وأصبحت الاستمارة تحتوى في صورتها النهائية على (٤٥) عبارة موزعة كالتالى :

المحور الأول: والخاص بمظاهر الفقر في المجتمع المصري (١٤) عبارة.

المحور الثانى: أسباب مشكلة الفقر (٨) عبارات.

(١) انظر ملحق رقم (٣) يوضح أسماء السادة المحكمين.

المحور الثالث: الآثار المترتبة لمشكلة الفقر على القيم في المجتمع المصري (١٩) عبارة.
المحور الرابع: مقترحات عينة الدراسة نحو مواجهة مشكلة الفقر في المجتمع المصري (٤)
 عبارات.

وقد تم تطبيق الاستمارة على عينة استطلاعية تنطبق عليها شروط العينة بلغ عددها عشرون مفردة، وذلك للتأكد من سهولة العبارات، ومعرفة زمن الإجابة على الاستمارة.

سادسًا: مجالات الدراسة:

- المجال المكاني. - المجال البشري. - المجال الزمني.
أ-المجال المكاني:

تم تطبيق أداة الدراسة في ثلاث محافظات (القاهرة - والشرقية - وسوهاج) وقد اختيرت هذه المحافظات حتى تمثل الوجه القبلي والبحري والقاهرة وكان اختيار القاهرة على أساس أنها العاصمة التي تمثل معظم شرائح المجتمع المصري ، وتضم أكبر عدد من المواطنين ، وبها الكثير من الأحياء الفقيرة.

وقد تم التطبيق الفعلي لأداة الاستبيان (الاستمارة) في مدينة السلام بالقاهرة، على عينة عشوائية من المستفيدين من لجنة الزكاة التابعة لبنك ناصر الاجتماعي، ومقرها مسجد الرحمن علم القرآن، مساكن القاهرة أولى^(١).

وقد اختيرت محافظة الشرقية، وسوهاج بالطريقه العشوائية البسيطة^(٢) لتمثيل الوجه القبلي، والوجه البحري مع محافظة القاهرة، وقد تم التطبيق الفعلي في مركز أخميم، وساقلة بمحافظة سوهاج^(٣)، وفي مركز بليس بمحافظة الشرقية^(٤).

(١) انظر ملحق رقم (٤) لمعرفة التفاصيل.

(٢) حيث كتبت أسماء المحافظات على قصاصات ورقية، تم اختيار واحدة منها.

(٣) انظر ملحق رقم (٦-٥).

(٤) انظر ملحق رقم (٧).

ب-المجال البشري:

وهم الأفراد الذين تم التطبيق عليهم في المحافظات الثلاث - محل الدراسة - والتي تمثلت في (٣٠٠) ثلاثمائة مفردة لكل محافظه (١٠٠) مائة مفردة.
ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي:-

جدول رقم (١)

م	المحافظات	عدد العينة	النسبة المئوية
١	القاهرة	١٠٠	٣٣.٣
٢	الشرقية	١٠٠	٣٣.٣
٣	سوهاج	١٠٠	٣٣.٤
	المجموع	٣٠٠	١٠٠

بالنظر إلى الجدول السابق يتضح لنا عدد العينة المختارة للدراسة الميدانية وأسماء المحافظات التي تسكنها هذه العينة، والنسبة المئوية لكل محافظة.

١- نوع عينة الدراسة:

هذه الدراسة تستهدف عددًا من المستفيدين من لجان الزكاة والجمعيات الخيرية دون التقييد بنوع خاص عند إجراء المقابلات وتوزيع الاستمارات.

جدول رقم (٢)

يوضح متغير النوع لعينة الدراسة

م	النوع	ك	النسبة المئوية
١	ذكر	٢٤٣	٨١٪
٢	أنثى	٥٧	١٩٪

١٠٠	٣٠٠	الإجمالي	
-----	-----	----------	--

ويلاحظ في الجدول السابق زيادة نسبة الذكور على الإناث وهذا يؤكد وجود مشكلة بطالة عالية لدى الذكور أكثر من الإناث، والجميع لا يجدون أعمالاً تغطي النفقات المطلوبة منهم، ولا يخفى علينا أن المجتمعات الشرقية عموماً والمسلمة خصوصاً بحكم دينها وتراثها وثقافتها تطالب الذكور بالنفقة على الأسرة والأهل أكثر من الإناث.

٢- المراحل العمرية لعينة الدراسة:

أما عن الشرائح المستهدفة في الدراسة، فقد تم تطبيق الدراسة على جميع الشرائح العمرية من أقل من عشرين سنة وحتى فوق الستين.

جدول رقم (٣)

يوضح متغير السن لعينة الدراسة

م	السن	ك	النسبة المئوية
١	من ٢٠ سنة إلى ١٠ سنوات	١٢	٤٪
٢	من ٢٠ سنة إلى أقل من ٣٠ سنة	١٩	٦.٣٪
٣	من ٣٠ إلى أقل من ٤٠ سنة	٥٠	١٦.٧٪
٤	من ٤٠ سنة إلى أقل من ٥٠	٦٤	٢١.٣٪
٥	من ٥٠ إلى أقل من ٦٠	٩٩	٣٣٪
٦	من ٦٠ سنة إلى ٨٠	٥٦	١٨.٧٪
	الإجمالي	٣٠٠	١٠٠٪

الجدول السابق يعبر عن نسب المراحل العمرية التي صوتت على استمارة الاستبيان، ومن خلاله يتضح أن أكبر الشرائح العمرية التي تتلقى إعانات من لجان الزكاة والجمعيات الخيرية هي من بين الـ (٥٠) سنة والـ (٦٠) وهذا يرجع إلى احتياج هذه الشريحة للإعانة، والمساعدة أكثر من غيرها،

وذلك بسبب تقدم السن ووجود الأولاد، وكثرة النفقات لاسيما نفقات زواج الأولاد، وإعداد السكن المناسب لهم.

ثم تأتي في المرتبة الثالثة مرحلة ما فوق الستين (٦٠)، ولا يخفى ما لهذا السن من مطالب تتعلق بالدواء ونوعية الطعام وسبل الراحة.

ثم تأتي في المرتبة الثالثة مرحلة ما بين (٤٠) سنة إلى (٥٠) سنة ولعل ذلك يرجع إلى وجود الأولاد في مراحل التعليم في هذه المرحلة أكثر من غيرها كما يلاحظ أيضاً حضور عدد من الشباب من (٢٠) إلى (٣٠) سنة بين الفقراء، وهذا يؤكد وجود البطالة بين الشباب، وقبول هذا العدد (في هذا السن المبكرة) لتلقي الصدقات والاعتماد في العيش على الإعانات من لجان الزكاة والجمعيات الخيرية في حين أن هذا السن هو سن التدريب على العمل والإنتاج والاعتماد على النفس وفي ذلك دلالة على أثر الفقر على قيم العمل.

٤ - الحالة التعليمية:

جدول رقم (٤)

يوضح الحالة التعليمية لعينة الدراسة

م	الحالة التعليمية	ك	النسبة المئوية
١	أمي	٧٢	٢٤٪
٢	محو أمية	١٣	٤.٣
٣	يقرأ ويكتب	٥٨	١٩.٣
٤	حاصل على إعداديه	١٩	٦.٣
٥	مؤهل متوسط	١٠١	٣٣.٧

٦	مؤهل عال	٣٧	١٢.٤
	الإجمالي	٣٠٠	%١٠٠

بالنظر إلى الجدول السابق يتضح أن أعدادًا كبيرة من الفقراء في مصر لا تقرأ ولا تكتب (أمية)، وهذا يعني أن نسبة الأمية - التي تعد عائقًا من عوائق التنمية في مصر، وسببًا من أسباب انتشار واستمرار الفقر - قد وصلت إلى معدلات كبرى (٢٤٪) في عينة الدراسة فقط، كما أن هناك أعدادًا أخرى أقرب إلى الأمية وإن كانت تقرأ وتكتب أو حاصلة على بعض الشهادات (دون العليا) حيث إنه لا توجد لديهم أى مهارات تقنية يحتاجها سوق العمل الحديث، فلقد سأل الباحث كثيرًا من المستهدفين بالدراسة، عن الدراسات التقنية كالحاسوب، والخبرة في مجالات الإنتاج والتصنيع، وكانت الإجابات متفاوتة بين عدم الخبرة وضعفها.

والغريب أن هذا الأمر - للأسف - ينطبق على المؤهلات العليا التي بلغت نسبتها من بين المبحوثين (١٢.٤) وهذا لا يؤكد أن الفقر يؤثر على القراءة والكتابة فقط، وإنما يؤثر على العلم بوجه عام، وعلوم التقنية الحديثة، وفنون المعرفة بوجه خاص، وهذا يؤكد أن الفقر صار أخطر من كونه مشكلة حيث طال عددًا لا يستهان به من خريج الجامعات، وهذا يؤكد على ضياع كثير من القيم العلمية البدائية منها والمتطورة والمعاصرة.

٥- الحالة الاجتماعية:

جدول رقم (٥)

يوضح الحالة الاجتماعية لعينة الدراسة:

م	الحالة الاجتماعية	ك	النسبة المئوية
١	عزب	٧٠	٢٣.٤

٢	متزوج	١٦٢	%٥٤
٣	مطلق	٢٨	%٩.٣
٤	أرمل	٤٠	%١٣.٣
	الإجمالي	٣٠٠	%١٠٠

وبالنظر إلى الجدول السابق يتبين للباحث أن عددًا كثيرًا من الشباب الأعزب يتلقى الصدقات، ولا يستطيع الزواج بسبب الفقر، هذا ما أكد عليه الشباب وصدقته نسب الاستبيان، حيث بلغت نسبة الشباب الأعزب ممن يتلقون الصدقات (٢٣.٤٪) وهذا يؤكد خطورة الفقر على الشباب في هذه المرحلة التي يتأهبون فيها للعمل ويتأهلون من خلالها لتكوين الأسرة وتحمل المسؤوليات.

كما أن هناك من تزوج وليس له دخل ينفق منه على أهله، حيث بلغ عدد المتزوجين العاجزين عن النفقة في العينات المستهدفة (٥٤٪) أي أكثر من النصف يعاني من الفقر، وفي هذه دلالة قوية وواضحة في بيان خطورة الفقر في مصر، وإذا كان هذا حال من تزوج ولا يستطيع الاستمرار في الحياة مع أهله بدون مساعدات (بسبب الفقر) فهناك من تزوج وفشل في الزواج، إذ تبين للباحث أن عدد حالات الطلاق بلغ (٩.٣٪) في عينة البحث معظمهم من النساء، وهذا يؤكد أن الفقر قد يدفع باتجاه الهروب من المسؤولية، ومن ثم طلب الطلاق من قبل الزوجة، لاسيما عند عجز الزوج عن النفقة الضرورية التي لا غنى عنها، ولا حياة بدونها.

هذه النتيجة التي يوضحها الجدول (٤) تؤكد خطورة الفقر على القيم في المجتمع المصري، وعلى وجه الخصوص القيم الاجتماعية: كالتكافل، والتعاون بين الأقارب والجيران، حيث لم يجد هؤلاء ما يكفيهم عند ذويهم الأقربين فلجأوا إلى لجان الزكاة والجمعيات الخيرية حتى يتمكنوا من الحصول على النفقة لهم ولأولادهم، فكثير من المطلقات يذكرن أن لهن أطفالاً لا ينفق عليهم آبائهم، بسبب البطالة، وقلة مستوى الدخل، قياسًا مع متطلبات الحياة، وغلاء الأسعار حيث يصرح معظم المبحوثين بذلك.

٦- عدد أبناء عينة الدراسة:

جدول رقم (٦)
يوضح عدد الأبناء لعينة الدراسة:

م	النوع	ك
١	ذكر	٦١٠
٢	أنثى	٥٧٣
	الإجمالي	١١٨٣

الجدول السابق يبين عدد الذكور من أبناء المستفيدين من لجان الزكاة إذ بلغ (٦١٠) من مجموع (١١٨٣) بزيادة ملحوظة عن عدد الإناث إذ بلغ (٥٧٣) أي بفارق (٣٧) حالة، وبالنظر إلى المتوسط الحسابي (١١٨٣) العدد الإجمالي على (٣٠٠) مجموع حالات الدراسة، نرى أن متوسط ما تكفله كل أسرة من عينة الدراسة (٤) أطفال تقريباً، وهذا يدل أن هناك آلاف من الأطفال في مصر تعاني من ويلات الفقر.

٧- الحالة المهنية :

جدول رقم (٧)
يوضح الحالة المهنية لعينة الدراسة

م	الحالة المهنية	ك	النسبة المئوية
١	أعمل	١٢٠	٪٤٠
٢	لا أعمل	١٨٠	٪٦٠
	الإجمالي	٣٠٠	٪١٠٠

من خلال النظر في الجدول السابق يتأكد أن (٦٠٪) من هذه الأسرة لا تعمل - أي: هي في بطالة وأنها تعتمد اعتماداً كاملاً على الصدقات والإعانات -، وأن (٤٠٪) لها أعمال لا تفي ولا تكفي للاحتياجات الأولية الضرورية اللازمة لاستمرار الحياة فهي تعمل بأجور متدنية للغاية تتراوح ما بين (٢٠٠ جنيهاً) إلى (٨٠٠ جنيهاً)، وهذا يؤكد للباحث أن ما يشاع عن الأسر المنتجة والتطور النوعي في الإنتاج الأسري والمشاريع الصغيرة لا يرقى إلى المستوى المطلوب لسد حاجة الفقراء، بل لا وجود له - في الغالب الأعم - على أرض الواقع.

نوع العمل:

جدول رقم (٨)

يوضح نوع العمل لعينة الدراسة

م	نوع العمل	ك	الترتيب
١	عامل	٦٧	الأول
٢	موظف	٣٥	الثاني
٣	تاجر	٥	الرابع
٤	أعمال أخرى	١٣	الثالث

يتضح لنا من هذا الجدول أن النسبة الكبرى من الذين يعملون هم عمال على الدرجة السادسة والخامسة في درجات السلم الوظيفي وأن (٦٧٪) منهم يعمل في أعمال غير ثابتة، فهو مهدد بالطرد منها في أي وقت كما أكد الباحثين، بينما من يعملون في وظائف ثابتة هم (٣٥٪)، ولا يوجد تمثيل كبير للتجار، ولا تخفى أهمية التجارة في التنمية ومكافحة الفقر والبطالة.

ولعل قلة عدد الموظفين بين الفقراء التي أثبتتها هذه الإحصائيات ترجع إلى انهيار قيم كثيرة تتعلق بالعدالة في توزيع الثروات وفرص العمل وثبتت العمالة الحكومية والخاصة (هذا بالنسبة للوظائف).

أما ما يتعلق بضعف التجارة، فهذا يرجع إلى حزمة من القوانين المتعلقة بالاستثمار في مصر والتي ضيقت على الفقراء كثيرًا لصالح المستثمرين الكبار ومنها الخبرة ورأس المال، والفقراء لا يملكون شيئًا يذكر من هذه الأشياء كما صرحوا بذلك للباحث.

٨- ظروف السكن : جدول رقم (٩)
يوضح ظروف السكن لعينة الدراسة

م	ظروف السكن	ك	النسبة المئوية
١	سكن مستقل	٢٣٧	٧٩
٢	مشترك مع أهل الزوج والزوجة	٢٥	٨.٤
٣	سكن مشترك مع آخرين	٣٨	١٢.٦
	الإجمالي	٣٠٠	٪١٠٠

هذا الجدول يوضح لنا ظروف السكن الذي يعيش فيه هؤلاء الفقراء، ومعلوم أن السكن من أخطر وأهم ضروريات الحياة، والدراسة توضح أنه يوجد (١٢.٦) يسكنون سكنًا مشتركًا (مع آخرين) بينما يوجد (٨.٤) يسكنون مع أهل الزوج أو أهل الزوجة، وهؤلاء وهؤلاء يمثلون نسبته (٢١٪) يمكن أن نقول إنهم (لا يملكون سكنًا أصلاً)، بل ويحتاجون إلى سكن أو إيواء عاجل.

٩- نوع السكن :

جدول رقم (١٠)
يوضح نوع السكن لعينة الدراسة

م	نوع السكن	ك	النسبة المئوية
١	تمليك	٢٢٣	٧٤.٣
٢	إيجار	٧٧	٢٥.٧
	الإجمالي	٣٠٠	

يوضح الجدول السابق أن النسبة التي لها سكن مستقل (منهم عدد ٢٥.٧٪) يسكنون بالإيجار، أي: يضيف إيجار السكن لهم عبئاً آخر، يحملون همه كما يحملون هم المعيشة، فهم أشد فقراً واحتياجاً ممن يسكنون مع غيرهم.

أما من يملكون مساكن خاصة وعددهم (٧٤.٣٪) يسكنون في مساكن منها ما هو بسيط للغاية، ولا يصلح للحياة الآدمية، كالأكواخ الريفية التي تخلو غالباً من المرافق، والخدمات، والصرف الصحي، ومنها ما هو متواضع أنشأته الدولة بطريقة اقتصادية كما هو الحال في مدينة السلام بالقاهرة، حيث استلمها الفقراء من المحافظة بأقساط شهرية تسدد للمحافظة، ولقد علم الباحث أن كثيراً ممن يسكنون هذه المساكن تراكم عليهم الأقساط سنوات عديدة لعجزهم عن السداد، هذا ما أكد عليه أصحاب هذه المساكن والقائمون على لجان الزكاة والجمعيات الخيرية التي تساعدكم وكذلك موظفو مكتب الإسكان.

ج-المجال الزمني للدراسة:

استغرقت الدراسة الميدانية عاماً كاملاً ابتداءً من ١/١٠/٢٠١٠ إلى ٥/١٠/٢٠١١.

سابعاً: الأساليب الإحصائية المستخدمة:

تم استخدام المعاملات الإحصائية التالية:

- النسبة المئوية لاستجابات الدراسة على عبارات الاستمارة.
- المتوسطات الحسابية لدرجات عينة الدراسة.
- كأ٢ لقياس دلالات الفروق بين استجابات عينة الدراسة.

الفصل السادس

تحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية

أولاً: تحليل وتفسير استجابات عينة الدراسة من المستفيدين من لجان الزكاة والجمعيات الخيرية والشرعية.

١- تحليل وتفسير النتائج الدالة على مظاهر مشكلة الفقر في مصر.

٢- تحليل وتفسير النتائج الدالة على أسباب مشكلة الفقر.

٣- تحليل وتفسير النتائج الدالة على آثار مشكلة الفقر.

٤- تحليل وتفسير النتائج الدالة على مقترحات عينة الدراسة نحو مواجهة المشكلة.

ثانياً: مقارنة مختصرة بين نتائج الاستبيان في المحافظات الثلاثة محل الدراسة.

ثالثاً: مقابلات مفتوحة مع بعض الأسر الفقيرة في المجتمع المصري.

رابعاً: الملاحظة والاستخبار ورصد السلوك اليومي.

خامساً: مقابلات مع بعض الخبراء والأساتذة المختصين في طرق حل المشكلة.

سادسًا: النتائج العامة للدراسة الميدانية.

١- تحليل وتفسير استجابات عينة الدراسة على الاستمارة المطبقة على المستفيدين من لجان الزكاة والجمعيات الخيرية والشرعية للتعرف على مظاهر الفقر في المجتمع المصري.

جدول رقم (١١)

يوضح بالترتيب أهم مظاهر مشكلة الفقر في المجتمع المصري

م	العبارة	الاستجابات		
		العدد	النسبة المئوية	الدالة
١	انتشار البطالة	٣٠٠	٪١٠٠	دالة
٢	انتشار العشوائيات	٢٩٦	٪٩٨.٦	دالة
٣	انتشار الحقد والحسد بين الناس	٢٧٨	٪٩٢.٦	دالة
٤	انتشار الرشوة والمحسوبية	٢٧١	٪٩٠.٣	دالة
٥	انتشار مشكلات التفكك الأسري	٢٧٠	٪٩٠	دالة
٦	انتشار عمالة الاطفال	٢٦٨	٪٨٩.٣	دالة
٧	انتشار الأمراض	٢٦٣	٪٨٧.٦	دالة
٨	انتشار مشكلات السرقة	٢٤٨	٪٨٢.٦	دالة
٩	انتشار مشكلات الانحراف الأخلاقي	١٦٦	٪٥٥.٣	دالة
١٠	انحراف الأحداث	١٤٦	٪٤٨.٦	غير دالة
١١	انتشار مشكلات الخلع والطلاق	١٤٠	٪٤٦.٦	غير دالة
١٢	انتشار ظاهرة أطفال الشوارع	١٣٧	٪٤٥.٦	غير دالة
١٣	انتشار مشكلة الإدمان	٨٢	٪٢٧.٣	غير دالة
١٤	انتشار ظاهرة الانتحار	٣٨	٪١٢.٦	غير دالة

المتأمل في الجدول السابق يرى بوضوح النتائج الدالة على أهم مظاهر الفقر، والتي لم تقف عند حد الظاهرة، بل تطورت وتنوعت حتى صارت مشكلة فاعبارة رقم (١) (انتشار البطالة) تأتي في المرتبة الأولى للدلالة على أخطر مظاهر الفقر إذ بلغ التصويت الإيجابي عليها بنسبة ١٠٠٪ في المحافظات الثلاث - محل الدراسة - وهذا يدل دلالة واضحة على خطورة البطالة وقيم العمل والإنتاج.

تليها عبارة رقم (٢) (انتشار العشوائيات) إذ بلغ التصويت الإيجابي عنها بنسبة (٩٨.٦٪) في المحافظات الثلاث، وهذا يؤكد ويدل أيضاً على أن مشكلتي (البطالة - والعشوائيات) هما من أخطر مظاهر الفقر بل هما أخطر المظاهر على الإطلاق.

وتدل العبارة الثالثة (انتشار الحقد والحسد بين الناس) على وجود علاقة بين الفقر والقيم في المجتمع المصري، إذ بلغت نسبة التصويت الإيجابي عليها (٩٢.٦٪)، فوجود الفقر يعنى وجود الحقد والحسد بين الفقراء والأغنياء، لاسيما في ظل القوانين القائمة الآن في مصر، وبخل كثير من الأغنياء على الفقراء بعدم التعاون أو إخراج الزكاة ... والاحتكار ... والاستغلال ... كما تقول عينة الدراسة.

أما العبارة الرابعة (انتشار الرشوة والمحسوبية) فقد جاءت نسبة التصويت الإيجابي عليها (٩٠.٣٪) وهذا يدل على خطورة هذه الصفات الذميمة التي تغلغلت في المجتمع المسلم حتى صارت قاعدة سلوكية لا تقضي المصالح ولا تسير الأمور إلا بها، وهذا يدل أيضاً على التهديد الصارخ لقيم العدالة وفرص العمل.

وبالنظر إلى العبارة الخامسة (انتشار مشكلات التفكك الأسري) نجد أن نسبة التصويت الإيجابي عليها (٩٠٪) وقد سبقت الإشارة في الجدول رقم (٤) أن عدد المطلقات في العينة المختارة للدراسة بلغ (٩٪) وهذا يؤكد خطورة الفقر على الترابط الأسري ومن ثم على الحياة الاجتماعية وقيم التعاون والتكافل والبر.

أما العبارة السادسة (انتشار عمالة الأطفال) والتي بلغ التصويت الإيجابي عليها بنسبة (٨٩.٣٪) فهي تدل دلالة واضحة على النسب المرتفعة في عمالة الأطفال، وقد سبقت الإشارة - في البحث النظري - عن المخاطر والمضار النفسية والمعنوية الناجمة عن عمالة الأطفال بما يغني عن إعادته هنا^(١). ومن العبارة السابعة (انتشار الأمراض) وحتى العبارة التاسعة (انتشار مشكلات الانحراف) تم التصويت عليها بنسب إيجابية وكبيرة، وإن تفاوتت هذه النسب بين (٥٥٪) و (٨٧.٦٪) إلا إنها اتفقت على كونها مظاهر واضحة من مظاهر الفقر في المجتمع المصري. وبالنظر إلى العبارة العاشرة (انحراف الأحداث) والعبارات التي تليها حتى العبارة الثانية عشر (انتشار ظاهرة أطفال الشوارع) نرى أنها أتت بدلالات دون مستوى الدلالات السابقة إذ تفاوتت النسب ما بين (٤٨.٦٪) و (٤٥.٦٪) إلا إنها تدل على وجود هذه المظاهر في مصر، وأنها بلغت نسب لافتة للنظر.

وتأتي العبارتان (انتشار مشكلة الإدمان) و (انتشار ظاهرة الانتحار) في مؤخرة مظاهر الفقر، حيث بلغت نسبة الاستفتاء في الأولى (٢٧.٣٪) وفي الثانية (١٢.٦٪) وهذا وإن كان يدل على أن شباب مصر بخير، وأن الفقر لا يدفع بقوة إلى الإدمان والانتحار - وهذا صحيح - ولكن لا يمنع أن يكون الفقر عاملاً مساعداً ولو بنسب ملحوظة كما تدل الدراسة.

* * *

٢- تحليل وتفسير استجابات عينة الدراسة حول التعرف على الأسباب المؤدية إلى مشكلة الفقر في مصر:

جدول رقم (١٢)
يوضح أسباب مشكلة الفقر في المجتمع المصري

م	العبارة	الاستجابة						درجة التحقيق	كأ مستوى الدلالة
		نعم		إلى حد ما		لا			
		ك	%	ك	%	ك	%		
١	قلة موارد الدولة	١٠٧	٣٥.٧	٦٧	٢٢.٣	١٢٦	٤٢	١.٩	١٨.٤ غير دالة
٢	الجهل والأمية	١٨٠	٦٠	٩٠	٣٠	٣٠	١٠	٢.٥	١١٤ دالة
٣	التفاوت في العدالة الاجتماعية	٢٧٦	٩٢	٢٤	٨	صفر	صفر	٢.٩	٤١٧.٥٢ دالة
٤	قلة الاهتمام بقيمة العمل والإنتاج	٢٣٥	٧٨.٤	٤٨	١٦	١٧	٥.٦	٢.٧	٢٧٨.١٨ دالة
٥	السلبية والانتكالية على الغير	٢٤٣	٨١	٢٢	٧.٣	٣٥	١١.٧	٢.٧	٣٠٧.٥٨ دالة
٦	التفكك الأسرى وما ينتج عنه من مشكلات	١٨٤	٦١.٣	٧٥	٢٥	٤١	١٣.٧	٢.٥	١١١.٦٢ دالة
٧	الاستيراد والخضوع للغير	١٦٢	٥٤	١٠٩	٣٦.٣	٢٩	٩.٧	٢.٤	٨٩.٦٦

دالة									
٣٣٩.٥	٢.٨	٥	١٥	١١.٧	٣٥	٨٣.٣	٢٥٠	البطالة وقلة فرص العمل	٨
دالة									

بالنظر إلى الجدول السابق يتضح مايلي :-

العبارة رقم (١) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة حيث رأى ٣٥.٧٪ من إجمالي عينة الدراسة بالمحافظات الثلاث ٣/٣٠٠ في حين أن الأغلبية ترى أن أسباب مشكلة الفقر في مصر ليست طبيعية بقلة الموارد و شح الثروات، إذ بلغ عدد من يرون أن الثروات والموارد في مصر كافية لإقامة تنمية شاملة أكثر من ثلثي عينة البحث في حين أن من قالوا (نعم الموارد في مصر غير كافية) هم ثلث العينة وهذا يعني أن كثيرًا من المصريين يعلم أن بلاده بها من الموارد والثروات ما يكفي لحل المشكلة.

وبالنظر إلى العبارة رقم (٢) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة، حيث يرى أكثر من ٦٠٪ أن الجهلة والأمية سببًا من أسباب مشكلة الفقر في مصر. أما العبارة رقم (٣) (التفاوت في العدالة الاجتماعية سببًا من أسباب مشكلة الفقر) هذه العبارة أتت بدلالة عالية ومميزة، إذ جاءت في الترتيب الأول من بين العبارات الأخرى حيث بلغت نسبة التصويت عليها بـ(نعم) (٩٢٪)، وبـ(لا) (صفر)، في حين أن من قالوا (إلى حد ما) (٨٪)، وهذا يؤكد أيضًا أن التفاوت الاجتماعي في الدخل ومستوى المعيشة يسبب الفقر، ويضر بقيم العدالة الاجتماعية، والتكافل بين أبناء الأمة.

إن هذه العبارة السابقة من أخطر العبارات دلالة، بل أخطرهما على الإطلاق، إذ توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة، حيث بلغ مستوى الدلالة عليها (٤١٧.٥٢) تليها في المرتبة العبارة رقم (٤) (قلة الاهتمام بالعمل والإنتاج)، وهذا يدل دلالة واضحة على خطورة هذين السببين وارتباطهما بالمشكلة أكثر من غيرهما؛ لأن العدالة الاجتماعية والعمل هما أساس السخاء والرخاء، وإهمالهما نذير الشؤم والفقر والظلم، وبالنظر إلى النسب السابقة في الجدول السابق نجد أن من قالوا (نعم) - قلة الاهتمام بقيمة العمل والإنتاج سببًا من أسباب الفقر- بلغ عددهم (٢٣٥) من (٣٠٠) أي بما يساوي (٧٨.٤٪)، ومن قالوا (إلى حد ما)

(٤٨) أي ما يعادل (١٦٪) في حين أن من قالوا (لا) (٥.٦٪)، وهذا يؤكد خطورة إهمال العمل والإنتاج في مصر.

العبارة رقم (٥) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة حيث جاءت نسبة التصويت عليها تدل دلالة واضحة على وجود علاقة سلبية بين الفقر، وبين الكسل، والتسول، والافتكالك على الغير في الحصول على متطلبات الحياة، إذ بلغ عدد من صوت بالإيجاب على هذه العبارة (٨١٪)، في حين أن من قال (لا أو إلى حد ما) (١٩٪).

العبارة رقم (٦) (التفكك الأسري وما ينتج عنه من مشكلات سبب من أسباب الفقر) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة، إذ بلغت نسبة التصويت عليه بـ(نعم) (٦١.٣٪)، في حين أن من يرون أن الفقر لا يهدد الأسرة بلغ عددهم (١٣.٧٪)، ومن قالوا (إلى حد ما) (٢٥٪)، وهذا يعني أن نسبة الدلالة الإيجابية (٧٤٪).

وبالنظر إلى العبارة رقم (٧) (الاستيراد والخضوع للغير سبب من أسباب الفقر)، توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة حيث صوت بـ(نعم) على هذه العبارة (٥٤٪)، (إلى حد ما) (٣٦.٣٪)، في حين أن من صوتوا بـ(لا) (٩.٧٪)، مع الأخذ في الاعتبار أن من أدلوا بأصواتهم معظمهم أميون، وهذه العبارة تحتاج من الثقافة والوعي السياسي الكثير والكثير، ومع هذا جاءت الدلالة عليها بالإيجاب مرتفعة.

وبالنظر إلى العبارة رقم (٨) (البطالة وقلة فرص العمل سبب من أسباب الفقر)، توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة حيث بلغ عدد من قالوا (نعم) (٢٥٠) من (٣٠٠) أي ما يساوي (٨٣.٣٪)، في حين أن من قالوا (لا) (٥٪).

خلاصة ما تقدم:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين استجابات عينة الدراسة في جميع العبارات في الجدول السابق عدا العبارة رقم (١) أي: من العبارة رقم (٢)، وحتى العبارة الأخيرة، وهذا يؤكد وجود علاقه مؤكده بين مشكلة الفقر وبين أسبابها فهي تزداد بازدياد هذه الأسباب، وتبقى ببقائها، وتزول بزوالها.

٣- تحليل وتفسير نتائج استجابات عينة الدراسة حول التعرف على آثار مشكلة الفقر في مصر:

جدول رقم (١٣)

يوضح آثار مشكلة الفقر على المجتمع المصري

م	العبارة	الاستجابة						درجة التحقيق	كأ ومستوى الدلالة
		نعم		إلى حد ما		لا			
		ك	%	ك	%	ك	%		
١	لمشكلة الفقر تأثير على سوء الظن بالله	٧١	٢٣.٧	٦٢	٢٠.٧	١٦٧	٥٥.٦	١.٦٨	٦٧.٧٤ غير دالة
٢	يستعد الفرد لقبول الأفكار الهدامة بدافع الفقر	٨٤	٢٨	٩٥	٣١.٧	١٢١	٤٠.٣	١.٨٧	٧.٢٢ غير دالة
٣	يتبنى الفرد المذاهب الالحادية بسبب الفقر	٨٦	٢٨.٧	٨٧	٢٩	١٢٧	٤٢.٣	١.٨٦	١٠.٩٤ غير دالة
٤	يؤدى الفقر إلى ضعف الإيمان بالله	٦٤	٢١.٣	٥٦	١٨.٧	١٨٠	٦٠	١.٦١	٩٦.٣٢ غير دالة
٥	يفقد الإنسان ثقته بالله تعالى بسبب الفقر	٧٢	٢٤	٦١	٢٠.٣	١٦٧	٥٥.٧	١.٦٨	٦٧.٩٤ غير دالة
٦	ضعف دور الوالدين بسبب الخروج المستمر لكسب العيش	٢١٥	٧١.٧	٧٠	٢٣.٣	١٥	٥	٢.٦٦	٢١٣.٥٠ دالة
٧	تزداد عملية عدم القدرة على التفكير والإبداع بازدياد مشكلات الفقر	١٣٣	٤٤.٣	١١٠	٣٦.٧	٥٧	١٩	٢.٢٥	٣٠.٣٨ دالة
٨	تنتشر الخلافات والنزاعات بين الناس بسبب الفقر	٢٥٧	٨٥.٧	٣٣	١١	١٠	٣.٣	٢.٨٢	٣٧٢.٣٨ دالة
٩	يفقد الإنسان ثقته بنفسه و الآخرين بسبب الفقر	٢٠٨	٦٩.٣	٧٣	٢٤.٣	١٩	٦.٤	٢.٦٣	١٨٩.٥٤ دالة
١٠	عزوف الشباب عن الزواج بسبب الفقر	٢٢٢	٧٤	٧٤	٢٤.٧	٤	١.٣	٢.٧٢	٢٤٧.٧٦

دالة									
٢٦٠.٦ دالة	٢.٦٩	٧.٧	٢٣	١٥.٣	٤٦	٧٧	٢٣١	عزوف الشباب عن الزواج يؤدي لمشكلات الانحراف	١١
٩١.٢٢ دالة	٢.٤٤	١٤.٧	٤٤	٢٧	٨١	٥٨.٣	١٧٥	ازدياد التحرش الجنسي بسبب الفقر	١٢
٥٢.٨٢ دالة	٢.٣١	١٣.٧	٤١	٤١.٣	١٢٤	٤٥	١٣٥	هروب الفرد من تحمل المسؤولية	١٣
١٠٧.٥٤ دالة	٢.٤٦	١٤.٧	٤٤	٢٤.٣	٧٣	٦١	١٨٣	ازدياد معدلات الجريمة في مصر بسبب الفقر	١٤
١٦٣.٤٠ دالة	٢.١٨	٢٢.٧	٦٨	٣٦.٣	١٠٩	٤١	١٢٣	الاستغناء عن القيم الحميدة لدى المجتمع المصري	١٥
١٠٦.٥٨ دالة	٢.٤٧	١٢.٣	٣٧	٢٧.٧	٨٣	٦٠	١٨٠	إهمال قيم التسامح في المعاملات بين الناس	١٦
١١٠.٩٤ دالة	٢.٤٨	١٣	٣٩	٢٦	٧٨	٦١	١٨٣	يؤثر الفقر على تكوين علاقة طيبة بين الافراد	١٧
٤٩.٥٢ دالة	٢.٣٢	١٥.٣	٤٦	٣٦.٧	١١٠	٤٨	١٤٤	يؤثر الفقر في الشعور بالانتماء للوطن	١٨
١١٦.٧٨ دالة	٢.٤٩	٥	١٥	٤٠.٧	١٢٢	٥٤.٣	١٦٣	يؤثر الفقر على قيمة التعاون بين الناس	١٩

بالنظر إلى الجدول السابق يتضح الآتي :-

العبارة رقم (١) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية حيث رأى ٥٥.٦ من إجمالي عينة الدراسة أنه ليس لمشكلة الفقر تأثير على سوء الظن بالله، وهذا يؤكد أن العقيدة الإيمانية هي أعلى ما يملك الإنسان المسلم، إذ قلما يفرط المرء في عقيدته ودينه بسهولة، أو تحت أي ضغط، وفي أي ظرف، ومع

هذا فإن هناك نسبة تقول (نعم يؤثر الفقر على سوء الظن بالله تعالى)، ونسبة أخرى تقول (إلى حد ما) ومجموع هاتين النسبتين (١٣٣) من إجمالي (٣٠٠) أى ما يساوى (٤٤.٣٪) هذه النسبة وإن كانت بالمقاييس العلمية غير دالة؛ لأنها تقل عن (٥٠٪) إلا إنها خطيرة وخطورتها تكمن في كونها تتعلق بالعقيدة والإيمان وحسن الظن بالله - تعالى -؛ لأن مسألة العقيدة لا تقاس بالنسب والأعداد التي تقاس بها القيم الإنسانية الأخرى، إذ ليس بالضرورة أن يكون تأثير الفقر (سلبيًا) على الإيمان بالله - تعالى - بنفس المستوى الذى وصلت إليه القيم الأخرى كالتعاون، والتسامح، والتكافل إلخ، هذا أمر يجب أن يوضع في الاعتبار؛ لأن حساسية هذه المسألة وخطورتها على كيان الإنسان ومدى استقامته وصلاحه، تجعل المسلم يهتز ويرتجف عندما يعلم أن أكثر من (٤٤٪) يقولون : إن للفقر أثرًا مباشرًا أو غير مباشر على سوء الظن بالله تعالى .

وما يقال في العبارة الأولى في الجدول السابق يقال في العبارات الأربعة التي تليها (من باب أولى)؛ لأنه من العبارة رقم (٢) إلى العبارة رقم (٥) - هذه العبارات الخمس - كلها تدور حول معانى الإيمان بالله والثقة به واتباع هديه والبعد عما سواه سبحانه لاسيما الأفكار الهدامة والمذاهب الإلحادية، ولذا جاءت النتيجة بشأن هذه العبارات شبه متقاربة، وإن كان هناك تفاوت يتراوح بين (٢١.٣٪) و (٢٨.٧٪) لمن قال (نعم) و (١٨.٧٪) و (٣١.٧٪) لمن قال: (إلى حد ما) إلا إنها أجمعت على تأثير الفقر على القيم الإيمانية، وفي ذلك دلالة متواترة بالعبارات المتعددة على هذا المعنى (خطورة الفقر على العقيدة).

وبالنظر إلى العبارة رقم (٦) في الجدول السابق، توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث بلغت نسبة من قالوا (نعم) (٧١.٧٪) ومن قالوا (إلى حد ما) (٢٣.٣٪)، في حين أن من قالوا : (لا) لا يتجاوز عددهم (٥٪)، وهذا يبين لنا أن مشكلة الفقر لها آثار سيئة على دور الوالدين في تربية الأولاد تربية حسنة على الفضيلة، والقيم الحميدة، وذلك بسبب الانشغال بالعمل، والخروج المستمر لكسب العيش ، فلقد دلت العبارة السابقة دلالة قاطعة على ذلك.

وبالنظر إلى العبارة رقم (١٠) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث بلغ عدد من يقولون (نعم) (٧٤٪) (إن عزوف الشباب عن الزوج أثر من آثار الفقر)، و(٢٤.٧٪) يقولون: (إلى حد ما)، ومن قال (لا) (١.٣٪) هذه النتيجة تدل دلالة واضحة على أثر الفقر على الحياة الاجتماعية، فهو يحول دون استمرار الحياة الطبيعية في البيوت لاسيما العلاقة بين الآباء والأبناء، وما يترتب عليها من واجبات وفرائض تصل إلى حد فروض العين، إذ كيف تقوم أسر على الفضيلة في ظل هذا الفقر المدقع؟

وبالنظر إلى العبارة رقم (١١) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث يتبين لنا أن عزوف الشباب عن الزواج يدفع إلى انحرافات ومشكلات، إذ بلغت نسبة المصوتين بـ (نعم) (٧٧٪) ومن يقولون (إلى حد ما) (١٥.٣٪)، في حين أن (٧.٧٪) فقط هي التي ترى أن الفقر المؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج لا يدفع إلى الانحراف، وهذا يدل على وجود علاقة سلبية بين الفقر وبين الانحراف المؤدي إلى مهاوي الرذائل وضياع أجمل القيم الإنسانية، والمعاني الاجتماعية من زواج وسكينة وإنجاب وأمل في الحياة، وبالنظر إلى العبارة رقم (١٢) (ازدياد التحرش الجنسي بسبب الفقر) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث بلغت نسبة من قالوا (نعم) (٥٨.٣٪)، (وإلى حد ما) (٢٧٪)، و(لا) (١٤.٧٪) وهي تؤكد نتيجة العبارة السابقة، وفي كليهما دليل على تهديد الفقر لقيم الأسرة والمجتمع واستبدالها - عند البعض - بالفساد والانحراف.

وبالنظر إلى العبارة رقم (١٣) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث يتضح بجلاء أثر الفقر على القيام بالواجبات والفروض العينية، إذ بلغت نسبة التصويت بـ (نعم) على هذه الجملة (هروب الفرد من تحميل المسؤولية) (٤٥٪) (وإلى حد ما) (٤١.٣٪) في حين أن من قال: (لا) (١٣.٧٪) وفي هذه النتيجة دلالة إيجابية أيضاً بنسبة (٦٥.٢٪).

وهذا يؤكد للباحث أن الفقر يؤثر سلباً على تكوين الأسرة، وعلى استمرار استقرارها، وعلى تربية الأولاد تربية حسنة، وعلى التكافل الاجتماعي بين الأقارب والقيام بالمسؤوليات، وهذه مفسد ومخاطر تهدد المجتمع المصري، وتدق ناقوس الخطر للبحث عن حلول.

وبالنظر إلى العبارة رقم (١٤) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث نجد نسبة التصويت في الإجابة على سؤال (ازدياد معدل الجريمة بسبب الفقر) (٧٩.٣٪) في حين أن من أجاب (بلا) (١٤.٧٪) فقط أي نسبة قليلة هي التي ترى أن الفقر لا يدفع إلى الجريمة، في حين أن الغالبية العظمى ترى عكس ذلك.

وبالنظر إلى العبارة رقم (١٥) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث بلغ عدد من قالوا (نعم) عن هذه العبارة (الفقر يؤدي إلى الاستغناء عن القيم الحميدة) (٥٩.٥٪)، في حين أن من قال: (لا) (٢٢.٧٪)؛ لأن بعض الفقراء - بدافع الفقر وتحت وطأته - يجد المبرر والزريعة في عدم التقيد أو التمسك ببعض القيم الحميدة لاسيما لو كان الفقر شديداً، والفقير لاحظ له في علم أو دين أو مروءة وما يقال في هذه العبارة، يقال - أيضاً - في العبارة رقم (١٦) والعبارة رقم (١٧) والعبارة رقم (١٩) إذ كلها تتدرج تحت مفاهيم القيم الحميدة، إذ كيف يتعاون إنسان يفقد ثقته بنفسه والآخرين (فاقد الشيء لا يعطيه قد ضل من العميان تهديه)، كما تدل على ذلك العبارة رقم (٩) إذ بلغت نسبة التصويت بـ(نعم): بها (٦٩.٣٪) وهذا حق، إذ كيف يتعاون من لا يملك أدوات التعاون إنه - أي الفقير - لا يملك غالباً ما يتعاون به، لا يملك المال الذي هو عصب الحياة، وربما لا يملك نفسه وهو مشغول دائماً بهوم المعيشة وضروريات الحياة، وهذا أيضاً ما تؤكد عليه العبارة رقم (٧) التي تقول (تزداد عملية عدم القدرة على التفكير والإبداع بازدياد مشكلة الفقر)، إذ بلغت نسبة التصويت عليها بـ(نعم) (٤٤.٣٪) و(إلى حد ما) (٣٦.٧٪) بدلالة تساوي (٦٤.٤٪).

كذلك الحال بالنسبة للعبارة رقم (١٧) (يؤثر الفقر على تكوين علاقة طيبة بين الأفراد) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث بلغت نسبة التصويت عليها بـ(نعم) (٦١٪)، و(إلى حد ما) (٢٦٪) في حين أن من قالوا (لا) (١٧٪) فقط. ولم يقف الفقر عند مستوى تهديد العلاقة الطيبة بين الناس بل ربما تعداها أحياناً إلى انتشار الخلافات والنزاعات في العلاقات والمعاملات بين البشر، وهذا ما تؤكد عليه العبارة رقم (٨)، إذ بلغت نسبة التصويت عليها بـ(نعم) (٨٥.٧٪).

وخلاصة النتائج السابقة: أن آثار الفقر واضحة على القيم الإنسانية - في الغالب الأعم - كما جاءت بها النسب المذكورة في الجدول السابق، فهي متفاوتة حسب وجهات النظر وحسب دلالات الجمل والعبارات.

العبارة رقم (١٨) في الجدول السابق (أثر الفقر في الشعور بالانتماء للوطن) توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠١ بين عينة الدراسة حيث بلغت نسبة التصويت بـ (نعم) (٤٨٪) وإلى (حدا ما) (٣٦.٧٪) في حين أن من قالوا (لا) (١٥.٣٪)، وهذا يؤكد أن قرابة ثلثي الفقراء يرون أن الفقر - لاسميا - الفقر الذي تسببه الدولة - يؤثر في الشعور بالانتماء لهذه الدولة والولاء لها، سواء أكان هذا الولاء يعني الحب للنظام القائم أو الدفاع عن الوطن .

وإذا كان الفقر يؤثر سلباً على شعور المرء بالولاء للوطن والانتماء له، فهذا يعني أن هذا المرء هو مستعد لأن يعطى ولاءه وانتباهه لغير وطنه، فهو يعيش في الوطن يجسده، أما روحه وشعوره متعلق بمن يطعمه ويقدم له العون والمساعدة، وهذا أمر خطير، لا تخفى خطورته ولا دلالته على العقلاء فضلاً عن العلماء وأهل الحل والعقد.

إن عدد (١٤٤) من (٣٠٠) يقولون: (نعم) يؤثر الفقر على الشعور بالانتماء للوطن، أي قرابة نصف من سُئلوا عن هذه المسألة يقطعون دون تردد أو تحفظ في الإجابة بـ (نعم) في حين أن عدد (١١٠) يقولون: (إلى حد ما) يؤثر الفقر في الشعور بالانتماء للوطن، وعدد (٤٦٪) فقط هم الذين يقولون: (لا)، وإذا كانت هذه الدلالة بهذه الصورة من الوضوح والبيان، في تهديد الفقر للكيان القائم للدولة والنظام الذي يحكمها، فلا عجب إذن أن يؤثر الفقر على الفرد والمجتمع في أمنه واستقراره .

٤- تحليل وتفسير النتائج الدالة على استجابات ومقترحات عينة الدراسة نحو مواجهة المشكلة:

جدول رقم (١٤)

يوضح استجابات عينة الدراسة نحو مواجهة مشكلة الفقر في مصر:

م	العبارات	الاستجابة					
		نعم		إلى حد ما		لا	
		ك	%	ك	%	ك	%
١	هل إخراج الزكاة يكفى لحل المشكلة؟	١٩٥	٦٥	٥٤	١٨	٥١	١٧
٢	هل تقوم المؤسسات الخيرية بتوفير المساعدات الكافية للناس؟	٣٦	١٢	٨١	٢٧	١٨٣	٦١
٣	هل بسبب أنها غير كافية تدفع الفرد للارتكاب المشكلات السلوكية.	٥٧	١٩	٢١	٧	١٠٥	٣٥
٤- من وجهة نظرك ما هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى علاج مشكلة الفقر في المجتمع المصري؟							

أولاً : استجابات عينة الدراسة:

بالنظر إلى العبارة الأولى في الجدول السابق يتبين لنا أن (٦٥٪) يرون أن الزكاة إذا خرجت كاملة بنصابها الشرعي فإنها تفي بحاجة الفقراء، في حين أن (١٨٪) يقولون

(إلى حد ما) - أى تحتاج الزكاة إلى الصدقات الأخرى التطوعية - فالزكاة مع الصدقات الأخرى - بالنسبة لمن قال (إلى حد ما) تكفي حاجة الفقراء .

لكن هناك نسبة (١٧٪) يرون أن الزكاة لا تكفي لسد حاجة الفقراء، ولعل هذا الرأي - مع أنه لا يتمثل إلا بـ (١٧٪) - قريب من الصواب؛ لأن الإسلام لم يكتف بالزكاة فقط في حل مشكلة الفقراء، وإنما فرض في المال أشياء أخرى سأذكرها - إن شاء الله - لاحقاً، عند الحديث عن حل المشكلة .

ولعل ما يؤكد أن الزكاة وحدها لا تكفي لحل المشكلة الإجابة عن السؤال الثاني في الجدول السابق ... إذ قال (نعم) (١٢٪) هم فقط الذين يرون أن لجان الزكاة الخيرية تعطيهم ما يكفيهم في حين أن (٢٧٪) يرون أن ما يعطى لهم من هذه المؤسسات يكفي إلى حد ما - أي يحتاجون معه إلى مساعدات أخرى - كما صرحوا بذلك للباحث - والنسبة الأكبر (٦١٪) ترى أن ما تقوم به المؤسسات الخيرية لا يكفي لسد احتياجات الفقراء .

وبالنظر إلى العبارة رقم (٣) فإن هناك (١٩٪) يرون أن الفقر وعدم سد حاجة الفقراء من قبل لجان الزكاة يدفع الفقراء لارتكاب المشكلات السلوكية، كما يقول (٧٪) (إلى حد ما) أي يمكن أن نقول هناك دلالة واضحة على هذه الجملة تزيد عن (٢٢٪) يرون أن الفقر يسبب ضيق الخلق، وارتفاع الصوت، والوقوع في بعض السلوكيات المرفوضة، ولقد أكد المسئولون عن لجان الزكاة والجمعيات الخيرية على هذه الحقيقة، وبينوا للباحث أنه لا يخلو يوم من رفع الأصوات والمطالبة بالمزيد، واتهام القائمين، وأحياناً سبهم والتطاول عليهم، وهذا يؤكد أن الفقر يؤثر على القيم والأخلاق .

* * *

ثانيًا: مقترحات عينة الدراسة حول مواجهة مشكلة الفقر في مصر:

السؤال الرابع في الجدول السابق يطلب من المبحوثين أن يذكروا مقترحاتهم ووجهة نظرهم في حل المشكلة، وطرق مواجهتها، وبالنظر إلى ما كتب في الاستمارات، وما أخذ مشافهة يمكن أن يجمل^(١) الباحث هذه المقترحات في الجدول التالي:

م	العبارة	ك / ٣٠٠	النسبة المئوية
١	تطبيق شرع الله ﷻ بتحريم الربا والميسر، ومعاقة اللصوص ومنع الاحتكار ... إلخ	٢٧٠	٩٠٪
٢	إخراج الزكاة كاملة للفقراء، مع إحياء مبدأ التكافل الاجتماعي	٢٦٠	٨٦.٦٪
٣	الاهتمام بالعمل والإنتاج من خلال إقامة مشاريع تستوعب الشباب	٢٤٠	٨٠٪
٤	الاهتمام بالزراعة ودعم الفلاح لإنتاج المحاصيل الغذائية كالقمح	٢٣٩	٧٩.٦٪
٥	الأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء، كما فعل جمال عبد الناصر (الاشتراكية)	٢٣٥	٧٨.٣٪
٦	العدل في توزيع الثروات وفرص العمل بدعم الفقراء ماديًا ومعنويًا	٢٢٥	٧٥٪
٧	تحديد النسل والتقليل من الإنجاب بما يتناسب مع الإنتاج	٢٢٣	٧٤.٣٪
٨	تطبيق مناهج الدول الغنية (الرأسمالية)، والتعلم منها	٢٢٠	٧٣.٣٪

هذه هي أهم المقترحات التي تكررت في الإجابة عن السؤال السابق، والناظر إليها في الجدول السابق، يرى أنها تدور حول تطبيق شرع الله، وإقامة الحدود، ومنع الاحتكار، ومحاسبة المفسدين، والحث على العمل والإنتاج وزيادة الدعم المادي والمعنوي للفقراء ... والاستفادة من مناهج الدولة

(١) وذلك لكثرة الآراء، وتكرارها، وتداخلها مثل: نطالب الحكومة بإعطائنا علف لمواشينا، وسداد لأراضينا، وبذور جيدة، وشقق للسكن، وخدمات صحية، وتعليمية، ووظائف ... إلخ.

المتقدمة، سواء أكانت رأسمالية أو اشتراكية، والتقلل من النسل بما يتناسب مع الإنتاج، وهذا ما سأبحثه لاحقاً عند مناقشة الحلول والمقترحات.

ثانياً: مقارنة مختصرة بين نتائج الاستبيان في محافظة القاهرة ومحافظة سوهاج والشرقية.

١- الثقافة والوعي:

لاحظ الباحث تحوفاً شديداً بدأ واضحاً وصریحاً - في الغالب الأعم - بين المبحوثين، إلا إنه في محافظتي سوهاج والشرقية كان أكثر، حيث بلغ عدد من أدلوا بأسمائهم في محافظة القاهرة (٣٣٪) وفي محافظة الشرقية (١٥٪)، وفي محافظة سوهاج (١٣٪)، ويرجع ذلك إلى نسبة الوعي في المدينة عنه في الريف، حيث كثير من أبناء الريف يرون أن هذه المسألة (الاستبيان وأخذ الآراء) أشبه بالمحضر الذي يأتي من قبل المحكمة للقيام بمهمة رسمية، يترتب عليها أحكام قضائية، ويؤكد هذا الأمر اعتراف الكثيرين من أبناء الريف بتخوفه من تبعات هذا الاستفتاء وكذلك نسبة الأمية في الريف إذ بلغت (٢٧٪) مقابل (١٨٪) في القاهرة.

٢- الحالة الاجتماعية:

لاحظ الباحث أن نسبة المتزوجين والمستقرين في الريف (سوهاج والشرقية) أكثر بكثير منها في (القاهرة) حيث تنخفض نسبة الطلاق إلى (٧٪) مقابل (١٤٪) في القاهرة، وعدد المتزوجين (٦٠٪) مقابل (٤٢٪) في القاهرة، وعدد الأبناء يزيد بكثير في الريف عنه في القاهرة، إذ بلغت النسبة في سوهاج وحدها (٤٦٧) ذكور وإناث مقابل (٢٣٨) في القاهرة، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية:-

أ- الزواج المبكر في الريف، وتأخر الزواج في المدينة.

ب- بساطة الحياة في الريف، وصعوبتها في المدينة.

ج- الرغبة في التناسل والتكاثر في الريف أقوى من المدينة.

د- الترابط الأسري في الريف لا يزال بخير، في حين تراجع دور الأسرة، والقبيلة في المدينة، ولقد

توجه الباحث إلى الشرائح المستهدفة بهذا السؤال: هل تقبل بأن يقيم أحد والديك في دار المسنين؟

فكان الجواب من أبناء الشرقية وسوهاج بـ (لا) مهما كانت الظروف المعيشية في حين أنه يوجد ثلاث حالات في الشريحة المستهدفة (في القاهرة) في دار المسنين، وأنه لا مانع عند (١٢) حالة من التعامل مع دار المسنين ما دامت الظروف تفرض ذلك، ولعل هذا يرجع إلى التقاليد الأسرية التي يمتاز بها الريف المصري.

٣- ظروف المعيشة والسكن:

لاحظ الباحث أن هناك قاسماً مشتركاً بين فقراء مصر سواء أكانوا يقطنون في المدينة (القاهرة) أو الريف المصري، فهم جميعاً يعيشون في مساكن شبه بدائية، ولا تصلح للحياة الأدمية، ولا تتوفر فيها أى نسبة تذكر من شروط السكن الصحى بالمقاييس العالمية والصحية حيث لا توجد خدمات، ولا صرف صحى غالباً، ولا رعاية كافية، ولا غذاء صحى ... إلا إن هناك فارق بين ساكني القاهرة وساكني الريف، قد يملكون السكن الخاص، حيث بلغت نسبة التمليك في الشريحة المستهدفة بسوهاج (٨٢٪) وفي الشرقية (٧٦٪) مقابل (٥٩٪) في القاهرة، وهذا يعنى أن مشاكل الحصول على سكن في القاهرة أكبر منها في الريف، فالتناس في الريف يسكنون الأكواخ.

في حين أن الحصول على عمل في القاهرة أيسر - إلى حد ما - من الحصول على فرصة عمل في الريف المصري، حيث بلغت نسبة من يعملون في استبيان القاهرة (٥٦٪)، في حين أن هذه النسبة متدنية جداً في استبيان سوهاج، حيث بلغت (٣٢٪) وفي الشرقية (٣٩٪).

وبالتأمل والمقارنة يجد الباحث أن الهموم المعيشية في المجتمع المصري متنوعة ومتعددة وموزعة على جميع الفقراء في مصر.

* * *

ثالثاً: مقابلات مفتوحة مع بعض الأسر الفقيرة للتعرف على الواقع المعيشي لهذه الأسر:

نزلت إلى كثير من الأماكن العشوائية والفقيرة في القاهرة وسوهاج (محل الدراسة الميدانية)، والتقيت بعدد من أبناء هذه الأحياء، وسجلت معهم بعضاً من الحوارات المباشرة، والتي استفدت منها كثيراً في كتابة هذا البحث بشقيه النظري والميداني، وإليك بعضاً منها^(١):

* المكان: محافظة القاهرة/ حي منشية ناصر/ الدويقة/ عزبة بخيت (التلتميات) بلوكات سعد المصري للإيواء العاجل، وقد تم اختيار هذا الحي على أنه من أفقر أحياء القاهرة، وما حدث له عند سقوط الصخرة، ونزوح المئات إلى الشوارع، وإقامتها في خيام ... الأمر الذي لفت نظر الباحث فكان الاختيار.

* وصف المساكن: مساكن عشوائية تتفاوت في درجاتها بين غرف من طوب أبيض أو حجر أحمر معرشة بالخشب، وأحياناً الأسمنت، وبين بيوت من خشب و صفيح، منها ما طاله الصرف والمياه، وكثير منها فوق سفح الجبل، ويعتمد على نقل المياه الحلوة من البيوت المنخفضة إلى البيوت المرتفعة التي لا يصل إليها صرف صحي، ولا سيارات، وتعتمد على الحياة البدائية للريف المصري القديم.

* حال الناس: يرمقون كل زائر لا يعرفونه، ويبادرونه بالسؤال ماذا تريد؟ (عايز مين) أريد أن أتعرف عليكم، عن حالكم، ومساكنكم، ومعيشتكم إلخ، ثم يدور الحوار:

س ١ - ما الذي جاء بكم إلى هنا؟

الجواب: ظروف الحياة.

س ٢ - ماذا تقصدون بظروف الحياة؟

الجواب: نحتاج إلى نفقات يومية لأولادنا وذوينا حتى نعيش.

س ٣ - أما وجدتم هذه النفقات ميسرة في موطنكم الأصلي؟

الجواب: لا فأنا (أحمد) من الفيوم من قرية لا يعرف أهلها سوى زراعة الأرض، وأنا لا أملك أرضاً أزرعها، والعمل اليومي مرهون بموسم زراعة الأرض، وموسم الحصاد، وهذا لا يكفي لإعالة أسر، أو فتح بيوت، أو تعليم أولاد

س ٤ - وهنا في الدويقة (زرزارة أو هضبة فرعون) كما تسمونها تجد النفقات التي تفتح البيوت؟

الجواب: نعم هو بالكاد ولكن أحسن حالاً من العدم، فها نحن كما ترى نسكن بدون أجر أو

(١) سأكتفي بذكر بعضاً من الأمثلة فقط رغبة في الاختصار؛ لأن الهموم للفقراء واحدة، وألوان المعاناة تكاد تكون متقاربة، وهي في كلها أو جلها تتركز حول تدني مستوى الدخل والمساكن والخدمات.

بأجور منخفضة، ونعمل في حرف متنوعة ومتعددة بخلاف الريف الذى جئنا منه، ولا يعرف سوى زراعة الأرض، وتربية الماشية^(١).

سـ ٥ - هل أنتم راضون عن هذه الحياة؟

الجواب: الحمد لله ماذا نفعل؟

سـ ٦ - هل تبحثون عن مكان آخر أو مصدر آخر للكسب؟

الجواب: أين هو؟ دلنا عليه.

فأجبت: الجرائد مليئة بالوظائف الخالية والأماكن الجديدة كالمدين الصناعية الكبرى، أرى أنها البديل عن حياة كهذه التى أرى.

الجواب: الأمر ليس سهلاً بهذه البساطة، أولادنا في مراحل تعليم مختلفة، ورواتب هذه الوظائف التى تتحدث عنها متدنية لا تكفى للمواصلات، وأما السكن في المدن الجديدة فليس لنا نحن ولا في قدرتنا.

اذهب إلى القاهرة الجديدة - مثلاً - واسأل عن سعر السكن هناك ... وستعلم أن هذه المدن للأغنياء فقط!!

وكان المتكلم شاباً في الثالثة والثلاثين من عمره، سألته يبدو لي أنك مثقف فهل تحمل مؤهلاً عالياً؟

الجواب: نعم أنا محامى حصلت على ليسانس الحقوق منذ ثمانى سنوات، وأعمل مع محامى في منشية ناصر بـ (٦٠٠) جنيه ولي زوجة وطفلتان ...

إن هذا الذى رأيته في الدويقة (حي منشية ناصر) رأيت مثله في مقابر الغفير، والبساتين، والإمام الشافعي، والكيلو أربعة ونصف، وغيرها من الأماكن العشوائية الكثيرة التى تعاني الفقر والبؤس منذ نشأتها وحتى الآن (لحظة كتابة هذه الكلمات مارس عام ٢٠١٠م) ولا زالت على حالها الذى يعبر أبلغ تعبير عن مرارة الأسى للواقع المعيشي لكثير من المصريين على طول البلاد وعرضها.

(١) نظرت حولي فرأيت رجلاً ينقل الغاز الطبيعي من الأسطوانة المعدة له إلى اسطوانات صغيرة تعمل كبوتاجاز صغير، ورأيت محالاً متواضعة تباع البقالة، وأكياس الشيسى، والصابون، وبعض الخضراوات، وسيارات الكارو، وجراكن الماء، وأكوام القمامة، ومجارى الصرف فوق الأرض وعن بعد ترى عيش من الخشب والحجارة على هيئة أحواش حوط عليها بعض المواطنين بوضع اليد بقصد إعدادها للسكن والارتفاع بها.

محافظة سوهاج:

* المكان: مركز أخميم/ مقابر الشيخ إسماعيل/ بالصوامعة شرق، قد تم الاختيار لهذا المكان باعتبار قربه من عاصمة المحافظه سوهاج إحدى المحافظات الثلاث محل الدراسة.

* وصف المساكن: تزحف نحو قبور الموتى ... كنت أظن أن سكن القبور هو فقط في القاهرة، وذلك لضيق المساكن، وكثرة السكان، ولكن عرفت - من خلال البحث الميداني - أن هناك من يسكن القبور في المحافظات الأخرى خارج القاهرة، هذه المرة لا لضيق المساكن، فالمساكن بالريف كثيرة، ولكن لضيق ذات اليد، والبحث عن مصادر الرزق، ولقد تعود أهل الريف على إخراج الطعام، والفواكه للموتى في الأعياد، والمواسم، والمناسبات، فضلاً عن قراءة القرآن، والترحم على الأموات، والأعمال الأخرى كحفر القبور، ودفن الموتى ... هذه الأعمال، وهذه الصدقات يتنافس عليها - كما رأيت بعيني - شباب في زهرة العمر سألت أحدهم:

س١ - أراكم تتسابقون على أخذ الخبز من الزائرين هل تأكلونه؟ أم تطعموه لأغنامكم؟
الجواب: نأكل منه ونطعم منه أغنامنا.

س٢ - ما رغبتكم في سكن القبور بجوار الموتى؟
الجواب: نستفيد باستمرار، ونجد العمل متوفرًا بخلاف القرى، ثم ذكر كلامًا قريبًا مما ذكر أحمد عن قريته في الفيوم.

س٣ - لكن علمت أن الدولة تساعد فقراء الريف، وتعطيهم بقرًا وغنًا ليعيشوا؟
الجواب: الدولة تعطي المتزوج الذي لا يملك شيئًا، وله خمسة أولاد فأكثر، تعطيه بقرة أو جاموسة فيبيعها، أو يشارك عليها، أو يقتنيها، وتعطي المتزوج حديثًا غنمة واحدة، وكذلك من عنده طفلتين أو ثلاث ...^(١).

س٤ - لماذا يبيعها أو يشارك غيره عليها ألا يستفيد هو بلبنها ونتاجها فتكون له مصدر غنى، وبداية كسب؟

الجواب: ومن أين يطعمها وهي تحتاج إلى فدان من الأرض حتى تعيش منه؟ كما تحتاج إلى إنسان

(١) هذا الأمر تأكد للباحث من عدة أفراد من عينات البحث، وصدق عليه مسئولو لجان الزكاة الذين أجرى الباحث معهم مقابلات انظر ص-

متفرغ لها، وبعد ذلك كله ليست هي مصدر غنى تفي بمتطلبات الحياة، وإنما هي للفقر بمثابة وجبة سريعة يسد بها المرء جوعته كالمسكنات للجروح، إنها ليست حلول جذرية لمشكلة الفقر، إنما هي مسكنات للجروح ليس إلا.

س ٥- وما هي الحلول من وجهة نظركم؟

الجواب: استصلاح الأراضي، وشق الترع، وإيجاد فرص عمل للشباب العاطل، وإقامة المصانع العملاقة التي تستوعب الخرجين والراغبين في العمل الجاد المنتج.

س ٦- هناك مناطق صناعية، ومدن جديدة في كل المحافظات - تقريباً - وهنا في سوهاج (حي الكوثر- سوهاج الجديدة) وبها عددًا من المصانع فلماذا لا تسكنون بها؟

الجواب: هذه المناطق التي ذكرت ليست للفقراء، وإنما هي للمستثمرين القادرين سواء أكانوا أجانب أم مصريين، وغاية ما يجد بعض الفقراء - ليس كل الفقراء - العمل كغفر وحراس، أو عمال مناوبات، وبأجور لا تناسب ظروف الحياة وارتفاع الأسعار.

س ٧- هذه الظروف التي يعاني منها الفقراء هل أثرت على قيمهم وموروثاتهم كالتكافل، والتعاون، ورعاية الفقير، والإحسان إلى الجار، وبر الوالدين، وإيثار ذوي القربى؟

الجواب: - نعم أثرت على أخلاق وقيم الناس فانتشر التسول في القرى ولم يكن معروفًا من قبل، وقلّ التكافل والتعاون، وهذا لا يعني أنه انتهى تمامًا ... كلا فهناك شرفاء، وأوفياء ولكن للأسف لم يصبحوا الكثرة الغالبة، وإنما هم القلة التي يشار إليها بالبنان، يقول جابر: (كانت الأمة المصرية تتردد على المساجد لتسبح جوعتها الروحية من فيض العلماء، وتسمع لنصائح الكبار من ذوي الخبرة والتجربة، فكان لكل أسرة - تقريباً - ناديًا وديوانًا (مندرة) يجتمعون فيها، ويتدارسون ما تواتر من عرف، وأدب، وأصول، أما الآن فلا شيء من ذلك بقى على حاله، بل اعتراه الكثير من التغيير والتبديل، حتى أصبح الكثيرون يقدمون المصلحة الشخصية، والمادة على القيم، والمبادئ، والأصول.

هذا بعض ما سمعته من أفواه الناس، وهو يعبر أصدق تعبير عن حال المدينة والقرية، وعن أحوال الفقراء فيهما، مما يؤكد حقيقة المأساة التي يعيشها هؤلاء البائسين، وأمثالهم في القرى والمدن الأخرى كثيرون.

رابعاً: الملاحظة والاستخبار ورصد السلوك اليومي:

جميع الفقراء الذين التقى بهم الباحث لا هم لهم إلا أن يعيشوا مستورين الحال، تتوفر لديهم القدرة على مسايرة الحياة، وارتفاع الأسعار، معظمهم بدون عمل، وبعضهم يعمل في الصناعات اليدوية، أو العمالة، أو التجارة الخفيفة، وسيارات الأجرة، ومما لاحظته الباحث ما يلي:

١ - الباعة الجائلون الذين يبيعون بعض الحلوى، والمأكولات المحلية للأطفال، وطلبة المدارس، ورغم التحذيرات المتكررة من وزارة الصحة عن خطورة تناول هذه المأكولات، إلا أنني رأيت الإقبال عليها في الأماكن العشوائية والفقيرة كثير جداً ... سأل الباحث بعض الأولاد.

س ١ - لماذا تشترون هذه الحلوى وهذه المأكولات المكشوفة والذباب يقف عليها و؟
الجواب: في المحال غالية الثمن ولا نستطيع الخروج لشرائها، وأكلنا منها قبل ذلك مراراً ولم تضر بنا.
سألت البائع: أراك تمنع غيرك من البيع للطلبة وتستأثر بالبيع وحدك؟
الجواب: هو غريب عن المنطقة وأنا إن لم أبيع هذه الأشياء تفسد وترمى، وهذه خسارة كبيرة عليّ.
رأيت طالباً في المرحلة الإعدادية وهو يرمى بالتراب على ما في يدي زميله من المأكولات.

سألته: لماذا تفعل هذا بنعمة حرم الله علينا أن نفسدها؟

الجواب: لأنه لم يعطني كما أعطيته.

ناهيك عن يقضي يومه كله في بيع سلع تافهة لا تسمن ولا تغنى من جوع، كبيع الصفاير، وأعلام النوادي الرياضية، والسجائر، والبخور، وصور اللاعبين، والحظاظات، وأكياس اللب والسوداني إلخ.

٢ - في الأماكن التي شملها البحث الميداني ومثيلاتها ترى عدداً كبيراً من سيارات الأجرة بدون لوحة أرقام، وبدون ترخيص، ومعظم من يقودونها شباب في مقتبل العمر تتراوح أعمارهم بين (١٥) إلى (٣٥) سنة ... ترى ذلك في حي (مدينة السلام) بالقاهرة، و (النهضة)، و (الحرفيين)، وحي (إمبابة) بالجيزة، و (عزبة الهجانة) ... وفي القرى عمومًا والنجوع بدون استثناء ... وعندما يرصد المرء سلوك هؤلاء الشباب، وهم ينقلون الناس لاسيما طالبات المدارس يرى عجب العجائب، كلمات ساقطة ... أغاني هابطة ... رعونة في القيادة ... وعندما سألت بعضهم:

س ١ - لو كنت تملك مصنعاً، أو متجرًا كبيراً، أو كنت طبيباً، أو مهندساً ناجحاً هل كنت

ستفعل مثل هذه الأمور؟ وتنطق بمثل هذه الكلمات؟ الجواب: (لا).

س٢ - لماذا إذن تفعل ما أرى؟

الجواب: أنا في الشارع يا شيخ، وليس في الجامع، أو في المصنع كما تقول!!
 نفس الإجابة التي أجبني بها بائع على رصيف (أنا في الشارع)، وهى - أيضًا - نفس الإجابة التي أجبني بها أناس يسكنون العشش، والأكوخ في الشارع (شارع الترولي بمدينة السلام)، وساكنى قمم المقطم خلف منشية ناصر، والدويقة، وغيرهم، إنهم يرون - إلا من رحم ربى - أنهم في أرض غير أرضهم (مساكن إيواء مؤقت)، أو بيوت واهية هشة لا يملكونها، وربما لا يدوم البقاء فيها، فعلام يلامون؟! وهم لاجئون - كما يقولون - يلام أبناء البلاد الأصليين، والأصل عند الكثيرين من المصريين يعرف بكثرة الأملاك، والعقارات، والأراضي الزراعية، والمناصب العليا... والعزوة، وتضافر الأهل، والأقربين ... إن موقعهم وعملهم، وسكنهم سؤل لهم - إلا قليل - الهروب والانسلاخ عن المبادئ، والقيم الأصيلة، ونفضوا أيديهم منها، ومع أنهم مخطئون في هذا الزعم، والفهم، والسلوك، إلا إن الفقر هو الذى دفع بهم، وبآبائهم إلى مثل هذه المواقف، إذ لا ينكر عاقل أن الفرق واضح، والبون شاسع بين من تربوا في بيوتات الكرم، والأدب، والعلم، حيث قدر الله ﷻ أن يجدوا من يرعاهم، ويشغلهم بالعلم، والعمل منذ طفولتهم حتى صاروا راشدين ... هناك فارق بين هؤلاء، وبين أناس فتحوا أعينهم، وآذانهم على سماع ما تعجب به (بيئة الشارع) التي ولدوا فيها، وأخذوا عنها، ونقلوا منها، إنهم في حاجة ماسة إلى بيئة أخرى يجدون فيها القدوة الحسنة ... ويرى الباحث أن هؤلاء لو وجدوا رعاية كافية، وتربية وافية، وتنشئة سليمة، وقدوة مؤثرة، لما وصل حالهم إلى الدرك الأسفل من الأخلاق، فالفقر يلد الجهل، ويضعف العقل، ويذهب بالقيم والأخلاق، اللهم إلا من كان له حظ من إيمان، أو أثارة من علم، وقليل ما هم.

خامسًا: دليل الخبراء حول مواجهة مشكلة الفقر في مصر:

وقد تم ذلك عبر مقابلات مع بعض الخبراء والأساتذة المختصين في طرق حل المشكلة؛ لأنه من تمام الفائدة أن يذكر الباحث بعضًا من المقابلات التي جرت بينه وبين الخبراء المتخصصين في طرق حل المشكلة، إذ إن الباحث لم يكتف بأراء الشرائح المستهدفة من المستفيدين من لجان الزكاة (الفقراء)، وإنما أراد أن يشفع ذلك بعض آراء الخبراء، والأساتذة الذين التقاهم عند صياغة أسئلة استمارات الاستبيان، وعند تحكيمها، وكذلك عند الذهاب إلى مقار لجان الزكاة، والجمعيات الخيرية، والالتقاء برؤساء هذه الجمعيات وأعضائها، وعمل مقابلات مع بعض أساتذة الجامعات المتخصصين في طرق حل المشكلة؛ لأن هؤلاء وهؤلاء بحكم تخصصهم وخبرتهم الطويلة، واتصال بعضهم بالفقراء، وبحث حالاتهم، والاجتهاد في إعانتهم، لاشك أن ذلك سيكشف أمورًا لم يكن ليصل إليها الباحث من خلال الشرائح المستهدفة فقط، لاسيما ما يتعلق بطرق حل المشكلة، وقد راعى الباحث عدم تكرار السؤال الموجه لكل أستاذ أو خبير في كل مقابلة وكذلك النقاط التي ذكرت في الإجابات السابقة من قبل؛ رغبة في الاختصار، وقد تم ترتيب هذه المقابلات على أساس التاريخ الزمني لكل مقابلة:

السؤال المتكرر مع كل مقابلة:

س/ بحكم تخصصكم وخبرتكم .. وبعد النظر في خطة هذا البحث، وما وصلت إليه استمارة الاستبيان قبل وبعد التحكيم أرجو التكرم ببيان أهم الوسائل أو الإجراءات اللازمة في مكافحة الفقر، وحل مشكلة الفقراء في مصر.

المقابلة الأولى:

أ.د/ يوسف إبراهيم يوسف / مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بالأزهر الشريف.

تاريخ اللقاء: يوم ١٥ / ٧ / ٢٠١٠ م.

يقرر سيادته المحاور التي وضعت في استمارة الاستبيان عن مظاهر الفقر، وأسبابه، وآثاره ... بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أن مظاهر الفقر وآثاره أكثر من أن تحصى، وقال: يكفي أن تتجول ساعة في شوارع مصر لاسيما (العشوائيات)، وسترى وستسمع ما لم يكن يخطر لك على بال، ويرى أن المشكلة تكمن في أمور من أخطرها عدم إحساس المسؤولين بالفقراء، وعدم توفير حد الكفاية لهم، لا

بدافع المسؤولية، ولا بدافع الخوف من الله، وعند سؤال سيادته عن حد الكفاية الذي هو فرض وواجب لا يجوز التهاون فيه قال: حد الكفاية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - ضروريات. ٢ - حاجيات. ٣ - كماليات، أو تحسينات.

وتجتمع هذه الأقسام في عشرة بنود هي:

المطعم، والملبس، والمسكن، والعلاج، وهذه هي الضروريات التي لا غنى عنها، ثم تأتي في المرتبة الثانية أدوات الانتقال، وأدوات الحرفة والإنتاج، وكتب العلم لمن هو من أهله، وهذه هي الحاجيات اللازمة لاستمرار الحياة، ثم الزواج، والسياحة، وقضاء الدين، وهذه هي الكماليات، أو التحسينات وعند سؤال سيادته عن المال اللازم لدعم هذه الأمور من أين هو؟

كان الجواب: زكاة مال الأغنياء، والوقف الإسلامي المعتدى عليه، والاستفادة من الموارد، والثروات الطبيعية والغنية بها مصر.

المقابلة الثانية:

د/ يسرية فؤاد/ رئيس قسم التدريب بمركز صالح كامل الاقصادى.

تاريخ اللقاء: ١٥ - ٧ - ٢٠١٠م، في نفس توقيت المقابلة السابقة.

ولقد أقرت - الدكتورة يسرية - كل ما ذكره الأستاذ الدكتور يوسف إبراهيم يوسف، وزادت عليه مسألتين هما:

(أ) مسألة (العمل) كون الفقير لا يعمل أمر معلوم، أما كونه يعمل لا يعني أنه غني، لاسيما ورواتب العمال متدنية للغاية، هذه المسألة يجب أن توضع في الحسبان.
(ب) مسألة (التسول) وصلتها بالفقر، والقيم^(١).

المقابلة الثالثة:

د/ هشام القاضي: مدرس فقه مقارن بمركز صالح كامل، وكلية الشريعة.

تاريخ اللقاء: ١٥ / ٧ / ٢٠١٠م، في نفس توقيت المقابلتين السابقتين.

ولقد أقر ما سبق ذكره في المقابلتين السابقتين، وأشاد بدور الكليات الشرعية في تشقيف المجتمع،

(١) هذه المسألة سبق الحديث عنها في البحث الميداني صـ، فلا داعي لتكرارها.

وبتبنى هذه الأبحاث الميدانية، التي تتصل بمصالح الناس، وتمس اهتماماتهم، وتخوض في بحار همومهم، وواقع معيشتهم، ثم أثنى على الحلول التي تمزج بين تنمية الموارد، وتنمية المواهب والقدرات اللازمة للإبداع، والعطاء، والتطوير، والاستفادة من التقنية الحديثة في الإنتاج الجيد والقادر على المنافسة وسد حاجات المجتمع.

المقابلة الرابعة:

السيد/ صبري لطفي محمد/ رجل أعمال في القاهرة.

تاريخ اللقاء: يوم ٦/ ١٠/ ٢٠١٠م.

يقول لا توجد مشكلة فقر بالمعنى الحقيقي للمشكلة، وإنما توجد - وعلى نطاق واسع - مشكلة قيم وثقافات ...، ويرى أن عامة المجتمع المصرى يؤمن بالفكرة القائلة (إن الدولة مسئولة عن كل شئ) وينشأ الشباب وينمو بهذه الثقافة التى تحول بينه وبين التفكير الجاد فى الاعتماد على النفس، والبحث فى خبايا الأرض عن الأرزاق، وتراه لا يقبل العمل فى مهن معينة، أو بدرجة ما، أو برواتب ما، وكم من أعمال لا نجد لها أكفاء، إذن المشكلة ليست مشكلة قلة فرص عمل، أو قلة موارد الدولة، وإنما المشكلة مشكلة قيم تتعلق بأهمية العمل، ومكانته فى الدنيا، لذلك أرى أن الحل يكمن فى جملة واحدة التربية ثم العمل، التربية ثم العمل، التربية ثم العمل.

المقابلة الخامسة:

د/ مصطفى محمد الفقى/ مدرس خدمة الفرد/ قسم الخدمة الاجتماعية/ كلية التربية/ جامعة الأزهر.

تاريخ اللقاء: يوم ٢٢-١١-٢٠١٠م.

بعد اطلاعه على الإطار النظري، والأسئلة المقترحة لاستمارة الاستبيان، وتحكيمه لها كانت رؤية سيادته تلخص فى الآتى:

(أ) إعادة تربية وصياغة معظم أبناء المجتمع المصري.

(ب) إيجاد القدوة الصالحة فى كل الميادين.

(ج) إعادة النظر فى برامج الإعلام ، بقصد ثقل مواهب الشباب.

(د) العدالة فى توزيع الثروات وفرص العمل.

المقابلة السادسة:

أ/ محمد عبد الغنى محمد/ مدير إدارة السلام للتضامن الاجتماعي والمشرى المعهدى.

تاريخ اللقاء: يوم الأربعاء ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٠م.

يرى سيادته أن المشكلة قائمة، وفى ازدياد مستمر، وحال الناس يؤكد ذلك، وإن لم توضع التدابير اللازمة تكون العواقب وخيمة، وعند سؤال الباحث له عن التدابير اللازمة، قال:

- ١ - صدق النية، والقصد في حل المشكلة حل جذري.
- ٢ - صدق الانتماء لهذا الوطن، والرغبة الصادقة في إعزازه ورفعته.
- ٣ - تضافر الجهود، وتأزر القوى بين جميع طوائف الشعب، لإيجاد نوع من التكافل، والتعاون، والتربية وهذا يحتاج إلى قدوة، وتوجيه، وصبر، وتنمية مواهب، وعلم.

المقابلة السابعة:

السيد/ محمد راغب عناني/ مدير إدارة لجنة زكاة مسجد الرحمن علم القراءان/ م. السلام بالقاهرة.
تاريخ المقابلة: ٢٥-١٢-٢٠١٠ م.

يرى سيادته أن المشكلة قائمة، وتعانى منها الطبقة الفقيرة في الأماكن المهمشة، ويتفق مع الأساتذة في جل ما ذكروا عن أسباب وآثار المشكلة وطرق حلها، إلا إنه يخلص بالتحديد (الأغنياء وأصحاب القرار، بل ويعتب ويعجب من هؤلاء الذين تكدست ثرواتهم وهم لا يحسون بالفقراء، ولا يتعاونون معهم في إيجاد فرص عمل، ولو من أموال الزكاة المستحقة في ثرواتهم، وكذلك ممن مكن الله لهم في الأرض بالقول النافذ والسلطان العزيز، ويأسف لما وصلت إليه أحوال البلاد.

المقابلة الثامنة:

السيد/ محمد عبد الحميد زيدان/ مشرف عام الجمعية الشرعية بمحافظة سوهاج.
تاريخ اللقاء: ١٩/ ١/ ٢٠١١ م.

ويرى سيادته أن مشكلة الفقر في الريف المصري والأقاليم أكثر بكثير من المدن الرئيسية والعاصمة؛ لأن الريف (الأرزاق فيه محدودة)، ومصادرها معدودة لا تخرج عن الزراعة، وتربية الحيوانات والطيور والعمالة الموسمية، ناهيك عن الأمراض المزمنة كالبلهارسيا وأمراض سوء التغذية ... لذا يجب أن تتوجه الأنظار إلى الريف المصري، حتى يستوي فقراؤه - أولاً - مع فقراء العاصمة، حيث تتعدد الوظائف، والأعمال، والحرف، وكثرة الخدمات، والمنح ... وذلك نسبة بالريف المحروم من كثير من هذه المزايا.

المقابلة التاسعة:

أ.د/ أسامة أحمد البهنساوي/ رئيس قسم الاقتصاد/ كلية الزراعة/ جامعة الأزهر الشريف.
تاريخ المقابلة: ٢٣/ ١/ ٢٠١١ م.

أهم الخطوات اللازمة لحل مشكلة الفقر في مصر.

- ١ - اتخاذ إجراءات فاعلة تؤدي إلى تعديل سياسات توزيع الدخل بحيث تأخذ من الأغنياء قدر أكبر مما عليه الحال الآن، ثم يوجه إلى خلق موارد جديدة لدخول الفقراء.
- ٢ - تشجيع الصناعات الصغيرة، والأسر المنتجة من خلال القروض الحسنة، أو القروض منخفضة التكاليف^(١) مع تدريب المستفيدين من هذه القروض على إنشاء مشروعات إنتاجية صغيرة

(١) القروض بفوائد منخفضة تأخذ حكم القروض الربوية، اللهم إلا في حالات الاضطرار، ولعل الأستاذ يقصد ما تجيزه البنوك الإسلامية في حدود المشاركة والمضاربة والمرابحة، وبشروط وتفاصيل معلومة.

تؤدي إلى زيادة دخولهم.

٣- وضع حد أدنى للمرتبات سواء في القطاع الحكومي أو القطاع الخاص يتناسب مع تطور تكاليف المعيشة.

المقابلة العاشرة:

أ.د. سيف الدين يوسف عبدون/ أستاذ علم النفس التربوي بكلية التربية.

تاريخ المقابلة: ٢٣ / ١ / ٢٠١١ م

١- لا بد حل المشكلة أولاً: من إقرار وجود المشكلة وحتمية التعامل معها فوراً، وبدون إبطاء، وبتعاون جميع شرائح المجتمع.

٢- زيادة مشاركة الفقير في أمور الحياة الاجتماعية، وذلك بالتعاون معه وإعطائه أدواراً مهمة داخل المجتمع ومؤسساته، واعتباره من الأفراد المهمين والجديرين بالقيام بالمسؤوليات والمشاركة في الفاعليات حتى تعود إليه الثقة بنفسه ودولته.

٣- مساعدة الدولة بالدعم اللازم لإنجاح مشاريع التنمية ولو بأموال الزكاة.

٤- الارتقاء بالفقراء ومساكنهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، وإحياء وبعث التقاليد الإسلامية والعادات والقيم الإنسانية.

المقابلة الحادية عشرة:

الدكتور محمد أبو فرحة، خبير التنمية البشرية والتطور الإداري.

تاريخ المقابلة ١١ / ٥ / ٢٠١١ م.

يقول سيادته: المرء يحتاج إلى عدة أمور ليسحق الفقر أسفل قدميه.

أولها: الإيمان بالله، والاعتماد عليه، والاعتراف الكامل أنه - سبحانه - مسبب الأسباب.

ثانيها: اتخاذ كامل الأسباب المادية والمعنوية وفق معايير العمل، والجودة، والإنتاج.

ثالثها: التعاون مع الآخرين والتنسيق والتخطيط الجيد والهادف للمستقبل.

رابعها: تحدي المعوقات الطبيعية والمفتعلة والتصدي لها بحزم وعزم وإصرار.

خامساً: تحمل المسؤولية أمام الله وأمام الناس، والاستعداد لقبول المحاسبة والمنافسة.

هذه أهم الأمور التي تتعلق بالتنمية البشرية ومواجهة الفقر.

مقابلات أخرى:

مع عدد من رؤساء وأعضاء الجمعيات الخيرية ولجان الزكاة التي ذهب إليها الباحث في

المحافظات الثلاث - محل الدراسة -، ولقد أكدت هذه المقابلات على ضرورة العمل والإنتاج والتأهيل العلمي والتقني، والدعم المادي والمعنوي، من الأغنياء والمسؤولين للفقراء والمحتاجين، مع ضرورة إخراج الزكاة كاملة، وإحياء الموات من الأرض الميتة، وزيادة الرقعة الزراعية، ومشاريع الإنتاج، والمصانع الكبرى والصغرى ... وفتح باب الأمل والثقة في النفس، والقدرة على الإبداع والعطاء لدى الشباب العاطل والأسر الفقيرة ... هذا ما أجمع عليه كل من تمت معهم المقابلات السابقة.

سادساً: أهم نتائج هذا البحث:

الحق أن هذا البحث فتح للباحث أبواباً من المعرفة ما كان ليحصل عليها، أو يصل إليها بمجرد القراءة في الكتب، أو النظر في المراجع فقط، فالنزول إلى الواقع، ورؤية المواقع الفقيرة، وحال الفقراء، والنظر إليهم، والتحدث معهم، ومن ثم الالتقاء بالعلماء المختصين في طرق حل مشكلة الفقر ... لا شك أن ذلك أفاد كثيراً في معرفة الحقائق، والرؤى .. وكشف عن أبعاد متعددة للمشكلة من أهمها ما يلي:-

- ١- الإقرار بوجود مشكلة فقر في مصر إذ بلغت نسبة التصويت - تقريباً - (في أدنى مستوياتها) إلى (٥٥٪) مقابل (٤٥٪) يقولون (لا) أو (إلى حد ما)، وهذا يؤكد وجود مشكلة فقر في مصر وأنها قائمة، وتحتاج إلى حلول عاجلة لا تحتل التأخير.
- ٢- أن حل المشكلة لا يكون من الخارج، وإنما ينبع من الداخل المصري، إذا صدقت النوايا، وتضافرت الجهود، وتعاون كل من الشعب، والحكومة في تقديم الحلول الناجحة، ورعايتها.
- ٣- مشكلة الفقر في مصر ليست مشكلة فقر موارد، وخامات، وأيدي عاملة بقدر ما هي مشكلة أخلاق، وقيم، وسياسات، ومبادئ، يجب أن تراجع، ويعاد النظر في صياغتها، والقوانين التي تحرصها، أو تحكمها.

- ٤- البعد الإنساني، وعلاقته بالمشكلة، وحتمية إدراجه في الخطط والحلول العاجلة والمستقبلية، إذ إن المشكلة إنسانية أكثر من كونها طبيعية.

- ٥- الآثار الخطيرة للمشكلة على الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، بما ينذر بالخطر على جميع المصريين بما في ذلك الأغنياء، والكيان القائم للدولة، والنظام.
- ٦- تباين الآراء، ووجهات النظر في أسباب المشكلة، وطرق حلها.
- وسأذكر في الصفحات التالية - إن شاء الله - وجهات النظر والحلول المطروحة ومناقشتها.

* * *

الفصل السابع: الحلول والمقترحات

وفيه تمهيد ومبحثان

التمهيد: وفيه مناقشة الحلول المطروحة لحل المشكلة:

المبحث الأول: الحلول الثقافية الضرورية لمواجهة المشكلة:

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: الاهتمام بالتوعية بكل أنواعها الدينية والثقافية والإنتاجية .

المطلب الثاني: الاستفادة من الأبحاث العلمية لأهل الاختصاص من أهل الخبرة وتفعيل مقترحاتهم.

المبحث الثاني: الحلول المادية الضرورية لمواجهة المشكلة:

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل.
- المطلب الثاني: تشجيع العمل والإنتاج بالوسائل الممكنة والمتاحة.
- المطلب الثالث: الاهتمام الخاص بالأمن الغذائي ومشكلة السكن والعلاج.
- المطلب الرابع: محاسبة المتسببين في الفساد ليكونوا عبرة لغيرهم.
- المطلب الخامس: مراجعة قوانين الاستثمار الأجنبي، واستيراد السلع لصالح المنتج المحلي.

التمهيد

في الفصول الماضية ذكرت حقيقة المشكلة، وإقرار العلماء، والمسؤولين بوجودها، وخطورتها، ومظاهرها، وآثارها وآراء بعض العلماء في طرق حلها، وكذلك آراء عينة الدراسة الميدانية، والتي يمكن لي أن أجملها في أربع نقاط هي:

١- الأخذ من الأغنياء ولو بقوة القانون وإعطاء الفقراء (المنهج الاشتراكي).

٢- الاستفادة من الدول الغنية (المنهج الرأسمالي).

٣- تقليل النسل (تحديد النسل).

٤- المنهج الإسلامي الاقتصادي.

وهنا أود أن أناقش هذه الآراء بشيء من التوضيح، حتى يتبين لنا إن كانت هذه الرؤى جديرة فعلاً بحل مشكلة الفقر في مصر أم لا.

أولاً: الأخذ من الأغنياء ولو بقوة القانون وإعطاء الفقراء:

لعل أصحاب هذا التوجه لا يزالون متأثرين بالمنهج الاشتراكي، ولذا يصرحون بالمنهج الذي طبقه الرئيس/ جمال عبد الناصر^(١)، هذا المنهج طبق في مصر منذ قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م، وحتى سنة ١٩٧٠^(٢)، وكان من أهدافه المعلنة القضاء على الفقر على أساس الملكية العامة للدولة، وإلغاء الملكية الخاصة أو التضييق عليها، فالدولة هي التي تملك المصانع والمزارع والثروات، والأفراد يعملون لدى الدولة، والدولة هي التي تتعهد بتوفير الإنتاج بحيث يكفي الجميع.

وأنا لا أريد أن أطيل الحديث حول هذا المنهج وأسباب فشله، وذلك لعدة أسباب وهي:

١- سقوط هذا المنهج في عقر داره، وفي معظم البلاد التي انتشر فيها.

٢- تحول معظم أنصاره إلى المنهج الرأسمالي، بعدما تحققوا من فشله، وما فيه من خلل، ونقصان وجور، يتمثل في انحيازه للدولة على حساب الفرد وحقوقه، وحريته، وهمته، ومواهبه.

(١) انظر ص ٢٣٩ تحليل وتفسير مقترحات المستفيدين من لجان الزكاة والجمعيات الخيرية في طرق حل المشكلة.

(٢) مصر والدائرة المتوسطة ص ٣٦، مرجع سابق.

٣- كثرة الكتابات حول فساد هذا المنهج وعدم قدرته على حل المشكلة^(١).

٤- سبق وأن تعرضت لهذه المسألة من قبل^(٢).

٥- ارتباط مصر بالجانب الأوربي في إطار (الدائرة المتوسطة)، في بعدها الاقتصادي والسعي في إقامة مشروعات للتكامل^(٣)، وهذا يجعلنا نتقل سريعاً إلى المنهج الرأسمالي.

ثانياً: الاستفادة من الدول الغنية (المنهج الرأسمالي):

لا مانع شرعاً ولا عقلاً أن نستفيد تقنياً وعلمياً من غيرنا ولكن في حدود ما شرع الله لنا، وهذا المنهج يقوم على نقيض المنهج الاشتراكي، فهو يقدس الفرد وينحاز إليه على حساب الجماعة والمجتمع «وبخاصة الضعفاء والمسحوقين، فهم مهملون أو في زوايا النسيان»^(٤)، وشعاره: دعه يعمل دعه يمر، دون أن يسأل من أين اكتسب هذا المال، وكيف تكونت هذه الثروة.. وكانت النتيجة المزيد من الأزمات الاقتصادية والأخلاقية والطبقية البغيضة واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، فإذا كان النظام الاشتراكي يسحق الفرد ويحاصره في أضيق نطاق... فإن هذا النظام يدلل الفرد، ويطلق حريته ويرعى أنانيته بل وطمعه وجشعه.. وكلاهما على طرفي نقيض لا يأتي بخير يعود على الفرد والمجتمع معاً^(٥).

«والواقع أن اعتراف كل من المذهبين بالمبدأ المناقض للآخر، ونظريته في الملكية، وفي ظل مبرراتها المتماثلة هو دليل قاطع على خطأ المبدأ لكل منهما»^(٦).

ومع هذا التناقض الواضح، والفشل الذريع، والأزمات التي أنتجها كلا النظامين، إلا إن هناك - في بلادنا - من لا يزال يتمسك بهذه المناهج ويدعو إليها ويتنصر لها.

يقول الدكتور محمد شوقي الفنجري: «إن من المسلمين وغير المسلمين، ومن علماء الاقتصاد يثقون

(١) انظر كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ٢١٤، مرجع سابق، وكتاب الحقيقة والوهم في المجتمع المصري ص ٣٠، مرجع سابق.

(٢) انظر ص ٩٨ من هذا البحث.

(٣) انظر مصر والدائرة المتوسطة الواقع والمستقبل ص ٤٣، ٤٤، مرجع سابق، وكتاب مصر والعالم الخارجي الواقع وآفاق المستقبل ص ١٢، وما بعدها، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٥ م.

(٤) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٨٢، مرجع سابق.

(٥) انظر ص ٨١، المرجع السابق.

(٦) دور رأس المال في الفكر الإسلامي إعداد شعبان فهمي عبد العزيز، مقدم لكلية التجارة جامعة الأزهر، للحصول

على درجة الماجستير في الاقتصاد سنة ١٩٧٩ م، ص ٢ / المكتبة المركزية برقم (٣٩٣٥).

في الحلول الرأسمالية والاشتراكية، وكأنه لا يوجد حلول أخرى غيرها، ولعل من بين من لاحظ ذلك البروفسير جاك أوسنري أستاذ الاقتصاد الفرنسي حيث يقول: «إن طريق التنمية ليس محصوراً في الرأسمالية والاشتراكية، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامي إذ يشير بأسلوب كامل للحياة، ويحقق كافة المزايا، ويتجنب كافة المساوئ»^(١)، هذه شهادة كافية ولا تحتاج إلى تعليق؛ لأنها صدرت من رجل محايد ومتخصص في علم الاقتصاد.

ثالثاً: تقليل النسل (تحديد النسل):

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن زيادة السكان وكثرة المواليد هي السبب في مشكلة الفقر، إذ إن الأرض لا تكفي من عليها، وإن الزيادة السكانية تلتهم كل ما حققتة الدولة من تنمية؛ الأمر الذي جعل كثيراً من الناس يرون من زيادة النسل ويطالبون بوضع قوانين صارمة للحد من زيادة المواليد.

مناقشة هذه المسألة:

قولهم: إن الأرض لا تكفي من عليها، غير صحيح، والدليل على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۖ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥: ٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُنَّ بِاللَّهِ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝١﴾ [فصلت: ٩-١٠].

٢- أن نسبة المعمور من مساحة مصر لا يزيد عن ٨٪ أي هناك أكثر من ٩٠٪ من مساحة مصر لاتزال أرض بكر (بور) لم تستغل حتى الآن^(٢).

٣- «إن النظرة الفاحصة إلى هذا الاتجاه، وإلى لغة الأرقام والعد والإحصاء توضح لنا خطأ هذا الاتجاه، وبُعده تماماً عن الاتجاه العلمي الصحيح، وأنه لا يهدف إلا للإثارة وحجب الحقائق ويتضح ذلك فيما يلي:

(أ) نظرهم إلى الأمور نظرة جزئية منفصلة عن التطورات الاجتماعية الأخرى، والاكتفاء بالموارد الطبيعية، وتجاهل قدرة الإنسان على معرفة الطبيعة، واستخدام وسائل التأثير فيها.

(١) ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية ص ٨٨، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٨م نقلاً عن كتاب دور رأس المال في الفكر الإسلامي، مرجع سابق.

ومن أخطر المساوئ تأجيج العداوات بين الأغنياء والفقراء، واتساع الهوة بينهما، ونشر الحقد والحسد ... وهذا أخطر وأشد على القيم الإنسانية والقيم الدينية من الفقر ذاته، ولا تزال آثار هذه المساوئ باقية وفي ازدياد.

(٢) انظر ص..... من هذا البحث.

(ب) ربط حركة النسل بالمشكلة الاقتصادية مغالطة كبرى؛ إذ يرى بعض العلماء عكس ذلك. (ج) ما وصل إليه العلم الحديث، والتقدم التقني في حماية المحاصيل الزراعية والغلال من الآفات، واكتشاف التربة الصالحة، والقيام بمسح الأرض الزراعية ومعرفة خصائصها، واختيار السلالات الأفضل، واستخدام الظروف الأنسب، واستخراج المياه الجوفية بأدوات الرفع الحديثة، وتحلية مياه البحار، وإزاحة ملوحة المستنقعات، وتحويل الظروف الجوية، مثل: زرع السحب، وتحسين طرق استخدام المياه، والملائمة بين المحصول والبيئة، وتوفير العناصر الغذائية عن طريق التهجين والتطعيم، واستخدام الأقمار الصناعية، والحاسب الالكروني، والآلات الحديثة.. إلخ^(١)، ناهيك عن اكتشاف المعادن، والبترو، والغاز الطبيعي.... وعن تطوير مزارع الثروات الحيوانية والدواجن والأسماك، وتعدد المهارات واكتساب الخبرات... كل ذلك يؤكد خطأ نظرية تحديد النسل، وأنها كافية لحل مشكلة الفقر كما يزعمون؛ لأن الإنسان كما هو مستهلك، وله متطلبات وحاجات، فهو منتج أيضاً وله مهارات وطاقات، إن هي وظفت توظيفاً حسناً أتت بأضعاف أضعاف ما يحتاج وما يستهلك.

وأنا لا أدري لماذا يرى أصحاب هذا الرأي أن الإنسان أكالاً، لا شغلاً، ومستهلكاً، لا منتجاً، وعبئاً على المجتمع، لا عوناً له.

ولو نظرنا إلى مصر الآن في ظل هذه الظروف، لرأينا أنه ما عاد لها من رصيد يذكر في موازين القوى على المستويين الدولي والإقليمي، إلا بكثرة رجالها وتنوع خبرات أبنائها.

«نحن نؤمن أن الثروة الحقيقية في مصر هم أبنائها، إذ يمثلون الرأس مال الحقيقي لمصر، هم القوة المنتجة لكل السلع والخدمات والقيم... فليس السكان هم المشكلة، وليست زيادة أعدادهم كارثة ينبغي العمل على القضاء عليها، إن الدولة في مصر تنظر إلى عدد السكان، وتغفل أبعاداً أخرى مهمة، إننا نطالب الدولة بضرورة الاعتراف بأن البشر هم الثروة الحقيقية، وهم أغلى ما تملك مصر^(٢)».

ومع ذلك لا يزال في مصر من ينادي بتحديد النسل، وكم تُرصد لهذه الدعاية الأموال الطائلة والمساحات الهائلة في القنوات الإعلامية والصحف... الأمر الذي جعل الكثيرين يؤمنون بهذه

(١) مشكلة الجوع في العالم، وكيف عالجها الإسلام ص ٣٥ وما بعدها بتصرف، مرجع سابق، ولا يخفى أن كثيراً من العلماء تكلم عن مسألة تحديد النسل، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ص ٢٥٨ وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) مصر المحروسة ص ٦٨، ٦٩، مرجع سابق بتصرف.

الفكرة، ويرون أنها أنجع الحلول لمشكلة الفقر - وبفضل هذه الآلة الإعلامية الجبارة - انخفضت أعداد المواليد، وتراجع^(١) النسل والمشكلة لازالت باقية وفي ازدياد، وتحتاج إلى حل. إن من أسباب فشل هذه النظرية والنظريات التي سبقتها، الاعتماد الكلي على العقل والفكر البشري القاصر، وتقليد الغير والنقل عنه دون مراعاة القيم والخصوصيات، التي عاش بها ولها المجتمع المصري، والاكتفاء بالقوانين الوضعية، والرؤية البشرية الضيقة التي لا تراعي ولا تهتم - غالباً - إلا بالشكليات، وتسكين الأوضاع.

رابعاً: المنهج الاقتصادي الإسلامي:

يقول الدكتور حلمي صابر: «لقد اتضح لي أن أي تفسير للمشكلة بقلة الموارد وشح الطبيعة، أو عدم وفرتها وكفايتها ... هو جهل صريح بالحقائق، إن تقصير الإنسان لا يقف عند حد إهماله في استغلال ما في الطبيعة من ثروات كثيرة متاحة، بل يتعدى تقصيره إلى سوء توجيه ما في يده من ثروات. إن أي كلام في المشكلة يخرجها عن الإطار الإنساني فهو حجب عن الأسباب الحقيقية لها. إذن تستطيع أن تقرري في حزم ويقين بأن الإسلام وحده هو الذي أصاب كبد الحقيقة في تحديد المشكلة ووضع الحل الجذري لها دون غيره من المذاهب الأخرى»^(٢)، وهذا ما سأذكره بالتفصيل - إن شاء الله - في الصفحات التالية.

منهج القرآن والسنة في حل مشكلة الغذاء والاستفادة منها:

أولاً: القرآن الكريم:

يقول الله ﷻ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (١٣٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَتَيْنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ تُنْسَىٰ ﴿١٣٦﴾ [طه ١٢٣ : ١٢٦].

(١) انظر كتاب مصر المحروسة ص ١٠٤ ، نقلاً عن بيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء عام ٢٠٠٦م الذي يؤكد انخفاض معدل الزيادة الطبيعية في السكان عبر السنوات الماضية ١.٩٪ بعد أن كان ٢.٨٪ في سنة ١٩٨٠م.
(٢) مشكلة الجوع في العالم ص ٣٥ ، ٤١ ، مرجع سابق بتصرف، وللمزيد انظر مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ٢٢ ، وما بعدها ، مرجع سابق.

لقد حكى لنا القرآن الكريم عن الأنبياء والأمم السابقة لنعبر بها ولنستفيد من تجاربها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

في هذه السورة بين لنا الحق تبارك وتعالى كيف تصدى نبي الله يوسف ﷺ، لأخطر مشكلة فقر واجهت مصر، بل والعالم.

لقد بين القرآن الكريم «معالم النجاح لكل معارك الحياة، منذ البدء وحتى الختام، تأمل سياق السورة (تقوى + عمل + صبر + إحسان = نجاح) ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، ثم أرشد سبحانه على لسان نبيه يوسف ﷺ إلى:-

- ١- زيادة الإنتاج ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًا﴾.
- ٢- زيادة المدخرات ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾.
- ٣- قلة الاستهلاك ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧]، نوع الاقتصاد (تزرعون)، أحدث طرق التخزين وحفظ الغلال، (فزره في سنبله)، موهبة مصر الزراعة وحل مشاكلها يكمن - أولاً - في الزراعة^(١).

نموذج آخر (أمة تقيم السدود):

لقد عرض علينا القرآن نموذجاً حياً لأهمية العمل في حياة الشعوب، في مشهد ذي القرنين عندما مرّ على أمة - لضعفها وهوانها - لا يكادون يفقهون قولاً أو يحسنون صنعة ... ولا يقدرّون على البناء ولا الدفاع عن أنفسهم ... لذلك فهم يبحثون عن قائد ماهر (من غيرهم) يدفعون له ما لا يحميهم من عدوهم (بأجوج ومأجوج)، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٤٨، ٨٣]، ثم قال سبحانه: ﴿حَقَّقْ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞﴾ [٩٣] قَالُوا يَنْذَارُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

(١) منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين، ص ٣٢٦، مرجع سابق.

فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ [الكهف: ٩٦: ٩٣]، تدبر قول (ذي القرنين لهم)، ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾، ﴿انْفُخُوا﴾، ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، وقد كان في وسعه أن يقوم بهذا العمل وحده، لكنه ﷺ أشركهم معه ليتعلموا ويعتمدوا على أنفسهم ويعرفوا قيمة العمل.

* تنبيه القرآن الكريم على الثروات الطبيعية^(١):

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢: ٣٤].

* الثروة النباتية:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل: ١٠: ١١]، وعن أهمية النحل وما ينتج عنه يقول: ﴿وَآتَوْنِي رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ٦٨: ٦٩].

* الثروة البحرية:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

* الثروة المعدنية:

(١) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ١٣٢، مرجع سابق.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وفي سياق الكلام عن النعم وعن العلماء الذين يقدرونها ويستثمرونها فيما خلقت له، ويشكرون الخالق أن هداهم للاستفادة منها.... قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيَّةٌ سُودٌ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٧: ٢٨].

والآيات التي تذكر نعم الله ﷻ وترشد إلى ما أودع الله في الطبيعة من خيرات، وما أودع في الإنسان من طاقات أكثر من أن تحصى.

ثانياً: السنة المطهرة:

تروي لنا كتب السنة وكتب السير أن النبي ﷺ استعاذ بالله من الفقر، بل حاربه قبل النبوة وبعدها إذ عمل يرعى الغنم صغيراً، وعمل بالتجارة كبيراً، ونصح الأمة وأرشدتها إلى العمل والبحث عن الرزق، وحفظ الموارد والنعم، وإحياء الأرض الموات، والاستفادة من الأوقات والثروات، بما يعود على الناس بالنفع... وربط ذلك كله بعقيدة الإيمان بالله ﷻ، والعمل الصالح، بل وربما رفع قدر هذا العمل إلى درجة الجهاد في سبيل الله، وأنه أعلى درجات الكسب الحلال، وقصته ﷺ مع الرجل الذي علمه كيف يحتطب وصنع له القدوم بيده، وحثه لأهل المدينة على الزراعة، وقوله ﷺ للرجل الذي عكف في المسجد وأخوه هو الذي يطعمه - أخوك أعبد منك - وكذلك العقيدة، والوليمة، وإطعام الصائم، وإكرام الضيف، والجزية... وما يفرضه ولي الأمر زيادة على الزكاة المفروضة... وربط ذلك بعقيدة الثواب والعقاب... كل ذلك سيأتي بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله تعالى^(١).

* * *

(١) انظر ص.... وما بعدها من هذا البحث ففيه شروح وتفصيل لكل هذا الإجمال، وانظر كتاب الضمان الاجتماعي، الفصل الثاني، حث السنة على العمل وحماية الخلق ص ٣٧، وما بعدها، ط دار القلم، الإمارات، دبي سنة ١٩٩٠ م، وحديث: اذهب فاحتطب... رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

المبحث الأول: الحلول الثقافية الضرورية لمواجهة المشكلة

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: الاهتمام بالتوعية بكل أنواعها الدينية والثقافية والإنتاجية وغيرها.

المطلب الثاني: الاستفادة من الأبحاث العلمية للمتخصصين ومن أهل الخبرة،
وتفعيل مقترحاتهم.

المطلب الأول: الاهتمام بالتوعية بكل أنواعها الدينية، والثقافية، والإنتاجية:

لأن مشكلة الفقر ليست مشكلة عابرة، ولا أزمة عارضة، ستزول مع الأيام والليالي أو بمجرد توفير المواد اللازمة للحياة في حدود ما يحتاجه الناس الآن وغداً وبعد عام ... كلا، فالفقر كما له أسباب عدة تضافرت وتشابكت وتراكمت، يجب أن تكون له حلول عدة - أيضاً - يدعم بعضها بعضاً فيحدث التكامل، والتناصر، والتأزر.

ومن أهم هذه الحلول - إن لم يكن أهمها على الإطلاق - الاهتمام بالتوعية والتوجيه السديد في ميادين العلم والإعلام، حتى ينشأ أبنائنا على المعرفة الحقة، والعلم النافع والمفيد لمواجهة الواقع والتفاعل معه عن خبرة ودراية وفهم.

ولا يكون ذلك بالخطب في المناسبات السياسية والاجتماعية ... وإنما يكون العلم بالتعلم ووضع البرامج وتزويد المناهج بالمعارف اللازمة لبناء الإنسان وشحن همته، وثقل مواهبه، وبث روح الأمل في نفسه، والثقة في قدراته وإمكاناته.

أولاً: - التوعية الدينية:

وذلك بقيام رجال الدعوة بدورهم في حث الناس على التكافل الاجتماعي ورعاية المحتاجين في المجتمع، والتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية في مجال الكفارات والندور ووجوه الخير، وكذلك التمسك بالقيم الإسلامية مثل: النفقة على الأقارب تطوعاً وليس عن طريق المحاكم^(١)؛ لأن الإنسان العالم بالإسلام وأهدافه وآدابه ومناهجه، لا، كالجاهل بكل ذلك، مثلاً: كيف يؤمر المرء بالتوسط والاقتصاد في المعيشة وعدم الإسراف أو التبذير... وهو يجهل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (٦٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿[الإسراء: ٢٦: ٢٧].

«كيف يعلم هذا أن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد رباني منبثق عن عقيدة ربانية هي عقيدة التوحيد الذي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه فهو معبر عن هذه العقيدة في مجاله وهو خادم لها كذلك. إن الاقتصاد الإسلامي يعمل بكل قوة على تحقيق الحياة الطيبة لأهله بحيث تتوافر لهم كل حاجات الحياة ومطالبها المشروعة ولكنه لا يرضى أن تكون هذه الحياة هي غاية الغايات بل يريد لها

(١) انظر كتاب أبحاث ندوة الفقر والفقراء في نظر الإسلام ص ٤٥، مرجع سابق.

أن تكون سلماً حياة أرقى وأزكى وأخلد وهي حياة الخلود التي وعد الله بها المؤمنين والمؤمنات من عباده.

الاقتصاد الإسلامي اقتصاد رباني؛ لأن منطلقاته ربانية؛ ولأن غايته ووجهته كذلك ربانية، همه أن يعين المكلفين على أن يعبدوا ربهم ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، وأن لا يجرحهم الفقر إلى الكفر ولا يدفعهم الجوع إلى الإثم، ولا يعلوا صوت المعدة الخاوية على صوت الإيمان الحي^(١)، وأننى للمرء أن يعرف ذلك دونما توعية إيمانية يتربى عليها منذ نعومة أظافره، وتستمر معه ما بقى على قيد الحياة.

يعلم المسلم أن الله ﷻ خلقه من الأرض، لكن هل يعلم كل مسلم أن الله - سبحانه - استخلفه فيها، وطلب منه أن يعمرها ويستفيد بكل ما فيها في حدود ما أحل الله له؟ ولقد حكى لنا القرآن الكريم عن العلماء الذين نصحوا قارون صاحب المال إذ قالوا له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص: ٧٧].

- هل يعرف كل مسلم هذه الأمور؟

- هل يعرف كل مسلم ما يجب عليه نحو أهله ورحمه وجيرانه من بر وتعاون وتكافل وتسامح وولاء؟

«إنه لا يمكن للمسلم في هذا العصر أن يحقق استقراره النفسي ما لم يعمل على إعادة البناء الصحيح لهذا المجتمع السليم بالإسلام فوق أنقاض ما تركه له الاستعمار القاسي والتخلف الطويل، وبعيداً عن الاستسلام للضغوط الضارية من الشرق والغرب»^(٢)

إن المسلم في حاجة دائمة إلى من يذكره بالله، واليوم الآخر، وقيمة العمل في الإسلام وثوابه في الآخرة، وخطورة التبعية، والانقياد، والاستسلام، والهزيمة ... كما هو في حاجة أيضاً إلى من يذكره بالنصر، والعز، والقوة، ووسائل ذلك، والطريق إليه.

(١) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٣٥:٣٦، مرجع سابق.

(٢) كتاب سباق المستقبل بين الدين والشيوعية ص ٢٢٨ - ط دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٦ م.

ثانيًا: التوعية الثقافية:

مع الإرشاد الديني، والتوجيه المعنوي الذي يقوي العزائم ويعرف المسلم بالقيم الإيمانية المرتبطة بالعمل الصالح، تأتي الثقافة العلمية التي ترشد المسلم إلى عناصر الثروة، ومصادر الطاقة، وأين توجد؟ وكيف تستخرج؟ وكيف يمكن الاستفادة منها ... وكيف تحفظ وتصان؟ وما هو الخطر الذي يهددها؟ وكيف نتصدى له؟

وعلى سبيل المثال يقول الدكتور محمد أبو زيد/ وزير الموارد المائية والري، الأسبق: «إن التحدي الأكبر الذي يواجه مصر خلال المرحلة المقبلة يتمثل في مخاطر تلوث المياه ولعل سلوكيات المجتمع بجميع فئاته تجعل من مواجهة هذا التحدي أمرًا ليس بالسهل، وهو أمر يتطلب المزيد من العمل والجهد من أجل تعديل اللوائح والقوانين القائمة»^(١).

إذن لابد من ترشيد مستمر حتى يكون المجتمع على علم بهذه المخاطر وتلك التحديات، لا في الماء وحسب ولكن في كل الموارد والطاقات المهدرة و الأيدي العاطلة ، والأوقات الضائعة، فبالثقافة الدينية يعلم المرء الفرق بين القدر والاستسلام للفقر، فليس عيبًا أن يولد المرء فقيرًا، وإنما العيب أن يعيش فقيرًا وهو يقدر على الغنى بالطرق المشروعة ولم يفعل، ويكون عالة على الناس، وبالثقافة عموماً يعرف الإنسان خواص الأشياء، وعناصرها، وتركيباتها وما تحتاج إليه من جهد ومال ووقت، حتى تثمر وتعطى وتدوم.

وهذه الثقافة لا تتم بين عشية وضحاها، وإنما لابد لها من إعداد واستعداد ودعم مالي ودراسات متخصصة في التنمية البشرية والموارد والثروات، وهذا لا تقوى عليه الأفراد والجماعات .. وحدها .. بل لابد من تدخل الدولة ... وسن القوانين ... وإصلاح التعليم والإعلام، ووضع الميزانيات اللازمة والدعم الكافي.

ثالثًا: التوعية الإنتاجية:

لأن الإنتاج هو ثمرة العمل سواء أكان هذا الإنتاج يحتاجه المنتج له أو ينتجه لغيره، في كلا الحالتين المسلم مأمور بالعمل، وتطويره وإتقانه؛ «لأن العمل مطلوب، ولو لم ينتفع بثمرته أحد، لكنه رمز لعطاء المسلم، وتواصله، واستمراره، ومن القيم المهمة في مجال الإنتاج بعد قيمة العمل، إحسان العمل وإتقانه، فليس المطلوب في الإسلام مجرد أن نعمل، بل أن نعمل عملاً حسنًا، وبعبارة أخرى

(١) صحيفة الأهرام يوم ١٦/٥/٢٠١٠م ص ٦ / رقم (٤٥٠٨٦).

أن يحسن العمل ويؤدى بإتقان وإحكام»^(١)، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٥٠]، ويكون ذلك بتهيئة المجتمع نفسياً وأخلاقياً وعلمياً لقبول الأعمال الإنتاجية التي تحتاج إلى وقت طويل، أو إلى تعاون وتضافر جهود الجميع، وذلك كزراعة القمح، واستصلاح الأراضي، والتدريب المهني^(٢)، وإنشاء المصانع الكبرى التي تستوعب الأعداد الكبيرة من الخريجين والعاطلين ... وهذا كله سيحتاج إلى تعاون وإعداد ودعم من الدولة، حتى تربى الكوادر العلمية المؤهلة والمدربة والمؤمنة بالفكرة التي يقوم عليها كل مشروع منتج ومفيد؛ لأن «السقوط الشعبي ... وانصراف الهمم إلى الدعة والوضاعة ... أخطر على الأمة التي تستوجب ظروفها النهوض - من معارك القتال - وأثارها المدمرة ... فليس بعد هزيمة النفس هزيمة كما لا يستحيل شيء على أصحاب العزيمة، وإذا كان المضمون الأساسي للتنمية هو تعبئة كل موارد المجتمع واستغلالها أفضل استغلال ... فأهم هذه الموارد القوى البشرية؛ لأن المشاركة الشعبية هي العلامة البارزة أو المؤشر الفعلي لبدء النجاح في عملية التنمية، والمشاركة الحقيقية هي التي تتسم بالإقبال على تسير شؤون المجتمع، والثقة في المنهج التي تنطلق منه حركة الحياة عن هذا المجتمع»^(٣).

وحتى تتم هذه المشاركة وتؤتي ثمارها لابد من تهيئة المجتمع نفسياً، وأخلاقياً، لقبول المنهج المطروح للإصلاح، والثقة بأنه مضمون النتائج والفوائد وأنه يحتاج إلى عزائم، ومغارم، ونفقات، وأوقات.

فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم^(٤)

ولقد ذكرت كيف أن الإسلام قادر على تربية النفوس، وتنمية المواهب وشحن الهمم وإيقاظ الضمائر، حتى تعمل الأيدي الأعمال التي ترضى بارئها، وتعود بالخير على العباد والبلاد؛ طاعة لله ورغبة في ثوابه، وخوفاً من عقابه، ومع الأسف الشديد كثير من التجار والمستثمرين لا يعرفون عن هذه المعاني شيئاً ذا بال، إنهم - إلا القليل - لا ينظرون إلا إلى الربح السريع والعاجل والذي لا يكلف جهداً ولا وقتاً ... والدولة ملزمة بتهيئة الظروف المناسبة، والدعم اللازم لمثل هذه الاستثمارات

(١) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ١٥٠ / مرجع سابق.

(٢) وقد ذكرت أن الفلاحين يهربون من زراعة القمح إلى الفواكه ... وكذلك المستثمرين يبحثون عن الربح السريع

فيستثمرون أموالهم في لعب الأطفال والمشروبات والأطعمة السريعة ... انظر ص.....

(٣) منهج الإسلام في علاج حاضر المسلمين ص ٢٠٨، ٢٠٩، مرجع سابق، بتصرف يسير.

(٤) المتنبي، المثل السائر (٩٧/١) لابن الأثير المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥.

المهادفة الواعدة «فالدولة في الإسلام ليست صوتاً يرهب، ولا قوة ترعب، إنما هي مؤسسة تربوية وإرشادية، إلى جانب أنها مؤسسة سياسية وإدارية وإلزامية»^(١).

ولا يكفي في هذا الباب، الإرشاد الشفوي، إنما يجب - بجانب ذلك - القيام بخطوات عملية وفعالة للأخذ بأيدي الناس وترغيبهم في العمل، وتشجيعهم عليه بتذليل العقبات، وتهيئة الظروف، وتوفير المتطلبات من بنية أساسية، وعمالة مدربة، وتسويق مجزي حتى يطمئن المستثمرون ورجال الأعمال والتجار وجميع قوى الإنتاج على أموالهم وجهودهم وإنتاجهم.

«إن الحكومات في الجزء الأكبر من رقعة الشرق لا تهتم بمشروعات الإصلاح المنتجة قدر اهتمامها بالمشروعات التي تعود على الأقطاب بدعاية كبيرة، أو شهرة واسعة أو نفوذ متسع النطاق، أما التعليم والري وإنشاء خزانات المياه، ومشروعات توليد الكهرباء، وصناعة الأسمدة، فإنها مازالت تدرس منذ عشرات السنين ثم توضع على الرف، ثم يعاد دراستها ونفض الغبار عنها ثم تعاد إلى الرف مرة أخرى ... وهكذا حتى يئس العالم الشرقي من كل دعاية تذاع أو تكتب في الصحف حول مكافحة الجهل والمرض والأمية والحفاء»^(٢).

إذن لابد من ثقة متبادلة بين القائمين على الأمر، وبين الراغبين في الإنتاج، وإقامة المشاريع التي تحتاج إلى جهد ووقت، حتى تزول تلك التصورات القديمة والتي مازالت آثارها ممتدة حتى اليوم، وتعمل في عزائم الأمة كعمول هدم، وتثبيط وإضعاف، لاسيما وأن «الفئات الغنية في البلاد الفقيرة تستمد قوتها من غناها، ومن سيطرتها على نظام الحكم، وبجانب ذلك فإنها تستمد قوتها أيضاً من ارتباطاتها الدولية التي توفرها لها العولمة المعاصرة»^(٣).

وخلاصة هذا المطلب:

(١) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٤٢٥، مرجع سابق.

(٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ص ٢٠٤، مرجع سابق بتصرف.

(٣) د/ رفعت العوضي/ أبحاث ندوة الفقر والفقراء في نظر الإسلام ص ٢٠٣ / مركز صالح كامل الاقتصادي.

أنه لابد من توعية وإرشاد وتثقيف هادف ومدرّس، يسير جنباً لجنب مع الحلول المادية في مواجهة الفقر، حتى تستيقظ الضمائر، وتبنى العقائد، وتشحذ الهمم، ويدوم الخير، ويعرف الناس الطرق الصالحة للوصول إليه والاستفادة منه، والمحافظة عليه.

المطلب الثاني: الاستفادة من الأبحاث العلمية للمتخصصين، ومن أهل الخبرة وتفعيل مقترحاتهم:
لأن الحياة تتطور، والأمور تتغير، وما كان صالحاً بالأمس قد لا يصلح اليوم وغداً، والإنسان يجب أن يتزود بكل ما ينفعه من معلومات لا بد منها في مجال الإنتاج والتطوير والتنمية.
ولا يكون ذلك إلا بالاستفادة بالأبحاث العلمية للأساتذة والخبراء في مجال الاقتصاد والتطوير والتربية، ومن فضل الله على مصر والعالم، أن المكتبات مليئة بالأبحاث المتخصصة والمتنوعة، لاسيما في كليات الاقتصاد والزراعة وغيرها.

ومن هذه الأبحاث على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

- ١- أثر السياسات الغربية على استهلاك الحبوب في مصر / كلية الزراعة/ بنين القاهرة/ قسم اقتصاد زراعي/ تاريخ النشر ١٩٩٣م/ للباحث: إبراهيم السيد حجاج (دكتوراة).
- ٢- دراسة اقتصادية للموارد الأرضية الزراعية/ كلية الزراعة/ بنين القاهرة/ قسم اقتصاد زراعي/ للباحث: جمال إسماعيل محمد/ تاريخ النشر ٢٠٠٢م/ المكتبة العامة بجامعة الأزهر، برقم ٣٣٣/٧٩٨٤، (رسالة ماجستير).
- ٣- دراسة اقتصادية لتنمية الصادرات الزراعية المصرية/ كلية الزراعة/ بنين القاهرة/ قسم اقتصاد زراعي/ الباحث/ عباس أبو ضيف محمد/ تاريخ النشر ٢٠٠٨م/ المكتبة العامة برقم: ٣٣٣/١٢٩٧٦، (ماجستير).
- ٤- الفقر والفقراء في نظر الإسلام - أبحاث ندوة الأحد/ ٨ من رجب ١٤٢٠هـ الموافق/ ١٧ من أكتوبر ١٩٩٩م، ط مركز صالح كامل الاقتصادي الإسلامي - جامعة الأزهر الشريف.
- ٥- وسائل المجتمع الاقتصادية لتأهيل الشباب المبكر للحياة الاجتماعية د/ عدنان حسن باحارث، ط دار المجتمع للنشر والتوزيع سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، والتي فيها ربط تعليم الشباب العام بسوق العمل، ومحاربة البطالة، وإعطاء الشباب ما يكفيهم ... هذه الرسائل العلمية المتخصصة، كثيرة ولا يستفاد منها في المنهج العلمي والتطبيقي لأي مشروع إنتاجي، فضلاً عن آراء العلماء الربانيين وتوجيهاتهم التي ملأت المكتبات والكليات والجامعات، مثل: كتابات الدكتور/ يوسف القرضاوي،

والدكتور/ محمد شوقي الفنجري، والشيخ/ محمد الغزالي، وغيرهم وغيرهم^(١)، فالأخذ بما في هذه الأبحاث من علوم وتوجيهات، لا شك أنه يخدم ويدعم الحلول المادية التي سبق ذكرها.

والملاحظ - في مصر - عدم الاستفادة من هذه الأبحاث بالقدر الكافي لحل المشكلة، أو حتى التقليل من أثارها السلبية، بل ولجأت على القوانين الأجنبية، والحلول المستوردة^(٢).

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: «في عالم الاقتصاد، لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة، وله رصيد مذكور، قبل أن يراجع رصيده، فيرى إن كان فيه غناء، ولا تلجأ الدولة إلى الاستيراد قبل أن تراجع خزائنها، وتنظر في خاماتها ومقدراتها كذلك ... أفلا يقوم رصيد الروح، وزاد الفكر ووراثات القلب والضمير، كما تقوم السلع والأموال في حياة كل الناس؟! بلى، ولكن الناس في هذا العالم الذي يطلق عليه اسم (العالم الإسلامي)، لا تراجع رصيدها الروحي وتراثها الفكري، قبل أن تفكر في استيراد المبادئ والخطط، واستعارة النظم والشرائع، ومن خلف السهوب ومن وراء البحار!!

إن الناس تنظر فترى واقعاً اجتماعياً لا يسر، وتبصر فترى أوضاعاً اجتماعية لا تحقق العدالة، وعندئذ تتجه بأبصارها إلى أوروبا وأمريكا وروسيا والصين ويوغوسلافيا وما إليها! تستجلب منها الحلول لمشكلاتها، كما تستورد منها السلع لمعاشها، غير أنها عند استيراد السلع تراجع أرصدها القديمة، وتحصي موجوداتها في السوق، وتنظر في قدرتها على الإنتاج، فأما عند استيراد المبادئ والنظم والقوانين، فلا تصنع شيئاً من هذا كله، ولا تتخرج أن تلقي بكل تراثها الروحي، وكل مقوماتها الفكرية، وكل الحلول التي يمكن أن يتيحها لها النظر فيما لديها من أسس ومبادئ ونظريات»^(٣)، وخصوصيات وقيم وعقائد وأخلاق، تجعل لها ذاتية اقتصادية، وأدبية، وسياسية، تغنيها عن التبعية، وفقدان الهوية، والتخبط بين الأفكار الغربية والشرقية التي دوخت الأمة، ولا زالت بعض العقول والقلوب متعلقة بهذه الأفكار، مع أن هذه الأمة غنية بأبنائها وعلمائها في شتى المجالات، ففي الأبحاث التي ذكرتها وفي غيرها كثير من التحذيرات من خطورة التبعية الاقتصادية^(٤)، وفيها - أيضاً - إرشادات ونصائح كفيلة بإقامة مجتمع فاضل ينعم بالسخاء والرخاء، والأمن والاستقرار.

(١) انظر المراجع - آخر البحث - فهناك عدد من المراجع لهؤلاء العلماء وغيرهم.

(٢) انظر الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ص ١٨٢، وما بعدها، مرجع سابق.

(٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص ٧، مرجع سابق.

(٤) انظر كتاب فكر المسلم المعاصر ما الذي يشغله؟ ص ٢٠١، وما بعدها، إجابات عن أسئلة للدكتور/ محمد شوقي

الفنجري، ومجموعة علماء، مرجع سابق، وانظر كتاب الجهاد الاقتصادي فريضة شرعية، وضرورة إيمانية، للدكتور/ حسين

لذا يجب علينا - بجانب الحلول المادية للفقر - أن نستفيد من آراء العلماء المخلصين لدينهم، وأمتهم، وشعوبهم، فلا يليق أن نستمر في التجاهل لعلوم هؤلاء العلماء، وفي إقصاء آرائهم وأبحاثهم التي ملئت الدنيا فضلاً عن مكتبات مصر وجامعاتها.

شحاتة ص ١٣، ١٢، وما بعدها، ط المكتبات الإسلامية الكبرى ٢٠٠٢م، وانظر كتاب إسلامية لماذا؟ معالم الدولة القادمة ص ١٣٨، ١٣٩، المؤلف سعد الدين الحسيني، ط دار البينة ١٩٩٣م.

المبحث الثاني: الحلول المادية الضرورية لمواجهة المشكلة:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل.

المطلب الثاني: تشجيع العمل والإنتاج بالوسائل الممكنة والمتاحة.

المطلب الثالث: الاهتمام الخاص بالأمن الغذائي ومشكلة السكن والعلاج.

المطلب الرابع: محاسبة المتسببين في الفساد ليكونوا عبرة لغيره.

المطلب الخامس: مراجعة قوانين الاستثمار الأجنبي، واستيراد السلع لصالح المنتج المحلي.

المطلب الأول: مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل:

ذكرت أن مصر بها خيرات كثيرة، وثروات وفيرة، وأنها لا تستغل الاستغلال الأمثل، ولا توزع التوزيع العادل وهذا من أخطر أسباب الفقر، ومادام السبب قد عرف فقد شخص الداء، وانتظر المريض الدواء، والدواء هنا (العدل في توزيع الثروات، وفرص العمل)، ويتمثل ذلك فيما يلي:

١- الاعتدال في الإنفاق الحكومي:

«إذا كان الاعتدال مطلوباً من الفرد ... فهو مطلوب كذلك في نفقات الحكومة، ابتداءً من رئيس الدولة فمن دونه، ليكون أسوة في التعفف والتقليل من مظاهر النعيم والأبهة، وقد كان ﷺ وهو إمام المسلمين أول من يجوع، وآخر من يشبع، قال أبو هريرة رضي الله عنه، «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير»^(١)، وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متتالية، ولو شئنا لشبعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه»^(٢)، وتبعه على ذلك خلفاؤه الراشدون وصحابته والصالحون. وما يروى عن سيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا عمر بن العزيز - في الزهد والعدل - مشهور ومعلوم.

٢- إعادة النظر في سياسة الأجور والمرتبات.

لاسيما ما يسمى بالرواتب والكوادر الخاصة والوظائف السيادية بما يضمن العدل، ويتيح الفرص للجميع دون تمييز أو انحياز^(٤).
«فهناك جهات ينفق فيها المال بغير حساب، ولا يكاد يسائلها أحد، مثل الإعلام والرياضة والأمن.....»^(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة برقم ٥٠٩٨ باب ما كان النبي وأصحابه يأكلون (٥ / ٢٠٦٦) دار ابن كثير مرجع سابق.

(٢) رواه البيهقي الترهيب والترهيب (٤ / ٩٢) برقم ٤٩٤٠. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ ط الأولى تحقيق إبراهيم شمس الدين، والحديث صحيح لغيره، انظر كتاب صحيح الترهيب والترهيب للشيخ الألباني ج ٣ ط ٥ / رقم (٣٢٦٦)، مكتبة المعارف بالرياض.

(٣) دور القيم والأخلاق ص ٢٥٢، مرجع سابق.

(٤) انظر كتاب جذور الفساد الإداري في مصر ص ١٧٩، مرجع سابق.

فعلى سبيل المثال لا الحصر «أن العمالة بقطاع الدفاع والأمن والعدالة - خاصة وزارة الداخلية - تندرج تحت ما يسمى «الكادر الخاص»، حيث نجد أن نحو ٩٣٪ من العاملين ينطبق عليهم هذا الكادر من حيث المزايا....»^(٢).

إن التفاوت الكبير بين شاغلي الوظائف المختلفة في الوزارات يجب أن يزول، كما يجب أن يكون الاختيار لشغل هذه المناصب والوظائف قائم على العدل والحق والكفاءة، لا على الوساطة والمحسوبية.

٣- تخصيص جزء من عوائد النفط والغاز والثروات للفقراء، والأحياء الفقيرة:

بهدف الارتقاء بها وتطويرها وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وذلك كل عام أو في خطط الموازنة حتى تعود الطبقة الوسطى إلى سابق عهدها، ونرى لها حضور في المجتمع المصري. يقول الأستاذ الدكتور/ رءوف شلبي رحمته الله «العدالة الاجتماعية ركن من أركان الاقتصاد، وليست فكرة متروكة للاجتهاد، بل مبدأ ديني جعله الله عز وجل مسئولية المجتمع الإسلامي نحو أفراد، فبين لأبناء المجتمع الإسلامي علاقتين أساسيتين عليهما تقوم دعامة العدالة الاجتماعية. العلاقة الأولى:- الإخاء: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

العلاقة الثانية:- تحمل المجتمع مسئولية الولاية بين أفراد، غير أن مفهوم العدالة الاجتماعية له جانبان:-

جانب اقتصادي: وهو رعاية المحاويج.

جانب أخلاقي: وهو احترام القيم، وحماية كرامة الإنسان.

والجانب الاقتصادي في رعاية المحاويج يصور توظيف المال لخدمة الإنسان، فشرع الإسلام عدة قوانين مالية للمحافظة على الضعاف والمحاويج في المجتمع، فالزكاة، والصدقة، والنذور،

(١) دور القيم والأخلاق ص-٢٥٣، مرجع سابق، وكتاب: لماذا لا يشور المصريون، ص-٩٧، ٩٦، مرجع سابق.

(٢) جذور الفساد الإداري في مصر ص-٢٨٩، مرجع سابق.

والكفارات، والهبة، والوقف، والرقي، والعمرى، والفىء، والأنفال، والركاز، والميراث، والعدل بين الأولاد، وتحرير الرقيق، وإحياء الموات والأضحىة، والهدى أهـ»^(١).

٤- إطلاق القدرات فى إحياء الموات وتعمير الأرض:

قال ﷺ: «من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له»^(٢)، والأرض الموات هي: الأرض التي لا يملكها أحد كالصحارى، والوديان، والهضاب، والجبال، والغابات، وكما يسمى بـ«العصر» أرض الدولة - أو ملك الدولة ... هذه الأرض رغب الشرع فى استصلاحها والانتفاع بها فى الزراعة أو الصناعة أو السكن، بل واعتبرها الشرع من أعظم الموارد التي يمكن الاعتماد عليها فى سد حاجات الناس من الطعام والسكن «وقد عرف هذا الأمر فى الفقه الإسلامى بعنوان معبر جميل»، «إحياء الموات» أو «إحياء الأرض الميتة»، وكان من سياسة النبى ﷺ وخلفائه الراشدين التشجيع على استصلاحها وعمرانها، ومن قطع من هذه الأرض مساحة معينة ثم تركها بغير أن يعمرها ويصلحها كان لولى الأمر أن ينتزعها منه ويعطيها لغيره ممن يقوم بإحيائها.

وقد روى أبو عبيدة وغيره عن بلال بن الحارث المزنى: «أن النبى ﷺ أقطعه العقيق - أرضاً بالمدينة - فلما كان زمان عمر، قال لبلال: إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورد الباقي»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على هذا المنبر يقول: «يأىها الناس: من أحيأ أرضاً ميتة فهي له»، وذلك أن رجلاً كانوا يحتجزون من الأرض ما لا يعمرون^(٤)، ولقد ذكرت

(١) موسوعة الدعوة الإسلامية [٣] العهد المدنى طه الفجر الجديد ص ٣٨٥/٣٨٦، بتصرف ولم يذكر تاريخ الطبعة.

(٢) رواه أبو داود فى السنن الكبرى، وقال صحيح. انظر ج ٣/ ص ١٧٨ من كتاب السنن/ وانظر باب الحث على إحياء الموات/ ٥٧٦٠ ج ٣/ ص ٤٠٤.

(٣) صحيح ابن خزيمة حديث رقم (٢٣٢٣) باب ذكر الصدقة من المعادن/ ٤/ ٤٤ طه المكتب الإسلامى بيروت/ ١٣٩٠ هـ تحقيق محمد مصطفى.

(٤) انظر كتاب دور القيم والأخلاق الإسلامى ص ١٦٨، مرجع سابق نقلاً عن هامش الأموال للبرازرى ص ٣٤٦، وقال: وفى الأموال نحوه ص ٢٧٧.

أن مساحة مصر تربو على المليون كيلو متر مربع، والمعمور منها لا يزيد عن ٨٪ والموات يزيد عن ٩٠٪ من أرض مصر^(١)!! وقد يمنع الفقير من بناء بيت يسكنه، أو قبر يدفن به.

والسؤال: لماذا لا يشجع الفقراء على إحياء هذه الأرض بدلاً من أن تترك نهباً للطامعين، والمحتكرين، وسامسة المستثمرين الذين يحتجزون الأراضي عشرات السنين دون تعمير أو إصلاح؟ أليس من العدل أن يعطى للفقراء الذين لا يملكون شيئاً جزءاً منها؟ ما معنى أن تباع هذه الأرض لشركات كبرى في حين أن الفقراء يعيشون في العراء ويسكنون القبور؟

إن إحياء الأرض الموات، وتيسير الحصول عليها والاستفادة منها لصالح الفقراء - كما فعل الرسول ﷺ والصحابه الكرام - لأمر جدير بالاهتمام وحتى يسهم هذا الأمر في حل مشكلة الفقر يجب أن يكون هناك قانون يمنع من حيازة الأرض الموات أكثر من ثلاثة أعوام، فمن بقيت عنده ثلاثة سنوات ولم يعمرها، أو يستصلحها أخذت منه وأعطيت لغيره.

المطلب الثاني: تشجيع العمل والإنتاج بالوسائل الممكنة والمتاحة:

الحق، أن كثيراً من المهتمين بعملية الإصلاح في مصر - لاسيما - الإصلاح الاقتصادي .. قد أكدوا مراراً على تشجيع العمل وتطوير الإنتاج للخروج من الأزمة الاقتصادية، ومواجهة الفقر؛ لأن تشجيع العمل وتحسين الإنتاج أمر لا يختلف فيه اثنان، فهو بمثابة القاسم المشترك بين جميع من لهم رؤية، أو وجهة نظر تتعلق بموضوع الفقر، الكل يدعو إلى العمل وإلى الإنتاج، ولكن أي عمل؟! وأي إنتاج؟! وما هي الدوافع والأهداف، والوسائل، والغايات، للوصول إلى الهدف المنشود؟

العمل عبادة وحق وواجب:

«العمل في الإسلام واجب على كل قادر - كما أنه حق له - فلا يحل لمسلم يقعد عن العمل والكسب باسم التفرغ للعبادة ... فإن الإسلام يقدس العمل الدنيوي ويعتبره - حيناً - ضرباً من العبادة، وتارة جهاد في سبيل الله، إذا اقترنت به النية الصالحة، وصحبة الإخلاص والإتقان»^(٢)، لأن العمل في الإسلام ليس مقصوداً لذاته، ولا لما يعود به من نفع في الدنيا وحسب، وإنما هناك هدف أسمى وأجلّ، وهو رضا الله ﷻ، ورجاء ثوابه في الدار الآخرة^(٣).

(١) انظر كتاب مصر المحروسة ص ٣١٤، مرجع سابق.

(٢) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ١٣٦، مرجع سابق.

(٣) للمزيد من التعرف على قيمة العمل في الإسلام، انظر كتاب: القيم الحضارية في رسالة الإسلام ص ٧٧، وما بعدها، مرجع سابق.

الإسلام وحده الذي يربط بين الإيمان بالله، والعمل الصالح، فالعمل في الإسلام قيمة إيمانية وعقيدة ربانية، وأصحاب المناهج الدنيا - بعيداً عن منهج الإسلام - لا يعرفون هذه القيم، ولا ينطلقون منها، ولا يجعلونها جزءاً من استراتيجيتهم في حث الناس على العمل والإنتاج، فالمسألة عندهم مسألة رفاهية وتحسين مستوى المعيشة ... أما الإسلام فالعمل فيه طاعة لله القائل: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْتُحَرُّ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله ﷺ: «لو قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها»^(١)، ويقول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان، أو طير، أو بهيمة، إلا وكان له به صدقة»^(٢)، إن المسلم لا يعمل لنفع نفسه فقط، إنما يعمل لنفع المجتمع والعالم أجمع، ولنضرب مثلاً برجلين، أحدهما يؤمن بالمناهج الدنيا في مسألة العمل والدافع إليه، والآخر يؤمن بالمنهج الإسلامي، وكلاهما غني، ويملك عشرات الملايين التي تكفيه وأولاده وأحفاده من بعده، تُرى أي الرجلين أقرب إلى حب العمل وتحسين الإنتاج؟! وأي الرجلين أقرب إلى الكسل والاستغناء بما عنده، والاكتفاء بما تحت يده؟! وأي الرجلين عنده الحافز المشجع للعمل؟!

الجواب: مَنْ يؤمن أن العمل والإنتاج وعمارة الأرض ... مطلب شرعي قبل أن يكون ظرفاً اقتصادياً؟!

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكَ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، أي: طلب منكم أن تعمروها وتستخرجوا ثرواتها^(٣)، هذا عن العمل، والدافع له، والهدف منه.

أما عن وسائل الإنتاج:

«فوسائل الإنتاج في الإسلام أكثر من التي عرفها الاقتصاديون، فهم يرونها في العمل، والموارد الطبيعية، ورأس المال .. ثم في التنظيم ودراسة المشروعات، من حيث احتمال النجاح والفشل، أما

(١) صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني رقم (١٤٢٤)، وصحيح الأدب المفرد للبخاري ط ٣ ج ١ / ص ١٦٨ رقم

(٤٧٩) ط البشائر الإسلامية بيروت، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

(٢) صحيح البخاري / باب فضل الزرع والغرس / ٢١٩٥ / ج ٢ / ص ٨١٧، دار ابن كثير مرجع سابق.

(٣) انظر كتاب الضوابط الشرعية للاستثمار ص ٥٢، ٥٣، مرجع سابق.

عن وسائل الإنتاج في الإسلام فهي أشمل وأوسع وأصدق، فقد أضافت إلى هذه الوسائل، الكون، وطاقات الإنسان، والأرض وما عليها، والسماء وما فيها، والرياح اللواقح، والسمع، والبصر والفؤاد»^(١)، وفوق هذا وقبل هذا، الإيمان بقدره الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَظِفُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٢: ٢٣]، والإسلام أيضاً له منهجه في اختيار نوع العمل وطبيعته، ومن يقوم به، فليست الغاية تبرر الوسيلة، وليس كل عمل - ولو كان مربحاً - مقبولا فهناك ضوابط شرعية لا بد من مراعاتها ووضعها في الاعتبار، ومن هذه الضوابط ما يلي:-

١- أن يكون العمل مشروعاً وحلالاً:

فلا يقبل الإسلام العمل في المشاريع التي تنتج مواداً محرمة، كالخمر، والمخدرات، والدخان، والدعارة، والإنتاج الإعلامي الهابط، والربا، والغش في البيع والشراء، والاحتكار للسلع ... ويدعو إلى التزام الصدق والأمانة، وإتقان العمل، وتحري العدل والحق، والوفاء بالعهد، وإنجاز الوعد .. إلخ^(٢).

٢- أن يكون العمل في حدود طاقة المكلف:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فلا تشجع الأطفال والنساء على الأعمال التي لا يقوم بها إلا الرجال.

نشرت صحيفة الأخبار تحت عنوان:

تفعيل دور المرأة في الاستثمار ومواجهة الفقر

«أكدت الدكتورة فرخنة حسن/ أمين عام المجلس القومي للمرأة: أن المرأة شريك في مواجهة الأزمة الاقتصادية .. ولا بد من تفعيل دورها في الاستثمار ومواجهة الفقر، وذلك بتمكينها من العمل، مثل: الرجل ... ووصولهن لمواد الإنتاج والتملك .. إذ كم من نساء مسئولات عن رعاية أسرهن؟»^(٣)، والإسلام - كما هو معلوم - يفرق بين عمل الرجل وعمل المرأة، ومسئوليات الرجل،

(١) الدعوة الإسلامية في عهدنا المدني، ص ٢٧٢، ٢٧٣، مرجع سابق.

(٢) انظر الضوابط الشرعية للاستثمار ص ١٤٧، وما بعدها، مرجع سابق.

(٣) صحيفة الأخبار بتاريخ ١٣ / ١٠ / ٢٠١٠ ص ٧، وفي الصحيفة ذاتها يقول الدكتور نبيل بشر: وبما أن المرأة تنتج حوالي من ٦٠٪ إلى ٨٠٪ من الغذاء في الدول النامية، كما أنهم مسئولات عن نصف إنتاج الغذاء العالمي مع أن وصولهن لمواد الإنتاج والخدمات لا يزال محدوداً.

ومسئوليات المرأة، ومن الظلم أن نسوي بين الرجل والمرأة في الإنفاق ورعاية الأسر، ومواجهة الفقر، فالإنفاق في الإسلام مسئولية الرجل لا المرأة، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ اللَّهُ فِتْنَتَهُمْ خَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾

[النساء: ٣٤].

٣- أن تراعى الأولويات الملحة للمجتمع:

فليس من المعقول أن تكون هناك أزمة غذاء ودواء وسكن، ويشجع العمل في إنتاج لعب الأطفال، ووسائل المكياج، والزينة، وأفلام الدراما، وفوازير رمضان، ومصانع البيسي، والكوكاكولا والرياضة بأنواعها، ومشاريع النت، والمحمول، والملاهي، والمقاهي^(١)، إذا كانت الأزمة في رغيغ العيش، فليس من الحكمة أن نتوسع في زراعة الفواكه على حساب القمح، وإذا كانت الأزمة في قارورة الدواء فليس من الحكمة أن نتوسع في صناعة المشروبات الغازية على حساب صناعة الدواء، وإذا كانت الأزمة في صناعة مواد البناء كالحديد والأسمت، فليس من الحكمة أن تصدر هذه المواد إلى الخارج، يجب أن تراعى الأولويات الملحة والتي لا يستغني عنها المجتمع، فالغذاء والدواء، كالماء والهواء.

٤- دعم المشروعات الصغيرة للشباب:

تقدمت الدولة بفكرة القروض الميسرة للشباب الراغب في إنشاء مشاريع إنتاجية، وشرعت في توزيع بعض الأراضي المستصلحة على الخريجين، ومع ذلك بقي الفقر وزادت معدلات البطالة، والسبب يكمن في ما يلي:-

١- هذه القروض - مع الأسف - قروض ربوية بفوائد وليست قروضاً حسنة، والله ﷻ يقول:

﴿يَمْحُو اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّعْفَتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

٢- معظم المشاريع التي يقيمها الشباب الآن مشاريع استهلاكية لا إنتاجية، كمحلات الإنترنت والمحمول، وأطباق الدش، وقطع غيار السيارات إلخ.

أما الأرض المستصلحة فمعظم الشباب الذين تسلموا هذه الأرض باعوها، وتخلصوا منها لأسباب منها:-

(أ) شح المياه، أو ندرتها.

(١) للمزيد انظر كتاب جذور الفساد الإداري في مصر / ص٣٤٧ وما بعدها، مرجع سابق، وكتاب الحقيقة والوهم في

المجتمع المصري ص١٤، ١٢، مرجع سابق.

(ب) ملوحة التربة وافتقارها.

(ج) قلة الموارد المالية اللازمة لشراء البذور والمبيدات، ورعاية المحصول وجميعه وتنقيته.

(د) بعد هذه الأرض عن المساكن والعمران^(١).

ولا ننسى أن زراعة الأرض تحتاج إلى خبرة وعلم، ورعاية مستمرة وصبر، وإمكانيات مالية، وأدوات زراعية لحث الأرض وجمع وتنقية المحصول ... كل ذلك لم يكن متوفرًا لدى الشباب ولم توفره الدولة.

لذا أقول: لابد من دراسة جدوى أولاً يتم من خلالها معرفة الشخص الجاد والمناسب، والمشروع المناسب له حسب المؤهل والخبرة والإمكانات، مع زيادة الاهتمام بالتعليم المهني الذي يصنع الكوادر، ويدرب الرجال على شتى فنون العمل والإنتاج، وعلى وجه الخصوص، الزراعة، والصناعة والتجارة، مع تسهيل الإجراءات وتذليل العقبات للحصول على الرخصة اللازمة للمشروع، «والشرط الأول لتحقيق ذلك هو: وجود المجتمع الإسلامي الحي القادر على التفكير والتخطيط للمستقبل، والمالك للحرية التي تعظم طاقاته وإمكاناته، والقادر على وضع الأفكار والخطط - من خلال الآليات والمؤسسات - في الممارسة والتطبيق، ثم رعاية وتطوير هذه الممارسات والتطبيقات ... ولا سبيل إلى هذا المجتمع الحي والحيوي إلا بالرعاية والعناية بـ:

١- مؤسسة الأسرة.

٢- مؤسسات المجتمع الأهلي^(٢).

إن ما تقوم به هذه المؤسسات الآن من توزيع الدعم المالي كإعانات وتقديم القروض الميسرة، أو توزيع عدد ما من الحيوانات كالبقر والغنم على فقراء الريف ... لا يكفي لحل مشكلة الفقر، لابد من دعم المشروعات القائمة والدائمة والمنتجة والتي تغني صاحبها - من جهة - وتفتح آفاق الأمل

(١) هذا ما أكد عليه الشباب، وسمعتهم بأذني منهم في المنيا، وقنا، وسوهاج، والوادي الجديد، وللمزيد عن أخبار الشباب والمشروعات الصغيرة، انظر كتاب احتس مصر ترجع إلى الخلف ص ١٤١، وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) مستقبل الأمة الإسلامية، سلسلة تصدر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدد ٩٩ سنة ٢٠٠٣ م، جزء من كلمة للدكتور محمد عمارة.

وفرص العمل للآخرين - من جهة أخرى - ^(١)، ولا ننكر أن في مصر مشاريع ناجحة ومثمرة، وفرت فرص عمل للكثيرين، وأن مصر بها شباب طموح ذا مروءة وعفة يجب على جميع المؤسسات المذكورة والراغبة في إصلاح الوضع الراهن أن تأخذ بأيدي هؤلاء الشباب، وتقدم له النصيح والرعاية والمواد اللازمة لإنجاح هذه المشاريع الصغيرة التي نأمل أن تكون مشاريع كبيرة في المستقبل.

٥ - إزالة العقبات أمام المستثمرين خاصة الجادين منهم:

فقد تكون المهمة موجودة، والرغبة في العمل الجاد، وإنشاء المشاريع المنتجة متوفرة، والمال موجود، والخبراء كثر، واليد العاملة أكثر... إلا إن هناك عقبات توضع كحجر عثرة أمام المستثمرين سواء أكانوا أجانب أو مصريين، لاسيما الراغبين في إنشاء مشاريع كبرى تعود على المجتمع بالخير، وبالأخص المشاريع الزراعية والصناعية.

يقول أ/ حسين محمد علي السليمان: وهو مستثمر جاء من اليمن: «جئت إلى مصر وعلى أمل بعدما أنشأت مشاريع ناجحة في الصين، واليمن، والمملكة السعودية، واليابان، ففوجئت بها لم أكن أتوقعه في مصر، يعطون تسهيلات بيد، ويأخذون ضرائب أكثر باليد الأخرى، أو تبحث عن طرق أخرى ملتوية، فضلاً عن شروط صعبة: كالتسويق والتصدير مما جعلني أفقد الأمل في نجاح المشروع، وبالفعل بعد شراء الأرض في العاشر من رمضان، وبناء المصنع ومرور سنوات على تشغيل المشروع لم أجنبي أي أرباح، بل خسرت كثيراً ورأيت أن أنقل هذا الفرع إلى بلد آخر غير مصر» ^(٢).

لقد ارتفعت أصوات الكثيرين من المستثمرين الراغبين في إنشاء مشاريع زراعية وصناعية تطالب بتوفير البنية الأساسية اللازمة لإنجاح هذه المشاريع كالمياه والصرف والطرق والتسويق والعمالة المدربة ^(٣)، وتخفيف الضرائب لاسيما (ضريبة المبيعات).

(١) تراخيص العمل وإقامة المشاريع لاتزال أمامها عقبات، ومنها الرشوة والروتين.

(٢) لفت نظري في مدينة العبور أنني رأيت على بوابة مصنع كبير لوحة خشبية كبيرة عرضها مترين X ستة أمتار مكتوب عليها بالخط الأحمر العريض (المصنع للبيع)، وكنت أعلم أن هذه الأرض كانت فضاء، وعمر البناء عليها لا يتجاوز بضع سنين، فسألت صاحب المصنع فقال لي ما ذكرت.

(٣) انظر كتاب مصر المحروسة ص ٢٥٨، مرجع سابق.

إن أخطر ما تواجهه مصر في صراعها مع الفقر هو أزمة القمح؛ لأن القمح في إنتاجه يحتاج إلى الأرض الشاسعة والسماد والعمالة، وفوق ذلك يحتاج إلى وقت لا يقل عن ستة أشهر، في حين أن الاستهلاك والطلب لا يتوقف ساعة، فالأمر يحتاج إلى دعم مادي ومعنوي من الدولة حتى يقبل المستثمرون على مثل هذه المشاريع.

«يبدو أن القمح المصري سوف يمر بنفس الأزمة التي يمر بها القطن.. وسوف تتآكل المساحات المخصصة لزراعة القمح كما حدث مع الذهب الأبيض وذلك بسبب انصراف المزارعين عن القمح وزراعة المحاصيل الاقتصادية التي تحقق أرباحاً معقولة مثل البرسيم وبنجر العلف والسكر واللب السوري.

يقول المزارعون إن أسعار القمح خلال الموسم الزراعي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ م، لم تكن مشجعة وحقق الفلاح خسائر من زراعة الأقمح .. ويطالبون بضرورة إعلان الأسعار للموسم الجديد في الوقت الحالي حتى يتخذ الفلاح قرار زراعة القمح بدلاً من زراعة المحاصيل البديلة»^(١).

ولقد ذكرت في الفصل الثاني أسباب الفقر في مصر ... ومنها وجود العقبات أمام المشاريع الإنتاجية^(٢)، كالرشوة والروتين القانوني مما حدا بالكثيرين أن يتركوا المشاريع ويبحثوا عن العمل الحكومي، «إذ ليس هناك مصادر جديدة لزيادة الدخل زيادة محسوسة يمكن أن ترفع من مستوى معيشة الجميع.

إذ ما معنى أن نفرض ضريبة جديدة (كضريبة المبيعات مثلاً)؟ ما معنى تهيئة الأموال من صغار المدخرين، ثم قيام البنوك بإقراضها للأغنياء؟ مع المخاطر المتوقعة، ودون ضمانات كافية، مما يسمح لهم بالهروب دون سداد ما عليهم من ديون!! ما معنى حصول موظف كبير وثري على رشوة من أجل تسهيل صفقة معينة يستفيد منها ثري آخر؟ ما معنى بيع مشروعات مملوكة للقطاع العام بأقل من قيمتها بكثير لأثرياء المصريين والأجانب»^(٣).

لابد من إزالة العقبات أمام العمل والإنتاج لتشجيع الراغبين في الكسب الحلال من الشرفاء وأهل

(١) صحيفة الجمهورية العدد ٢٠٣٦٤ / بتاريخ ٢٩ / ٩ / ٢٠٠٩ م، صفحة ٦.

(٢) انظر صـ فلقد وضحت هذه المسألة بما يغني عن إعادته هنا.

(٣) كتاب مصر في عصر الجماهير الغفيرة صـ ١٦٠، ١٦١، مرجع سابق.

المروءة وهم والله الحمد كثيرون يحتاجون إلى الدعم وتيسير الحصول على التصاريح والرخص اللازمة بعيداً عن الرشوة والوقوع في الحرج ... بل إن بعض الجادين في العمل لا يجدون ما يقدموه فيضطرون للاقتراض من البنوك فيجمعون بين الربا والرشوة، وهكذا تبدأ مشروعات الإنتاج - من البداية - على أسس خاطئة وغير سليمة «وفي تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يؤمن برعاية حقوق الفقراء في المجتمع حفظاً على التوازن بينهم وبين الأغنياء؛ لأن المجتمع الذي يجد فيه الغني كل شيء ميسر له، بينما يحمل الفقير فيه كل ثقل، وينوء تحت كل عبء، ليس هو المجتمع الصالح والراشد؛ لأن حق الفقير كحق الغني على ولي الأمر.

كان عمر رضي الله عنه يتجه إلى الأخذ بأيدي الفقراء، ويحرص على أن يوفر لهم المزايا ما يقابل به قوة الأغنياء، أصحاب الثروات الطائلة، فقد قرأنا فيما صح من تاريخه رضي الله عنه أنه حمى قطعة أرض واسعة وجعلها مرعى لإبل الفقراء وغنمهم، واستعمل على هذه الأرض رجلاً من خاصته»^(١).

- كم من شباب عندهم مهارات هربوا بها إلى الخارج؟

- كم من أصحاب أموال مصريين يستثمرون أموالهم خارج مصر؟

- كم من شباب تخرجوا من الجامعات والمعاهد لا يجدون أعمالاً، ولا يزالون عالة على الآباء والأمهات؟

- كم من علماء تكلموا عن خطورة الفساد المالي والإداري على مستقبل أبناء مصر وأمنها؟

* * *

(١) كتاب نظرات في فقه الفاروق عمر للشيخ محمد المدني ص ١٦٦، ١٦٧، مرجع سابق.

المطلب الثالث: الاهتمام الخاص بالأمن الغذائي ومشكلة السكن والعلاج:

سأتناول الحديث في هذا المطلب بشيء من الإطناب؛ لأن الغذاء والسكن والدواء، من ضروريات الحياة، لا يعيش الإنسان بدونها، وإذا كان الإنسان لا يعيش بدونها، فكيف يستقر وكيف يعمل؟ وكيف يتقن العمل ويحسن الإنتاج؟

وقد ذكرت أن الجائع والمريض والمشرّد، إنسان مشّتت الفكر، مشغول البال، يضع هذه المسائل - الجوع والسكن والعلاج - في مقدمة أولوياته، وعلى رأس جدول الأعمال - إن كان له عمل - وقد يكون الإنسان معذوراً ومضطرباً، ومعه شبهة تسقط عنه الحد، أو تخفف عنه العقاب.

«وإذا ثبت ذلك فلا غرابة أن تطالب الحكومات والمؤسسات الإصلاحية بوضع قضية الأمن الغذائي، والسكن والعلاج على رأس اهتماماتها وأولوياتها؛ لأن أول ما يحتاج إليه الفقير هو الغذاء الذي يقيم صلبه، والدواء الذي يحميه من الأمراض التي تفتك به، والسكن الذي يقيه الحر والبرد وسطو قطاع الطرق واللصوص، لذا كان الاهتمام الخاص بهذه الأشياء من الأمور المتفق عليها في محاربة الفقر، ولا يكون ذلك بضخ المنتجات الغذائية والمواد التموينية في السوق لتهدئة الأوضاع وثبات الأسعار وحسب، وإنما يكون باستمرار تكثيف الجهود الإنشائية، التي تستهدف الارتقاء بالمشاريع الزراعية، والإنتاجية، والصناعية، ولا يكون الهدف هو الاكتفاء الذاتي فقط، بل الاكتفاء الذاتي، والتصدير للخارج، وإغاثة المنكوبين، والأخذ بيد العاجز، والمريض، والغارم ... كما فعل نبي الله يوسف في مصر^(١).

مصر هبة النيل كيف تستورد الطعام من الخارج، وقد كانت تمد العالم كله بالطعام؟! وأبناء مصر الذين سبقوا العالم في علم التحنيط، ومجالات الطب، ولا يزال لهم حضورٌ دوليٌّ، وتفوقٌ علميٌّ لا ينكر كيف تعتمد على غيرها في أبسط تركيبات الدواء؟ كلقاحات الأطفال، وعلاج السكر، ومصل الإنفلونزا وغير ذلك.

وإذا كان ولي الأمر مسئولاً عن حراسة الدين وسياسة الدنيا، فهل هناك أهم - في سياسة الدنيا - من توفير الحد الأدنى من ضروريات الحياة، وهو ما يسميه العلماء (حد الكفاية)؟!^(٢).

(١) انظر كتاب دور القيم والأخلاق في المجتمع المصري ص ١٧٠، وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١١٨، وما بعدها، مرجع سابق.

يقول الدكتور محمد شوقي الفنجري: «وضمان حد الكفاية لكل مواطن، يعتبر من أوليات الاقتصاد الإسلامي، وهو على نحو ما أشرنا يعتبر في نظر الإسلام هو صميم الدين، وأن مجرد إنكاره أو إهداره هو تكذيب لرسالة الإسلام»^(١)، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ۖ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣]، فقد جعل الله ﷻ من علامات التكذيب بالدين: دع اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين، (ودع اليتيم): أي: «قهره وظلمه بأن لا يطعمه، ولا يحسن إليه، ولا يعطيه حقه.

أما: (ولا يحض على طعام المسكين): يعني: الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته»^(٢)، لذا يجب أن تتوفر النوايا الصادقة، والعزيمة القوية في مواجهة مسألة الفقر، ووضعها في الاعتبار وأخذها مأخذ الجد واعتبارها جزء من المسؤولية التي فرضها الإسلام على ولي الأمر.

يقول علاء الأسواني: «فبعد أن فشلت الحكومات المتعاقبة في القضاء على الفقر، بل وتسببت (بفسادها وعجزها الإداري) في زيادة عدد الفقراء، اعتمدت الحكومة معهم سياسة (التجاهل والقمع)، فالنظام المصري يتجاهل ملايين الفقراء، وكأنهم غير موجودين، بل إن مسئولا كبيرا (جداً) يتتابه الغضب، إذا ذكر أحد أمامه (الفقر والبطالة)، ويسارع سيادته دائماً إلى التأكيد، بأن الفقر مشكلة عالمية تعاني منها جميع الدول!! وهكذا ينقطع الحديث فلا ينصرف أبداً إلى مسؤولية الدولة عن توفير الحياة الكريمة لمواطنيها.

إن هذه الكتلة الهائلة من الفقراء تشكل خطراً دائماً على النظام، إنها أشبه بهمارد عملاق نائم لا يعرف أحد متى يستيقظ»^(٣).

إن مقياس نجاح الحاكم أو ولي الأمر يبدأ من اهتمامه بضروريات الحياة لشعبه، وتقوى العلاقة بينه وبين شعبه، ويصبح محل ثقة إذا كان هذا المسئول سبباً في نقل شعبه من إمكانيات حد الكفاية، إلى الغنى والقوة، والرفاهية والتصدير للخارج.

(١) الإسلام وعدالة التوزيع ص ٤١، مرجع سابق.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤، ص ٥٥٨، مرجع سابق.

(٣) لماذا لا يثور المصريون ص ١٧١، مرجع سابق.

والحاكم - إن صدق - يستطيع أن يرقى بشعبه ويصل به في الخير إلى ما يريد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

والله ﷻ لا يكلف نفساً إلا وسعها، يقول سبحانه: ﴿لَيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ إِنَّمَا وَءَاثِرُ الْقُرْآنِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَتْهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، إن الإسلام يختلف تماماً عن غيره في تقديره للأمور، من حيث العلم بأبعاد القضايا، والإمكانات المتاحة، والأسباب الممكنة، فلا يقف عند حد ما يراه العقل، أو يخضع للعرف، فالعقل، أو العرف، أو القانون - بعيداً عن الإسلام - قد اعتاد في مواجهة هذه المشاكل أن ينظر إلى موارد الدولة التقليدية، كالضرائب، والثروات، والمنح، والإعانات ونسي، أو تناسى الموارد الأخرى التي أكد عليها الإسلام، مثل:-

- ١- إعادة الوقف الإسلامي والتشجيع عليه.
 - ٢- جمع أموال الزكاة بصورة شرعية واستثمارها لصالح الفقراء.
 - ٣- إحياء الأرض الموات بإصلاحها والاستفادة منها.
 - ٤- التكافل الاجتماعي بين الأقارب وأفراد المجتمع.
 - ٥- التعاون على البر والتقوى في إقامة مشاريع الخير.
- هذه الموارد لا يعرفها إلا المسلمون، فقد انفردها الإسلام، وهي موارد ضخمة، ولا يستهان بها، فهي كفيلة في حل مشكلة الفقر، وسأذكر في الصفحات التالية بعض أقوال العلماء التي تؤكد هذه الحقيقة.

١- إعادة الوقف الإسلامي والتشجيع عليه:

يجب أن نعلم أولاً: أن مشكلة الفقر في مصر ما ظهرت، ولا انتشرت إلا بعد مصادرة الوقف الإسلامي؛ لأن هذا الوقف كان من الكثرة والبركة بحيث يغطي احتياجات كثير من الفقراء^(١)، «ولقد جاء حين من الدهر بلغت فيه - على عهد السلطان برقوق (٧٣٨ - ٨٠١ هـ/ ١٣٣٨ - ١٣٩٨ م) مساحة الأراضي الموقوفة نصف أراضي الدولة! الأمر الذي امتد بثمراتها إلى مختلف ميادين العمران الإسلامي فشملت:- المساجد، والمدارس، والمكتبات، ونسخ المخطوطات، والحفاظ على التحف

(١) سبق وأن تحدثت عن هذه المسألة في الفصل الرابع المبحث الثالث المطلب الثاني، وللمزيد انظر كتاب/ القيم الحضارية في رسالة الإسلام، ص- ١٣٢، ١٣٣، مرجع سابق.

والآثار، وإقامة الخلوات، ودور العلاج، والكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، ورصف الطرق، وتحرير الأسرى، ورعاية أبناء السبيل، والمعونات على أداء فريضة الحج، وتجهيز العرائس الفقيرات، ورعاية النساء اللاتي لا راعي لهن، وعمارة الرباطات في الثغور للمجاهدين، وإعانة العميان، وذوي الحاجات الخاصة، والمرضى، وإمداد المرضعات بالحليب، وتهيئة موائد الطعام للفقراء والصائمين في رمضان، وتجهيز موتى الفقراء، والغرباء، وبناء مقابر للصدقة، والإنفاق على الحرمين الشريفين، وإقامة أسواق التجارة ومؤسسات الصناعة، والحمامات، والأفران، والأسبلة التي يرتوي منها المارة، وحفر الترع وشق الأنهار، ومؤسسات رعاية الأيتام ورعاية المحبوسين وأسراهم... إلخ»^(١)، ما يطول ذكره في تغطية الوقف لكثير من احتياجات الفقراء.

والجدير بالذكر أن هذا الوقف كان متجددًا ودائمًا وناميًا، ولم يكن كالمنح والإعانات النقدية أو العينية التي تقدم الآن، ومنه ما كان يلزم الفقير بالعمل والإنتاج، كالأراضي الزراعية التي تحتاج إلى زراعة وإصلاح مستمر وتصور معي لو أعيد الوقف الإسلامي بالصورة السابقة، تراه كم سيسهم في حل مشكلة الفقر؟!

تنشيط الأوقاف ينقذ المجتمع المصري من الكوارث:

هذا ما يراه الدكتور/ يوسف إبراهيم، وكذلك الدكتور/ محمد الدسوقي، أن إعادة الروح لأموال الوقف وإمكانياته التي صادرها محمد علي، وقد كانت ثورة حيث وصلت إلى (ربع) الأراضي الزراعية أيام محمد علي^(٢).

وعن أهمية الوقف في حياة الأمة المسلمة يقول الدكتور القرضاوي: «من أهم ما رغب فيه الإسلام من الصدقات ما عرف باسم (الصدقة الجارية) - أي الدائمة - فقد جعل الإسلام لها جزاءً متميزاً عن غيرها من الصدقات، لبقاء أثرها، ودوام نفعها فكان ثوابها دائماً باقياً لصاحبها بعد موته ما بقي نفعها.

وفي هذا روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣)، وعن ابن عمر: «أن عمر أصاب أرضاً من

(١) كتاب مستقبل الأمة الإسلامية ص ٢١٨، وما بعدها، مرجع سابق.

(٢) صحيفة الجمهورية العدد (٢٠٤٨٦) بتاريخ ٢٩ / ١ / ٢٠١٠ م، ص ٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، انظر مشكاة المصابيح ج ١ ط ٣ لمحمد بن عبد الله الخطيب المقرئ ط دارالنشر المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ مراجعة الشيخ الألباني.

أرض خبير، فقال: يا رسول الله ... أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منها، فما تأمرني؟ فقال ﷺ: إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها، فتصدق بها عمر على ألا تباع، ولا توهب ولا تورث، في الفقراء، وذوي القربى، والرقاب، والضعيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول وفي لفظ: غير متأكل مالا^(١)، وبهذا وضع الرسول ﷺ الأساس الشرعي للوقف الخيري الذي كان له أثره الملموس في المجتمع الإسلامي، في كافة العهود، والذي يعتبر من أبرز الأدلة على أصالة عواطف البر، وعمق معاني الخير في نفوس المسلمين فإنهم لم يدعوا حاجة من حاجات المجتمع إلا وقف عليها الخيرون منهم جزءاً من أموالهم.

قد كانت هذه الأوقاف من السعة والضخامة والتنوع بحيث صارت مفخرة للنظام الإسلامي، وأصبح الفقراء والمحرومون يجدون من «تكاياها» ما يقيهم من الجوع والعري ومن مستشفياتها المجانية ما يعالجون به الأمراض والأوصاب، ومن «سبلها وربطها» ما يعينهم على الأسفار وقطع المفاوز والقفار^(٢)، والحق أن تنشيط الوقف مطلوب، ولكن لا يكفي وحده لحل جميع مشاكل الفقر.

٢- جمع أموال الزكاة بصورة شرعية واستثمارها لصالح الفقراء:

من نافلة القول أن نذكر بمكانة الزكاة في الإسلام، هي ركن من أركان الإسلام الخمس، يكفر جاحدها بإجماع العلماء، ولقد حارب الخليفة الراشد/ أبو بكر رضي الله عنه من جحد الزكاة، وتحركت الجيوش لقتالهم واعتبارهم مرتدين ومارقين عن الإسلام ويجب على ولي الأمر أن يأخذ الزكاة منهم طوعاً أو كرهاً، وذلك لاعتبارات كثيرة، منها: أن الزكاة حق معلوم لا يقل في الأهمية عن الصلاة، فكما أن الصلاة حق الله على العبد، فإن الزكاة حق الله في المال، ومن جحد الزكاة كمن ترك الصلاة، بل وينظر إليه على أنه سارق لحق الفقير وظالم له، وولي الأمر هو المسئول أمام الله ﷻ عن حراسة الدين وسياسة الدنيا ... وسياسة الدنيا تحتاج إلى مال، والزكاة مورد لا يستهان به إن جمع بأمانة واستثمر لصالح الفقراء بحكمة.

(١) صحيح ابن خزيمة / باب ذكر أول صدقة محبسة تصدق بها في الإسلام / ٢٤٨٣ / ج ٤ / ص ١١٧، والحديث صححه الألباني في تخريج أحاديث كتاب مشكلة الفقر ص ١٤٨ رقم (١٢٣).

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٣١، ١٣٢، مرجع سابق.

«زكاة المصريين (٢٠) مليار جنيه ولا تستغل بشكل أمثل، ومصر دولة إسلامية تطبق قانون الركن الثالث رسميًا، يطالب بعض علماء الاقتصاد - كما تقول الصحيفة - ومنهم الدكتور/ محمد عبد الحليم عمر رئيس الاقتصاد الإسلامي السابق بجامعة الأزهر، والدكتور/ نصر فريد واصل، والدكتور/ محمد سيد طنطاوي، والدكتور/ عبد العزيز حجازي، والدكتور/ أحمد شوقي الفنجري، وغيرهم، وقد رفع الأمر إلى مجمع البحوث الإسلامية لكنه رفض.

تقول الصحيفة: للمرة الثالثة يرفض مجمع البحوث الإسلامية أن تستغل أموال الزكاة المستحقة على المصريين بشكل منظم يعالج أزمة اجتماعية بشكل عملي ومنهجي، للمرة الثالثة يفجع هؤلاء الذين يشعرون بخطورة عملية التوحش الأخطبوطي للفقر والبطالة في المجتمع المصري...»^(١).
والحق أن علماء الإسلام لا يرفضون أن تستغل أموال الزكاة بطريقة تعالج الأزمة الاجتماعية بشكل عملي ومنهجي، فمن خلال اطلاعي على آراء العلماء وما كتبوه عن هذه الأزمة وطرق حلها.. رأيت جميعهم يؤمن بأن الزكاة مورد هام من موارد الدولة في الإسلام، وأنه لا مانع أن تجمع بشكل رسمي ومنظم ولكن بشروط الإسلام ولصالح المسلمين، وفي إطار قوله ﷺ «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»^(٢).

أي: من أغنياء المسلمين وترد على فقراء المسلمين، فجميع العلماء يحرمون إعطاء الزكاة لغير المسلمين باعتبار أنها ركن من أركان الإسلام ينتفع بها من يؤمن بها للحديث المذكور، ولفعل الصحابة رضي الله عنهم والرسول ﷺ^(٣)، وإجماع الأمة، فلعل رفض مجمع البحوث الإسلامية للطلبات المقدمة إليه، سببه عدم الالتزام بشروط الإسلام في تحديد مصارف الزكاة وليس في جمعها بشكل رسمي ومنظم كما تقول الصحيفة، فعندما يطمئن المجمع الموقر أن مقدمي الطلبات يؤمنون بالحل الإسلامي للمشكلة وينبذون ما سواه يوافقون، بل وباركون ويحمدون الله أننا لسنا كأولئك الذين قال الله لهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]؛ لأن الإسلام كُلُّ لا يتجزأ، والزكاة في الإسلام جزء من منهج

(١) صحيفة الجمهورية يوم ٢٠ / ١١ / ٢٠٠٩ م، في عددها (٢٠٤١٦).

(٢) صحيح البخاري/ باب وجوب الزكاة/ ١٣٣١ ج ٢/ ص ٥٠٥.

(٣) انظر فقه السنة ج ١ ص ٣٧٤، مرجع سابق.

شامل ومتكامل، له مزاياه التي تميزه عن مفاهيم المواطنة والعولة والعلمانية لا يختلف العلماء في أن الزكاة مورد من موارد الدولة المسلمة العاملة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعلى سبيل المثال.

يقول الدكتور القرضاوي: «أول هذه الموارد التي تمول الكفالة المعيشية الزكاة المفروضة التي أوجبها الله في أموال المالكين للنصاب الشرعي، وهي - بالنظر إلى مجموع الأمة - ليست بالقدر الهين، إنها تقدر بالعرش (١٠٪) أو نصف العشر (٥٪) من كل الحاصلات الزراعية مأكولة أو غير مأكولة، كما قال تعالى: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، يقاس عليها - في ترجيحنا - ريع المصانع والعمارات ومؤسسات النقل البري والبحري والجوي ونحوها، وربع العشر (٢.٥٪) من رءوس الأموال النقدية والتجارية، ونحو هذه النسبة - تقريباً - من الثروة الحيوانية، وهي مع ذلك ضريبة رسمية تقوم الدولة المسلمة على جبايتها من أرباب المال، وصرفها على المستحقين.

والدول الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق قاتلت مانعي الزكاة، وقال الصديق رضي الله عنه كلمته الشهيرة: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»^(١)، وتعتبر الدولة الإسلامية أول دولة تحارب من أجل حقوق الفقراء وانتزاعها من براثن الأغنياء^(٢)، إذن الزكاة مورد للدولة المسلمة التي تعمل للإسلام وبالإسلام، فلا تحيد عنه، ولا تتطلق إلا منه.

(١) صحيح البخاري (٦٨٥٥) ج ٦ / ص ٢٦٥٧.

(٢) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، مرجع سابق، بتصرف.

٣- إحياء الأرض الموات بإصلاحها والاستفادة منها:

إن أخطر مظاهر الظلم للفقر هو حرمانه من بيت يسكنه أو قبر يبنيه في حياته، في حين أنه مكلف بالدفاع عن هذه البلاد، ولو أدى ذلك لفقد روحه ودمه، ولا أريد تكرار ما ذكرت أو إعادته، ولكن يكفي أن أذكر بأمور يجب أن تراعى في هذا الشأن وتوضع في الحسبان.

١- إن الله ﷻ يقول: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]، والأنام هم: الخلق جميعاً، لاسيما من ولد على ظهرها، وهو مكلف بحمايتها، ولم يقل سبحانه (والأرض وضعها للسلطان يتصرف فيها كيف يشاء).

٢- إن هذه المسألة - إحياء الأرض الموات - من أخطر الموارد المتاحة والتي تفتح الأمل، وتوجد فرص العمل أمام ملايين الشباب، وذلك لأسباب منها:-

أ- إحياء الأرض الموات منها ما يتعلق بقطاع الزراعة، وإنتاج السلع الغذائية، وتشغيل المصانع، وتنشيط الحركة التجارية.

ب- هذه المسألة منها ما يتعلق - أيضاً - بقطاع المنشآت والمباني وسوق العقارات وفرص العمل للمهندسين والنجارين والحدادين والفعلة في المنشآت ومصانع الحديد والأسمت.

ج- إن إحياء هذه الأرض الميتة يحل مشكلة الجيل الحاضر والأولاد والأحفاد، ويرفع كثيراً من الأعباء - عن كاهل الدولة - والتي طالما عان منها العباد والبلاد.

٤- التكافل الاجتماعي بين الأقارب وأفراد المجتمع:

لم يقف الإسلام عند حد فريضة الزكاة التي هي أساس التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وإنما رغب الإسلام في إطعام الجائع، وسد حاجة المحتاج لاسيما الأقارب والجيران، ورفع رتبة ذلك العمل إلى درجة الحقوق الواجبة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ولم يكتف الإسلام بالأمر الملزم، بل رتب هذه الحقوق ونظمها تنظيمًا دقيقًا وشاملاً، بحيث يشمل ذوي الحاجات والكربات.

فرض على الآباء رعاية الأبناء قال ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»^(١)، وفرض على الأبناء رعاية الآباء، والإحسان إلى الأقرباء واليتامى والمساكين، فقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

(١) رواه مسلم في صحيحه انظر كتاب مشكاة المصابيح / ج ٢ / حديث رقم (٣٣٤٦).

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^١ وَالْأُولَادِينَ إِحْسَنًا وَيَذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^٢ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا^٣ [النساء: ٣٦].

لقد أكد الإسلام كثيرًا على حقوق ذوي القربى، وذوي الحاجات المختلفة وحث على برهم، وصلتهم، والإحسان إليهم.

قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأففال: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَلِيتَأَيَّ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿فَاتَّبِعْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»^(١).

وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»^(٢).

وقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»^(٣).

والآيات والأحاديث التي وردت في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «كل هذه النصوص دالة على أن للقريب على قريبه حقًا أكثر من غيره من الناس، لما بينهما من روابط النسب والرحم، فما هو هذا الحق إن لم تكن إعالتة والنفقة عليه عند عجزه.

وإذا كان القريب يرث قريبه - بعد موته - فيغنم، فمن العدل أن ينفق عليه - عند عجزه - فيغرم، والغرم بالغنم.

وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن الزوج يجبر على نفقة زوجته، والوالد يجبر على نفقة ولده الصغير، والابن يجبر على نفقة أبويه، وعند الإمام أبي حنيفة والإمام ابن القيم، أن النفقة تجب على كل ذي رحم محرم في بقية فروع الأقرباء، وإن القاضي يجبر القريب لينفق على قريبه»^(٤)، أي: يجوز للأخت من الأب أو الأم أن تطالب أخاها أو عمها بالنفقة إذا كانت فقيرة وليس لها عائل، وهذه ميزة في الإسلام لا توجد في سواه.

(١) رواه أبو هريرة / صحيح البخاري / باب من أحب البسط في الرزق / ٥٧٨٧ / ج ٥ / ص ٢٢٧٣.

(٢) صحيح مسلم / باب صلة الرحم وتحريم قطعها / ٢٥٥٥ / ج ٤ / ص ١٩٨١.

(٣) سنن الترمذي / باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالتة / ١٩١٨ / ج ٤ / ص ٣٢١، دار إحياء التراث العربي بيروت،

والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٨٠٠)، ج ٢ / ص ٤٣٥ مكتبة المعارف الرياض بدون.

(٤) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ٥٥، ٥٦، ٥٩، مرجع سابق، بتصرف.

إن التكافل في الإسلام ينبثق عن عقيدة الإيمان بالله، والرغبة في طاعته والخوف من سخطه وعقابه، ويطول بنا الحديث إن عددت ما جاء به رسول الله ﷺ لأئمة في مجال البر والسبق بالخير، سواء أكان على سبيل الواجب والفرض، كإطعام المساكين في كفارة الظهار وكفارة اليمين، وما يجبر بدم في الحج والعمرة أو كان على سبيل التطوع، وإحياء السنن، وأعمال الخير كالأضحية، والعقيقة، والوليمة، والهدية، والصدقة، وإكرام الضيف، والتوسعة على الأهل، وتنفيس الكروب عن المكروبين، ورعاية الأرامل والمساكين، وقال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله: قال الراوي: وأحسبه قال: كالفائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر»^(١).

وقال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عنه في الدنيا وفي الآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا وفي الآخرة، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»^(٢).

وعن ديمومة هذا الخير واستمراريته، يقول الدكتور رءوف شلبي رحمه الله: والذي ينبغي أن يلاحظ في هذا القدر دورانه طوال الأسابيع والأشهر والسنة، فالبر الاجتماعي المفروض فرضاً مصاحباً لشروق الشمس وغروبها»^(٣)، ثم يذكر رحمه الله نظام الإسلام في صرف الزكاة لأصناف المحاويج.. ونظامه في الكفارات والندور، «إذ جعل الله ﷻ رضاه حتى يتجاوز عن المعصية، أن يصل الحانث أفراد المجتمع الضعاف أن يطعم أو يعتق أو يكسو، اللهم إلا أن يكون فقيراً فيصوم، وذلك كله عن طيب خاطر، إذ سوج الإسلام نظام التكافل الاجتماعي بسياج من الأمن والأخلاق، فلا تقبل عند الله صدقة الرياء، ولا يقبل المن والأذى، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٣٣) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٦٣ : ٢٦٤﴾، فالتكافل الاجتماعي في الإسلام ينبعث من فرع الحنان والمودة والمحبة، والإخلاص في الأخوة الإسلامية.

فهل بعد هذا البناء الرفيع في التكافل الاجتماعي تحتاج البشرية إلى نظام آخر ؟

(١) متفق عليه، انظر مشكاة المصابيح / ج ٣ / حديث رقم (٤٩٥١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه / باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن / ٢٦٩٩ / ج ٤ / ص ٢٠٧٤.

(٣) الدعوة الإسلامية في العهد المدني ص ١١٦، مرجع سابق، بتصرف.

بعد أن وجد المجتمع الذي لا يتكبر فيه غني ... ولا يضيع فيه يتيم ... ولا يجوع فيه فقير ... هل يحتاج الناس إلى نظام آخر ...؟! ^(١).

٥- التعاون على البر والتقوى في إقامة مشاريع الخير:

قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا شَهْرَ الْحَرَامِ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَفِعُونَ فَضْلًا مِنْ رِزْقِهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَنَعَاوُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا نَعَاوُوا عَلَى الْإِنْتِهَاءِ وَالْعُدُونِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[المائدة: ٢].

فهناك أمور لا يستطيع الفرد أن يقوم بها وحده، ولا تستقيم الحياة، ولا تستمر بدونها، كبناء المساجد، والمدارس، والمستشفيات، وشق الترع والقنوات والجسور ... إلخ، مع أن الزكاة والصدقات والندور ... لا تغطي احتياجات الفقراء والمحتاجين ... وإقامة هذه المشاريع اللازمة، فكان لابد من تعاون وتضافر، سواء أكان رغبة وتدين دون تدخل السلطات وشوكة القانون، أو كان بأمر السلطان المسلم، ووضع القوانين العادلة، فلقد جعل العلماء للسلطان المسلم حقاً في مال الأغنياء سوى الزكاة، أي: فوق الزكاة وزيادة عليها، حتى تنجح هذه المشاريع ويدوم عطاؤها وتضمن العيش الكريم لجميع أفراد المجتمع والتعاون في الإسلام مبدأ عظيم، وقاعدة هامة في بناء المجتمع الحي المتناسك والمتفاعل في الخير والنماء والعطاء، فخير الناس أنفعهم للناس ... وفوق هذا كله فهو - أي التعاون - أشمل وأعم وأوسع من الزكوات المفروضة والحسنات المقيدة بالزمان والمكان، والإسلام كما يهدف إلى طعام الجائع يهدف أيضاً إلى إغناء الفقير، وإعزاز الأمة ... ولا يكون ذلك إلا بالتعاون في إقامة المشاريع الكبرى، التي تستوعب أبناء المجتمع، وتوفر لهم فرص العمل اللازمة، لأن الأمة التي يتعاون أبنائها في حل مشاكلهم، أمة عزيزة وقوية وجديرة بالاحترام والتقدير، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(١) المرجع السابق ص ١١٦ : ١١٩ ، بتصرف.

ولقد أقسم أحد الشعراء على هذا المعنى فقال:

يميناً لو يمينك في يميني لقبلت الشعوب لنا يميناً^(١)

والمسلم يجب أن تكون لديه الرغبة الصادقة في التعاون مع الآخرين، رغبة فيما عند الله من أجر، واستثماراً لأمواله في مشاريع الخير، ووصولاً بالأمة إلى النصر... وهذا كله لا يخفى على العقلاء من أبناء مصر، وكم تغنى الشعراء بهذه القيم وطالبوا أبناء مصر بإحيائها، إن كانوا صادقين في طلب العز والملك والمجد.

(١) لم أقف على قائله.

يقول أحمد شوقي:-

يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبني الناس ملكهموا لا يبني ملك على جهل وإقلال
سراة مصر - عهدنا كم إذا بسطت يد الدعاء سراة غير بخال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا رأيا لرأي ومثقالاً لمثقال
فابنوا على بركات الله واغتنموا ما هيء الله من حفظ وإقبال^(١)

«وقد نقل الإمامان ابن العربي والقرطبي عن الإمام مالك قوله: يجب على كافة المسلمين فداء أسرهم، وإن استغرق ذلك أموالهم»^(٢)
قال القرطبي: «واتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة - بعد أداء الزكاة - يجب صرف المال إليها»^(٣).

وخلاصة القول في هذا المطلب:

- أن السلطان مسئول أمام الله، ومسئول أمام الناس عن توفير حد الكفاية لجميع أفراد المجتمع، على اختلاف ظروفهم وأحوالهم.
- وحد الكفاية يبدأ بالطعام والدواء والسكن؛ لذا يجب أن يكون لهذه الأشياء اهتماماً خاصاً، وأولوية قصوى عند ولي الأمر لمواجهة الفقر.
- هذه الأهداف ما تحققت، ولن تتحقق في ظل القوانين الوضعية البعيدة عن منهج الله، والتي تتسم بالنقص والضعف، والاعتماد على العقل والموارد المادية والطبيعية، والمنهج

(١) كتاب الشوقيات ج ١ ص ١٨٥، ط ١٩٧٠، المكتبة التجارية الكبرى.

(٢) انظر كتاب دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ٣٩٢، مرجع سابق.

(٣) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ١٩١/١٩٢، نقلاً عن تفسير القرطبي ج ١/٢٢٣، وأحكام القرآن، القسم الأول ص ٥٩، ٦٠.

والقروض فقط، إنما تتحقق هذه الأهداف في ظل تعاليم الإسلام ونظامه الشامل والكامل
والعادل والمتعدد الموارد والعطاءات، والصادر من لدن حكيم خبير.

المطلب الرابع: محاسبة المتسببين في الفساد ليكونوا عبرة لغيرهم:

أولاً: إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام الشرعية:

حتى تصان الكرامة، وتحرس الحقوق، وتقام الواجبات، ولا تضيع الأمانات،... لابد من تفعيل قوانين العقاب والثواب، وذلك بإقامة الحدود كقطع يد السارق متى ثبت عليه جناية السرقة، ولا توجد شبهة تدرأ عنه الحد... ومراجعة الذمم المالية والملكية الخاصة، ومساءلة الذين اغتنوا بسرعة ودون وجود أسباب ظاهرة... من أين لكم هذا؟ حتى يرتدع كل من تسول له نفسه السرقة أو تزين له الفساد.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

«بمعنى كونوا مبالغين في العدل بإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد، مقيمين شهادتكم لوجه الله تعالى، ولو كانت الشهادة إقراراً على أنفسكم أو على والديكم وأقاربكم، أو كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً، فلا يحملنكم غنى الغني عن الامتناع عن العدل في الشهادة أو الحكم طمعاً في رضاه، أو رحمة على الفقير، فالله أولى بعباده منكم.

من أجل ذلك زخر صدر الإسلام بتحقيق العدالة بين الناس لا فرق بين سيد ومسود، وحاكم ومحكوم، ويروي لنا التاريخ روائع عن الخلفاء الراشدين في مراعاة العدالة والحرص على كيان الدولة، وخاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاتساع ملك المسلمين في عهده، وتمصير الأمصار وتعيين الولاة.

فقد روى عبد الرازق بسنده عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف درهم، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال، فمن أين لك؟ قال: خيل نتجت، وأعطية تتابعت، وخراج رقيق لي، فنظر عمر فوجدها كما قال أبو هريرة غير أنه قاسمه ماله ذلك، كما رواه أبو عبيدة في الأموال وابن كثير في البداية والنهاية^(١)؛ لأن من مهام الدولة حراسة القيم،

(١) الضمان الاجتماعي في ضوء الكتاب والسنة ص ٧٧، ٧٨ مرجع سابق وانظر البداية والنهاية ص ٩٢، المجلد الرابع

الجزء الثامن مرجع سابق، وانظر كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨٠ مرجع سابق.

وتطهير المجتمع من الفساد «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وأن تجعل من المثاليات الأخلاقية ممارسات واقعية، فتعاقب المفسدين بما أفسدوا، وتكافئ المصلحين بما يستحقوا، وأن تراقب وتعاتب وتقيم الأحكام وتمنع المحرمات كالربا، والسرقه، والغصب، والظلم، والرشوة، ولا يكون ذلك إلا بشرع الله تعالى، وإقامة حدوده.

خذ مثلاً واحداً (تجارة المخدرات): يقول وجيه أبو ذكري: «تحدث المستشار عادل صدقي، رئيس محكمة الجنايات السابق إلى (الأخبار)، وقال كلاماً خطيراً عن المخدرات في مصر ... وإنه أصدر حكماً بالإعدام على ثمانية عشر (١٨) تاجرًا للمخدرات، وقد أدى ذلك إلى تراجع هذه التجارة، إلا إنه لا يعلم حتى الآن لماذا لا يتم تنفيذ هذه الأحكام؟!

قال الدكتور مصطفى المنيلوي: إن مريض السرطان لكي يشفى من هذا المرض ... لابد من بتر موقع السرطان في الجسم لحماية بقية أعضاء الجسد ... البعض قد يرى في البتر قسوة ... ولكن في البتر رحمة، حتى لا تترك الخلايا السرطانية تنتشر في الجسد كله فتفنيه»^(١).

ولا أدري لماذا هذا التهاون والتسامح مع المفسدين؟! والله ﷻ - في تنفيذ أحكام العقوبات - يقول: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢]، والنبي ﷺ عندما كلمه سيدنا أسامة بن زيد (حب رسول الله) في أمر المرأة المخزومية التي سرقت قال ﷺ: «أتشفع يا أسامة في حد من حدود الله، إنه أهلك من قبلكم، كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيمن الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»^(٢).

هذه تعاليم ربانية، وإرشادات نبوية عمل بها الصحابة الكرام، فأقاموا مجتمع العدل والتقوى والخير والمساواة، وأرسوا بها ركائز الحق، وقوانين الصدق، وموازن القسط، ونوازع الخير، ومصابيح الهداية، ومعالم طريق الفلاح والنجاح والإصلاح؛ لأن الفساد مرتعه وخيم، ونهايته أليمة، ولا بد من مقاومته والتصدي له، ووقف انتشاره والقضاء عليه، ومعاينة من يروجون له ويتنفعون به، ولا يكون ذلك إلا عن طريق دولة قوية تنشئ المؤسسات والأجهزة، وتحرس التنمية والتطوير،

(١) كتاب المدمنون يعترفون ص ١٤: ١٦ بتصرف، مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري/ باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان/ ٦٤٠٦/ ج ٦/ ص ٢٤٩١.

وتقوم بتنفيذ الأحكام، ولا تخاف لومة لائم، وإلا بقي الفقر كما هو بشقيه المادي والمعنوي، يلتهم كل تنمية ويسرق كل إنتاج.

ثانياً: تطبيق حد التعزير فيمن يتلاعب بالأسعار:

لأن المفسدين والمضيعين للقيم والأخلاق ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من وقع في إثم تتراوح فيه العقوبة بين الجلد وقطع اليد وقطع العنق، أو الغرامة ومصادرة الأموال، وهذا ما ذكرت طرفاً منه في المطلب السابق، بيد أن آخرين أغراهم التسيب وعدم المؤاخذه فوقعوا في ذنوب توجب التعزير؛ لا إقامة الحد، كالتلاعب بالأسعار، وتطفيف الكيل، والرشوة، والوساطة، والمحسوبية، والمجاملات.

والتعزير معناه: هو تأديب دون الحد، وأصله من العزر، وهو المنع^(١)، وهذا التأديب موكول إلى الحاكم المسلم، وولي الأمر كما يراه، فقد يكون بالتأنيب واللوم وقد يكون بالغرامة المالية والحبس ... وقد يكون بالجلد دون حد القذف المهم أنه عقوبة لا بد منها حتى تستقيم الأمور، ويمنع التزوير والتبذير، وتوزن الكلمات، ويتوقف الغش والكذب في المعاملات، وينضبط السلوك، ويعرف الناس أدب الحوار، وخطورة إطلاق العنان للسان، لاسيما وقد انتشرت في المجتمع الألفاظ الغير لائقة، وكثر السب واللعن على أتفه الأسباب، ناهيك عن من يتلاعب بأقوات العباد، وأرزاق الخلائق، من التجار الجشعين الذين لا يرقبون في الضعفاء والفقراء، إلا ولا ذمة، ومن المرتشين الذين يظنون أن الرشوة حق مكتسب ... ولقد واجه النبي ﷺ أمثال هؤلاء وهؤلاء.

قال ﷺ عن التجار الذين يروجون لتجارهم بالغش والأيمان الكاذبة: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم، قال أبو ذر رضي الله عنه راوي الحديث: كررها رسول الله ﷺ ثلاثاً، فقلت: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٢)، وقال ﷺ: «إن التجار هم الفجار، قالوا يا رسول الله: أليس الله قد أحل البيع، قال: بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون»^(٣).

(١) التعريفات للجرجاني، ص ٧٠، مرجع سابق.

(٢) رواه مسلم / باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار / ١٠٦ / ج ١ / ص ١٠٢.

(٣) رواه أحمد عن عبد الرحمن بن شبل، وقال المنذري: إسناده جيد (المنتقى: ١٠٠٥)، وصححه الحاكم واللفظ له، ووافقه الذهبي: ٧ / ٢، وقال الطبراني رجاله ثقات: ٧٣ / ٤.

ولما أرسل ﷺ عاملاً له إلى البحرين ليجمع الزكاة فقال العامل: يا رسول الله، هذا لكم، وهذا قد أُهدي إليَّ!! فغضب رسول الله ﷺ وعذّر هذا العامل، وعلم الناس خطورة هذا الأمر، فخطب ﷺ فيهم قائلاً: «ما بال الرجل منكم أستعمله على مال الله، فيقول هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ!! فهلاً جلس في بيت أبيه أو أمه وأُهدي إليه إن كان صادقاً»^(١).

والنبي ﷺ كان في مقدوره أن يصادر منه المال، ويعزله، ويكتفي بهذا، ولكن أراد ﷺ - بجانب هذا - أن ينذر كل من تسول له نفسه استغلال السلطة في جمع الأموال لصالحه، أن هذا حرام وخيانة لا تحل له، وأن يبين لكل من يأتي بعده أن لا يستهين بمثل هذه الأمور ويتركها تمر دون عقاب، فالإمام أو ولي الأمر - أيًا كان موقعه - هو راع ومسئول أمام الله عن رعيته، فهو قوام كل مائل، وصلاح كل فاسد، ونصفة كل مظلوم، وأمان كل خائف، حتى تعود الثقة بين الراعي والرعية هذا ما يتمناه كل عاقل لمصر، وولي الأمر أقدر الناس على تحقيق ذلك، بعد أن بات واضحاً.

«إن السبيل الوحيد لنهضة مصر واستعادة مكانها في المجتمع العالمي المعاصر وضمان قوتها وعزها، لن يكون إلا بإحداث تغيير شامل في أسس وعناصر وهياكل المجتمع، الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية معتمدة على المقومات والقيم المصرية الأصيلة، والمواكبة الإيجابية لحركة العصر... وحق الشعب الكامل في محاسبة ومساءلة القائمين بالحكم»^(٢).

وهذا لن يكون، ولن يتحقق بالأمان، والدعوات، أو التوسل واستجداء العطف... وإنما يكون ويتحقق بالإيمان بالله تعالى وصدق التوكل عليه سبحانه، والأخذ بالمنهج الذي ارتضاه لعباده ليكونوا خلفاء الأرض كما أرادهم، وكما بين لهم في كتبه وعلى ألسنة رسله.

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٤٦٣/٣) باب تحريم هدايا العمال حديث رقم (١٨٣٢) دار التراث العربي مرجع سابق.

(٢) مصر المحروسة ص ٢٨٣ - مرجع السابق.

المطلب الخامس: مراجعة قوانين الاستثمار الأجنبي، واستيراد السلع لصالح المنتج المحلي:

الرجوع للحق خير من التماذي في الباطل، ومن الخطأ الشنيع أن نستمر في استيراد السلع المستهلكة، ونرضخ للقوانين العالمية على حساب المنتج المحلي وسوق العمل في بلادنا، ولا أريد من القارئ الكريم إلا أن ينظر حوله ويرى ما يقع بصره عليه، هل هو من منتوج البلاد؟ تشرف أنه صنع في مصر، أو حتى في بلد مسلم أم ماذا؟

انظر إلى السيارات في الشوارع، والمكينات في المصانع، والثياب فوق الأجساد، ووسائل الترفيه، ولعب الأطفال، والدقيق في الأفران... هل لنا شرف إنتاجه وتوفيره في بلادنا؟

«تستورد مصر أكثر من ٨٥٪ من احتياجاتها من الخارج... تستورد نحو ٣٧٪ من دول الاتحاد الأوروبي، ونحو ٢١٪ من الولايات المتحدة الأمريكية، وترتفع النسبتان إلى ٤٠٪-٢٤٪ على الترتيب، أي: ثلثي الواردات مصدرها أوروبا وأمريكا»^(١)، ولا يخفى أن مصر تستورد من دول أخرى كالصين والهند واليابان وكوريا... وغيرها، حتى بات معلوماً لدى التجار والمستثمرين أن جلب السلع من الخارج أربح وأيسر من إنتاجها داخل مصر، بل وأغرقت الأسواق المصرية بكثير من هذه السلع الأجنبية، فراجع الإنتاج وصارت البلاد سوق استهلاكية كبرى لمنتجات الدول الأخرى، لذا يجب مراجعة قوانين الاستيراد، وإعادة النظر في الاتفاقيات المبرمة مع الدول والمنظمات الأجنبية، كاتفاقية الجات (تحرير التجارة بدخول المنتجات الأجنبية إلى مصر دون جمارك) ... إلى غير ذلك من القوانين التي تضعف الاقتصاد المصري والإنتاج المحلي.

وعلى سبيل المثال: اتفاق الشراكة الأوروبية المتوسطة وهو ما يعرف (بإعلان برشلونة) عام ١٩٩٥م، والتي طرحها الاتحاد الأوروبي، ووافقت عليها مصر، مع أن هذا الإعلان، إعلان سياسي، برؤية أوروبية تتفق مع أهداف العولمة في أبعادها الثلاث، السياسي والاقتصادي والثقافي^(٢)، ولا شك أن أي اتفاق يضر بقيم المجتمع وثقافته، وهويته، ومستقبل حياته، ومشاريعه الخاصة، وإنتاجه المحلي... اتفاق غير متكافئ، وغير متوازن وليس في صالح مصر، بقدر ما هو في صالح الدول الكبرى التي

(١) كتاب العلاقات الاقتصادية بين مصر والعالم الخارجي الواقع وأفاق المستقبل حتى عام ٢٠٢٠م، ص ٤٠، مرجع سابق.

(٢) انظر كتاب مصر والدائرة المتوسطة ص ١١٤، ١١٥، مرجع سابق.

تهدف إلى الهيمنة والسيطرة، وبسط النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي على الدول الصغرى، لتدين هذه الدول بالتبعية لها وتسير في الطرق المرسومة لها.

ومعلوم «أن الاقتصاد المصري يواجه تحديات كثيرة يمكن إرجاعها إجمالاً إلى عدم التوازن بين النمو السكاني، والنمو في الإنتاج، فضلاً عن ضعف كفاءة عناصر الإنتاج وطرق التنظيم والإدارة، وذلك في إطار بيئة دولية تفرض على جميع الدول النامية - ومنها مصر - ضرورة إعادة بناء المجتمع المصري، وتنميته بما يتلاءم مع (العولمة)، وصيغة برشلونة تستهدف إقامة منطقة حرة أوربية متوسطة تكتمل بحلول عام ٢٠١٠م»^(١)، الأمر الذي يجعلنا نعيد النظر في كثير من الاتفاقيات الدولية، وأن نستفيد من أخطاء الماضي حتى لا تتكرر في المستقبل، تقول الدكتورة/ منى قاسم: «يعتبر تدهور وانخفاض سعر الصرف للجنيه المصري من العوامل الموضوعية التي ساهمت في تفاقم وانتشار ظاهرة (الدولرة)^(٢) في مصر، فلقد شهدت الفترة من ١٩٧٣ وحتى ١٩٩١م، تدهوراً مستمراً في سعر صرف الجنيه المصري مقابل الدولار الأمريكي، زادت معدلات نمو الواردات، وحقت الصادرات معدلات نمو سالبة في ضوء تشجيع الاستثمارات الأجنبية، وكذلك محاولة احتواء مدخرات العاملين بالخارج التي كانت تتسرب خارج الجهاز المصرفي، وقد صاحب ذلك عاملان هامين:-

العامل الأول: ظهور سوق غير رسمية (السوق السوداء)، والتي أصبحت تنشط في رفع سعر الدولار أمام الجنيه المصري.

العامل الثاني: ارتفاع متزامن ومستمر في الأسعار يعكسه الرقم القياسي لسعر المستهلك، والرقم القياسي لأسعار الجملة»^(٣).

ومع أن سعر الدولار قد تمت السيطرة عليه - إلى حد ما - إلا إن أسعار السلع الغذائية والدواء والسكن، لاتزال في ارتفاع مستمر يرهق كاهل الفقراء، ومتوسطي الحال ومحدودي الدخل، وذلك يرجع إلى أسباب كثيرة منها ما سبق ذكره، ومنها أيضاً:-

«الاختلالات الهيكلية في قطاعات الاقتصاد المصري، مثل: اختلال علاقات النمو بين القطاعات

(١) المرجع السابق ص ١٥٢، ١٥٣، بتصرف.

(٢) الدولرة تعني ارتباط الجنيه المصري بالدولار الأمريكي.

(٣) الإصلاح الاقتصادي في مصر ص ٤١، ٤٢، مرجع سابق.

المختلفة للاقتصاد القومي نتيجة اختلال هيكل الطلب المحلي، والاختلال الناجم عن بطء النمو في قطاع الزراعة، والاختلال الناجم عن عدم استقرار حصيلة الصادرات والاختلال الناجم عن عجز حصيلة النقد الأجنبي، والاختلال الناجم عن الاختناقات في سوق العمل، هذا بخلاف التضخم المستورد، وقد كان لهذا العامل أثره في ارتفاع الأسعار، وانخفاض قيمة الجنيه المصري، وضعف قوته الشرائية^(١).

ولقد تكلم كثير من العلماء عن خطورة النظم الأجنبية على بلادنا، لاسيما ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، واعتبروه الشر الأكبر إذ يجري بناؤه لصالح الدول الكبرى التي تريد أن تمسك بكل الخيوط التي تجعل رخاء الأمم، بل (وبقاءها ذاتها) مرهوناً برضاها، وفي مثل هذا النظام الجديد ... ليس هناك مكان لأحد غير من ترضى عنه هذه القوة البازغة^(٢).

إن من أهداف الاستثمار في الإسلام، تحرير المجتمع المسلم من التبعية للدول الخارجية التي أذاقته مرارة الذل والهوان طوال فترات الاحتلال العسكري، وما تلاها من تدخلات وضغوط ومساومات، تتطلع إلى ذات هذا (المجتمع المسلم) وأرضه، وثرواته، ومنهجه، ومستقبل حياته ولا سبيل للخلاص والنجاة من هذا الأخطبوط الشيطاني وأعوانه، وأذنا به، إلا بالتحرر من التبعية للخوارج، والاعتماد الكامل على الله تعالى، ثم على النفس في بناء الحياة بمنهج الله. ونحن المسلمون، قادرون على ذلك إن شاء الله.

* * *

(١) المرجع السابق ص ٤٢، ٤٣.

(٢) انظر كتاب الحقيقة والوهم في المجتمع المصري ص ١٥٤، وما بعدها، مرجع سابق.

خاتمة البحث

وتشتمل على:-

- أولاً: نتائج البحث. ثانياً: توصيات البحث.
- بعد استعراض مشكلة الفقر في مصر، وتقرير وجودها وآثارها السيئة على قيم وأخلاق المجتمع المصري، التي عرف بها عبر تاريخه الطويل، يمكن الخلوص إلى النتائج الآتية:-
- ١- إن مصر بلد قديم، وله تاريخ مشرف وعظيم سطره الله ﷻ على صفحات كتبه، التوراة والإنجيل، والقرآن، وعلى ألسنة رسله الكرام، ولا يزال وسيظل أتباع هؤلاء الرسل يذكرون مصر وأهلها بخير إلى يوم القيامة.
- ٢- أهل مصر من أوائل الشعوب التي بحثت عن الدين الحق، واهتدت بالفطرة إلى كثير من حقائقه، الأمر الذي جعل أبناءها دومًا مهيين لقبول وحي السماء، وما جاء به الأنبياء، من عقائد وعبادات وشرائع وقيم وأخلاق.
- ٣- قيض الله ﷻ لأهل مصر في كل عصر، من يجدد لهم أمر دينهم ودنياهم، فشرفت بقدوم عدد من الأنبياء والخلفاء والعلماء والشعراء، فكانت الملاذ الآمن للمؤمنين بالله ورسله.
- ٤- حافظت مصر - عبر تاريخها الطويل - على القيم الإيمانية، والقيم الإنسانية التي هي محل اتفاق العقلاء والعلماء، وأهل الفضل والتقوى وصارعت فصرت قوى الشر والضلال، مما جعلها محل تقدير واحترام في العالم عامة وبين المسلمين خاصة.
- ٥- واجهت مصر جميع التحديات بحكمة واقتدار، وصبر قادها إلى النصر، بدافع الإحساس بالمسئولية أمام الله، وأمام الناس، فما ضعفت وما استكانت بسبب فقر أو جوع أو خوف عدو أو لومة لائم.
- ٦- عرفت قوى الأعداء - بعد الهزائم العسكرية التي لحقت بها على أرض مصر - أن الوصول إلى قلب العالم الإسلامي لا يكون إلا بإضعاف مصر بسلاح آخر يتمثل في الغزو الفكري والثقافي، وإبرام المعاهدات والاتفاقيات الاقتصادية والسياسية والعلمية الغير متكافئة، وتصدير التكنولوجيا الاستهلاكية والترفيهية عديمة الفائدة، مع تقديم المنح والمساعدات

والقروض الربوية التي أرهقت البلاد، وأضعفت الاقتصاد، وحولت مصر عن مسارها الطبيعي إلى مسارات أخرى، لا تليق بها كالاختباء وراء حدودها، والانكفاء على ذاتها، والانسلاخ عن محيطها الإقليمي، والإسلامي، والعالمي.

٧- نجحت الدول الكبرى في تحقيق معظم أهدافها التي عجزت عن تحقيقها والوصول إليها بالسلاح والغزو العسكري، فأوجدت مناخاً ملائماً لقبول مفاهيم غريبة وخطيرة على ثقافة المجتمع ودينه وهويته، مثل العولمة والعلمانية والانفتاح على الغير، وقبول ما عنده، دون مراعاة الثوابت والقيم التي عاش بها ولها المجتمع المصري، كالتكافل الاجتماعي والترابط الأسري، والأخوة الإسلامية.

٨- انصاعت مصر للضغوط الغربية والأجنبية، ووقعت في شباك التبعية الاقتصادية، وقبلت بدمج الاقتصاد المصري بالاقتصاد العالمي، وتراجع دور الدولة في إدارة اقتصادها، وإيجاد فرص العمل لأبنائها فقل الإنتاج وكثر الاستهلاك، وزاد عدد العاطلين عن العمل، وارتفعت نسبة الفقراء، وانشغلت مصر بنفسها ودنياها على حساب دينها وأمتها فأضرت بهم جميعاً.

٩- حدث تفريط واسع النطاق في القيم الإسلامية والإنسانية تحت وطأة الفقر، والظروف المعيشية، فما عادت هناك ضوابط قوية تحكم الاقتصاد، وتحافظ على الأخلاق، وتردع المفسدين والخارجين على تعاليم الدين، فظهرت الأمراض الاجتماعية والخلقية والثقافية، كالرشوة، والربا، والأنانية والانتهازية، والغش، والتزوير، والعمل في المهن اللاأخلاقية، واللامشروعة، والفساد المالي والإداري، والظلم وعدم العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل، ونتج عن ذلك آثار واضحة لا على الأخلاق والسلوك، وحسب؛ وإنما على الفكر والإبداع والعلم بوجه عام، والترابط الأسري والتكافل الاجتماعي بوجه خاص.

١٠- ظهر الفقر جلياً، وأصبح ظاهرة متعددة المظاهر والعلامات، وعلى جميع المستويات، إذ قل دخل الفرد، وزاد عدد الفقراء والأغنياء على حساب الطبقة الوسطى التي هي رمانة الميزان، فصار هناك غناءً فاحش وفقر مدقع ... وظهرت هذه الفوارق في الحياة الاجتماعية، واتسعت قاعدة الطبقة البغيضة، فأصبح في مصر من يسكن الفلل، والقصور ... ومن يسكن

العشش والقبور ... ومن تلبي له جميع الطلبات وتوفر له كل الخدمات والإمكانات اللازمة للحياة والرفاهية ... ومن لا يجد قوت يومه أو قارورة الدواء أو الحد الأدنى من الخدمات .

١١ - رفعت مصر شعار الاشتراكية للقضاء على الفقر والتقريب بين الطبقات في المجتمع، ولكن سرعان ما سقط هذا الشعار وأثبت فشله وقصر رؤيته ... ثم رفعت ولازالت ترفع شعار الرأسمالية والعولة وتوجهت الأنظار والأفكار - بقوة لم يعرف لها مثيل - إلى الفكر الغربي رغبة في تقديم الحلول التي تقضي على الفقر، وتعد بالغناء والسخاء والرخاء، وظلت هذه الوعود عقوداً متتابعة ولم تقدم شيئاً يذكر في حل المشكلة أو حتى في التقليل من أثارها.

١٢ - فشلت كل الحلول المطروحة على الساحة في توفير حد الكفاية للجائع والمريض والمشرّد والعاطل، وذلك بسبب النظرة الضيقة والمحدودة والقاصرة لأسباب المشكلة - من جهة - وطرق حلها من جهة أخرى، كربط المشكلة بالزيادة السكانية، أو قلة الموارد الطبيعية وشح الثروات وعدم وفرتها وكفايتها.

١٣ - أثبتت الدراسات النظرية، والميدانية أن المشكلة ليست طبيعية، وأن البلاد مليئة بالخيرات والثروات، وأن أي تفسير للمشكلة، بقلة الموارد الطبيعية، أو الزيادة السكانية هو قلب للحقائق وجعل بالواقع وتضليل للمجتمع، فالمشكلة إنسانية وليست طبيعية ومفتعلة وليست واقعية.

١٤ - نتج عن اندماج الاقتصاد المصري بقيمه التاريخية ... بالاقتصاد الأوربي بأفكاره العلمانية، أموراً يمكن أن أوجزها فيما يلي:-

(أ) خلاف حاد لازالت آثاره السيئة تضر بمصر، فظهر ولأول مرة في تاريخ مصر يساريون يعلنون دون خجل أو تحفظ، أن الخير كله يأتي من وراء البحر الأبيض المتوسط، وأن الشر كله يأتي من الشرق، وأن أوربا هي القبلية التي يجب أن يتوجه إليها من يرغب في مستقبل أفضل وحياة أسعد ... وصار لهؤلاء معارضون على طول الخط، وموافقون لهم في بعض الأمور ... وظل ولا يزال السجال بين الثلاث قائم إلى الآن.

(ب) إضعاف دور مصر في التأثير المباشر على مجريات الأمور والأحداث الإقليمية، والدولية، والقرارات ذات الصلة بالشئون الإسلامية والعربية، وبروز قوى أخرى

ترى أن مصر قد ابتعدت كثيرًا عن محيطها الإقليمي والعربي، ودورها الريادي والقيادي والتاريخي الذي عرفت به.

(ج) ردت مصر على معارضيتها بردود وذرائع من أهمها:

- مواجهة المشاكل الداخلية (الاحتياجات الوطنية) أولاً، ومنها الفقر والبطالة والامية والإرهاب وأنها مشغولة بخطط طموحة وواعدة للقضاء على جميع الأمراض المنتشرة في المجتمع، (فمصر أولاً) ثم تأتي الإهتبارات الأخرى .

١٥- اتفقت الدراسة النظرية والميدانية على ضرورة إبراز أسباب مشكلة الفقر ... كعامل هام في ظهورها، وتأثيرها سلباً على قيم المجتمع المصري، وذلك لمعرفة مصادرها وأبعادها، سواء أكانت هذه الأسباب خارجية أو داخلية.

١٦- مشكلة الفقر في مصر لازالت قائمة، رغم وجود محاولات التصدي لها والتقليل من آثارها... ولازالت تؤرق الكثيرين في المجتمع المصري ... ولازالت تستغل أسوأ استغلال لشراء الذمم وصنع الولاءات والأيدلوجيات، التي أحدثت شروخاً خطيرة في المجتمع المصري، من أخطرها سوء العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة، وظهور التيارات المناوئة لنظام الحكم، والاحتجاجات والثورات ... الأمر الذي ينذر بالشر والخطر على وحدة البلاد وترابطها، وتماسك جبهتها الداخلية، وهذا خطر لا يعدله أو يدانيه خطر.

لذا يجب التعجيل بتقديم الحل الأمثل والأخذ بزمام المبادرة قبل فوات الأوان، وخروج الأمور عن نطاق السيطرة وحدوث ما لا يحمد عقباه، هذه هي أهم النتائج التي يمكن الخروج بها والاستفادة منها في هذه الدراسة.

والله الهادي إلى سواء السبيل

ثانيًا: توصيات هذا البحث

بعد ذكر أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة ... أود أن أقدم بعض التوصيات المهمة والتي أرجو أن يأخذ بها كل إنسان في مصر يهيمه أمر البلاد والعباد، ويرغب صادقًا في حل مشكلة الفقر حلًّا جذريًّا، بعيدًا عن التخدير والتنويم والتسويق والوهم، الذي مورس، ولا يزال يمارس حتى الآن دون فائدة تذكر.

أولاً: الإيمان بالله تعالى إيمانًا كاملاً، لا يقف عند حد الاعتراف بوجوده ووحدانيته، وإقامة الشعائر والعبادات وحسب، وإنما الإيمان الشامل لجميع أسمائه الحسنی وصفاته العلا، ككونه رازقًا ومطعمًا لجميع خلقه ... وهاديًا يهدي العباد إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

ثانيًا: الاعتراف بقيمة الدين في حياة الناس، والأخذ بالحل الإسلامي لمشكلة الفقر، وجميع المشاكل التي تظهر في المجتمع، وترك ما يخالف هذا الحل ... لاسيما وقد تبين أن الحل الإسلامي هو الأشمل والأكمل والأمثل والأعلم والأحكم؛ لأنه الحل الرباني الذي يوقظ الضمائر، ويضبط السلوك، ويُقوِّم الإعوجاج، فهو اليقين الذي لا يأتي إلا بخير ... ولا بد من التمسك به والدعوة إليه والاستغناء به عما سواه، ففيه الكفاية والهداية والرشاد.

ثالثًا: الاعتماد على الله تعالى ثم على النفس في حل هذه المشكلة، وعدم اللجوء إلى الغير، أو انتظاره ليحلها لنا، أو تقليده تقليدًا أعمى لا يراعي خصائص المجتمع المسلم، وتاريخه، وثقافته، إذ أثبتت الدراسات أن ذلك يضر أكثر مما ينفع.

رابعًا: الاستفادة من الإمكانيات المتاحة والمتوفرة وهي كثيرة - والله الحمد - في مصر حيث يوجد لدينا علماء وأبحاث وعلوم ومعارف لا يستفاد منها بالقدر الكافي لحل المشكلة، كما يوجد لدينا شباب ومواهب وخبرات وكوادر وأموال وخامات وثروات تكفي لحل المشكلة في مصر ودول أخرى.

خامسًا: البحث في أسباب المشكلة إذ إن علاجها لا يمكن أن ينفصل عن أسباب ظهورها، وعوامل وجودها وبقائها، مع إعادة النظر في كل ما له صلة بهذه الأسباب، واتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة هذه الأسباب والعوامل قبل معالجة المشكلة ذاتها.

سادسًا: علاج هذه المشكلة يجب أن يكون متعدد الجوانب ومتنوع الأساليب ، وذلك يحتاج إلى تضافر جهود جميع أبناء المجتمع، بحيث يشمل الأفراد وجماعات الإصلاح والمؤسسات الفاعلة، والوزارات المعنية بحل المشكلة ... مع التأكيد المستمر على الدور المطلوب القيام به،

وأهميته في الإسهام في الحل ، وخطورة التقاعس وعدم التعاون، وما ينتج عن ذلك من أضرار. سابعًا: إزالة جميع العقبات والتعقيدات والصعوبات، التي تعترض طريق الجادين في العمل والإنتاج المثمر والمفيد، سواء أكانوا أجنب، أو أقارب ... مستثمرين، أو فلاحين، أو أصحاب مشاريع صغيرة، أو شباب يرغب في العمل، وتقديم يد العون لهم ليكون ذلك مشجعًا لإقامة المشاريع النافعة التي تسهم في الحد من البطالة - من جهة - ومن جهة أخرى توفر السلع الضرورية لحياة الناس وما يحتاجون.

ثامنًا: لابد من تدخل الدولة في إقامة مشاريع عملاقة كبرى بسواعد مصرية وأموال وخبرات مصرية خالصة، لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الشباب العاطل عن العمل؛ لأن المشاريع الوطنية الكبرى لا تقوى عليها إلا الدولة بمواردها المتعددة، وإمكاناتها المتنوعة ... وذلك بخلاف الأفراد الذين لا يقدرّون على القيام بمثل هذه المشاريع وتمويلها والإنفاق عليها. تاسعًا: الاستفادة من جميع وسائل الإعلام، المرئية والمسموعة والمقروءة، في التوعية اللازمة، ونشر قيم العمل الجاد والإنتاج المثمر وفوائد ذلك في الدنيا، وثوابه عند الله تعالى يوم القيامة، ولا يكون ذلك إلا بوضع مساحات كافية للعلماء والخبراء والمصلحين - على اختلاف تخصصاتهم - لتوضيح معالم الطريق أمام الراغبين - بحق - في العمل والإنتاج، والجادين - بصدق - في الإصلاح والتوجيه، وهؤلاء، وهؤلاء في مصر ليسوا بالقليل.

عاشرًا: إدراج مواد تعليمية متخصصة في المدارس والجامعات والمعاهد، بهدف تطوير التعليم بما يناسب متطلبات العصر، والرقى بمستوى الطلاب في ميادين العمل، وشحنهم همهم، ودعم تطلعاتهم، وآمالهم، وتبصيرهم بمستقبل حياتهم، وإزالة حواجز الخوف من

صدورهم، وعدم الثقة في النفس، واحتمال الفشل والمؤاخذة، وعدم القدرة على تحمل مسئوليات العمل، والإنتاج والتسويق.

ويكون ذلك بمراجعة المواد القديمة واستبدالها بمواد حديثة وهادفة ومدرسة، مع تقديم الأساتذة الأكفاء، والاستفادة من التقنية الحديثة والوسائل المتطورة، وعقد دورات تدريبية عملية، وتقديم الحوافز والجوائز المادية والمعنوية لتشجيع الطلاب على المنافسة والرغبة في التفوق.

الحادية عشر: الاستفادة من أهل الخبرة والإختصاص في علوم الاقتصاد والزراعة والقيم والأخلاق، بالقدر الذي يخدم القضية ويضمن نجاحها واستمرار عطائها، والمعرفة اللازمة للتسويق والتخزين والتصدير، حتى يحدث التوازن بين سوق العمل والإنتاج، والتسويق وضبط الأسعار، ولا مانع أن يُختار هؤلاء العلماء لتبوء المناصب، والدرجات اللازمة لإنجاح ذلك .

هذه هي أهم الوصايا التي يوصي بها الباحث والله المستعان، وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ملاحق الدراسة الميدانية

ملحق رقم (١)استمارة الاستبيان في صورتها المبدئية:

جاءت على النحو التالي:-

أولاً:- البيانات الأولية:-

١- الاسم اختياري.

٢- النوع: ذكر () أنثى ()

٣- السن:

- أقل من ٢٠ سنة ()

- ٢٠ () - ٣٠ ()

- ٤٠ () - ٥٠ ()

- ٦٠ سنة فأكثر ()

٢- الحالة التعليمية:

- أمي () - يقرأ ويكتب ()

- حاصل على إعدادية () - مؤهل متوسط ()

- مؤهل عال () - أخرى تذكر ()

٣- الحالة الاجتماعية:

- عَزَب () - متزوج ()

- مطلقة () - أرمل ()

- أخرى تذكر ()

٤ - عدد الأبناء:

- ذكور () - إناث ()

٥ - الحالة المهنية:

- أعمل () - لا أعمل ()

إذا كانت الإجابة بـ (نعم) يسأل السؤال رقم (٦)

٦- نوع العمل:

- عامل () - موظف () - تاجر () - أخرى تذكر ()

٧- دخل الأسرة:

٨- ظروف السكن:

- سكن مستقل () - سكن مشترك مع أهل الزوج أو الزوجة ()

- سكن مشترك مع آخرين ()

٩- نوع السكن:

- تمليك () - إيجار ()

أسباب مشكلة الفقر في المجتمع المصري:

١ - قلة موارد الدولة

نعم () إلى حد ما () لا ()

٢ - الجهل والأمية

نعم () إلى حد ما () لا ()

٣ - عدم وجود عدالة اجتماعية

نعم () إلى حد ما () لا ()

٤ - إهمال قيمة العمل والإنتاج

نعم () إلى حد ما () لا ()

٥ - السلبية والالتكالية على المنح

نعم () إلى حد ما () لا ()

٦ - الاتفاقيات الاقتصادية والاستيراد

نعم () إلى حد ما () لا ()

٧ - التفكك الأسري

نعم () إلى حد ما () لا ()

٨- بسبب قلة فرص العمل

() نعم () إلى حد ما () لا ()

مظاهر مشكلة الفقر في المجتمع المصري:

- انتشار الأمراض () - انتشار مشكلات الانحراف الأخلاقي ()
 - انتشار مشكلات السرقة () - انتشار ظاهرة أطفال الشوارع ()
 - انحراف الأحداث () - انتشار مشكلات التفكك الأسري ()
 - انتشار البطالة () - انتشار الغلاء وتدني مستوى الأجور ()
 - انتشار عمالة الأطفال () - انتشار الحقد والحسد بين الناس ()
 - انتشار مشكلات الإدمان () - انتشار العشوائيات وقلة الخدمات ()
 - انتشار ظاهرة الانتحار () - انتشار مشكلات الطلاق والخلع ()
 - انتشار الرشوة والمحسوبية () - انتشار ظاهرة الاحتكار للسلع ()

آثار مشكلة الفقر على القيم في المجتمع المصري:

- ١- هل لمشكلة الفقر تأثير على سوء الظن بالله؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٢- هل بسبب الفقر يستعد الفرد لقبول الأفكار الهدامة؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٣- هل بسببه يتبنى الفرد المذاهب الإلحادية؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٤- هل تؤدي مشكلة الفقر إلى ضعف الإيمان بالله؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٥- هل يفقد الإنسان ثقته بالله بسبب الفقر؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٦- هل يفقد الإنسان ثقته بنفسه والآخرين بسبب الفقر؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٧- هل ضعف دور الوالدين بسبب الخروج المستمر لكسب العيش؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٨- هل تزداد عملية عدم القدرة على التفكير والإبداع بازدياد مشكلات الفقر؟
 نعم () إلى حد ما () لا ()
 ٩- هل تنتشر الخلافات والنزاعات بين البشر بسبب الفقر؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

١٠- هل يعزف الشباب عن الزواج بسبب الفقر؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

في حالة الإجابة بـ (نعم) يسأل رقم (١١)

١١- هل عزوف الشباب عن الزواج يؤدي إلى مشكلات؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

في حالة الإجابة بنعم يسأل ١٢

١٢- ما أهم هذه المشكلات من وجهة نظرك؟

.....

.....

١٣- هل بسبب الفقر يزداد التحرش الجنسي؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

١٤- هل يهرب الفرد من تحمل المسؤولية بسبب الفقر؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

١٥- هل زادت معدلات الجريمة في المجتمع المصري بسبب الفقر؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

في حالة الإجابة بنعم يسأل ١٦

١٦- ما هي أهم الأسباب التي أدت إلى ازدياد معدلات الجريمة من وجهة نظرك؟

.....

.....

١٧- هل يسبب الفقر الاستغناء عن القيم الحميدة لدى المجتمع المصري؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

في حالة الإجابة بنعم يسأل رقم (١٨)

١٨- ما هي أهم الصفات الحميدة التي ينبغي أن تتوافر لدى الناس؟

.....

١٩- هل الفقر يسبب إهمال قيم التسامح في المعاملات بين الناس؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

٢٠- هل يؤثر الفقر في تكوين علاقة طيبة بين الأفراد؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

٢١- هل يؤثر الفقر في الشعور بالانتماء إلى الوطن؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

٢٢- هل يؤثر الفقر في قيمة التعاون بين الناس؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

مقترحات المستفيدين نحو مواجهة مشكلات الفقر في المجتمع المصري:

١- هل إخراج الزكاة بنصابها الشرعي يكفي لعلاج المشكلة؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

٢- هل تقوم المؤسسات الخيرية بتوفير المساعدات للناس؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

في حالة الإجابة بـ (لا) يسأل رقم (٣)

٣- هل بسبب أنها غير كافية تدفع الفرد بارتكاب المشكلات السلوكية؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

٤- هل الموارد الطبيعية في مصر كافية لحل المشكلة؟

نعم () إلى حد ما () لا ()

٥- من وجهة نظرك ما هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى علاج مشكلة الفقر في المجتمع المصري؟

ملحق رقم (٢)

استمارة الاستبيان في صورتها النهائية.

أولاً: البيانات الأولية:

- ١- الاسم: (اختياري)
 ٢- النوع: ذكر () أنثى ()
 ٣- السن:
 - أقل من ٢٠ سنة ()
 - ٢٠ سنة ()
 - ٣٠ سنة ()
 - ٤٠ سنة ()
 - ٥٠ سنة ()
 - ٦٠ سنة فأكثر ()

ثانياً: الحالة التعليمية:

- أمي ()
 - حاصل على إعدادية ()
 - مؤهل عال ()
 - يقرأ ويكتب ()
 - مؤهل متوسط ()
 - أخرى تذكر ()

ثالثاً: الحالة الاجتماعية:

- عزب ()
 - مطلقة ()
 - أخرى تذكر ()
 - متزوج ()
 - أرمل ()

رابعاً: عدد الأبناء:

- ذكور ()
 - إناث ()

خامساً: الحالة المهنية:

- أعمل ()
 - لا أعمل ()

إذا كانت الإجابة بـ (نعم) يسأل عن نوع العمل

سادساً: نوع العمل:

- عامل ()
 - موظف ()
 - تاجر ()
 - أخرى تذكر ()

سابعاً: دخل الأسرة:

.....

ثامناً: ظروف السكن:

- سكن مستقل () - سكن مشترك مع أهل الزوج أو الزوجة ()
 - سكن مشترك مع آخرين ()

تاسعاً: نوع السكن:

- تمليك () - إيجار ()

المحور الأول: من مظاهر مشكلة الفقر في المجتمع المصري:

لا	نعم	العبارات
()	()	١ - انتشار الحقد والحسد بين الناس.
()	()	٢ - انتشار الرشوة والمحسوبية.
()	()	٣ - انتشار العشوائيات.
()	()	٤ - انتشار البطالة.
()	()	٥ - انتشار الأمراض.
()	()	٦ - انتشار مشكلة الإدمان.
()	()	٧ - انتشار ظاهرة أطفال الشوارع.
()	()	٨ - انتشار مشكلات التفكك الأسري.
()	()	٩ - انتشار عمالة الأطفال.
()	()	١٠ - انتشار مشكلات السرقة.
()	()	١١ - انحراف الأحداث.
()	()	١٢ - انتشار مشكلات الانحراف الأخلاقي.
()	()	١٣ - انتشار مشكلات الخلع والطلاق.
()	()	١٤ - انتشار ظاهرة الانتحار.

المحور الثاني: من أسباب مشكلة الفقر في المجتمع المصري.

لا	إلى حد ما	نعم	العبارات
()	()	()	١ - قلة موارد الدولة.

- ٢- التفاوت في العدالة الاجتماعية. () () ()
- ٣- الجهل والأمية. () () ()
- ٤- قلة الاهتمام بقيمة العمل والإنتاج. () () ()
- ٥- البطالة وقلة فرص العمل. () () ()
- ٦- السلبية والانتكالية على الغير. () () ()
- ٧- التفكك الأسري وما ينتج عنه من مشكلات. () () ()
- ٨- الاستيراد والخضوع للغير. () () ()

المحور الثالث: آثار مشكلة الفقر على المجتمع المصري.

- | العبارات | نعم | إلى حد ما | لا |
|---|-----|-----------|-----|
| ١- هل لمشكلة الفقر تأثير على سوء الظن بالله؟ | () | () | () |
| ٢- هل يستعد الفرد لقبول الأفكار الهدامة بسبب الفقر؟ | () | () | () |
| ٣- هل يتبنى الفرد المذاهب الإلحادية بسبب الفقر؟ | () | () | () |
| ٤- هل يؤدي الفقر إلى ضعف الإيمان بالله؟ | () | () | () |
| ٥- هل يفقد الإنسان ثقته بالله بسبب الفقر؟ | () | () | () |
| ٦- هل ضعف دور الوالدين بسبب الخروج المستمر لكسب العيش؟ | () | () | () |
| ٧- هل تزداد عملية عدم القدرة على التفكير والإبداع بازدياد مشكلات الفقر؟ | () | () | () |
| ٨- هل تنتشر الخلافات والنزاعات بين البشر بسبب الفقر؟ | () | () | () |

٩ - هل يفقد الإنسان ثقته بنفسه والآخرين بسبب الفقر؟

() () ()

١٠ - هل عزوف الشباب عن الزواج بسبب الفقر؟

() () ()

في حالة الإجابة بـ (نعم) يسأل رقم (١١)

١١ - هل عزوف الشباب عن الزواج يؤدي لمشكلات الانحراف؟

() () ()

١٢ - هل ازدياد التحرش الجنسي في مصر بسبب الفقر؟

() () ()

١٣ - هل هروب الفرد من تحمل المسؤولية بسبب الفقر؟

() () ()

١٤ - هل ازدياد معدلات الجريمة في مصر بسبب الفقر؟

() () ()

١٥ - هل الاستغناء عن القيم الحميدة لدى المجتمع المصري بسبب الفقر؟

() () ()

في حالة الإجابة بـ (نعم) يسأل رقم (١٦)

١٦ - هل إهمال قيم التسامح في المعاملات بين الناس بسبب الفقر؟

() () ()

١٧ - هل يؤثر الفقر على تكوين علاقة طيبة بين الأفراد؟

() () ()

١٨ - هل يؤثر الفقر في الشعور بالانتماء للوطن؟

() () ()

١٩ - هل يؤثر الفقر في قيمة التعاون بين الناس؟

() () ()

المحور الرابع: مقترحات المستفيدين نحو مواجهة مشكلات الفقر في المجتمع المصري:

العبارات _____ نعم إلى حد ما لا

١ - هل إخراج الزكاة بنصابها الشرعي كافي لعلاج المشكلة؟

() () ()

٢ - هل تقوم المؤسسات الخيرية بتوفير المساعدات للناس؟

() () ()

في حالة الإجابة بـ (لا) يسأل رقم (٣)

٣ - هل بسبب أنها غير كافية تدفع الفرد لارتكاب المشكلات السلوكية؟

() () ()

٤ - من وجهة نظرك ما هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى علاج مشكلة الفقر في المجتمع المصري؟

.....
.....

ملحق رقم (٣)

أسماء السادة المحكمين لاستمارة الاستبيان:

م	الاسم	الوظيفة
١	أ.د/ أحمد ربيع يوسف	عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة سابقاً، ورئيس قسم الثقافة بالكلية
٢	د/ أحمد محمد إبراهيم شحاتة	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الثقافة
٣	د/ محمد عبد المولى قاسم	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الثقافة
٤	د/ محروس محمد محروس	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الثقافة
٥	د/ محمد أمر الله السيد	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الثقافة
٦	د/ رمضان محمد علي مبروك	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الثقافة
٧	أ.د/ علي عبدالعال ربيع	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الأديان
٨	د/ مصطفى مراد صبحي	كلية الدعوة الإسلامية / قسم الأديان
٩	د/ مصطفى محمد الفقي	مدرس خدمة الفرد بكلية التربية / جامعة الأزهر / قسم الخدمة الاجتماعية
١٠	أ.د/ عادل رضوان	مدرس تنظيم المجتمع بكلية التربية / جامعة الأزهر / قسم الخدمة الاجتماعية
١١	أ.د/ شعبان حسين	مدرس تنظيم المجتمع بكلية التربية / قسم الخدمة الاجتماعية
١٢	أ.د/ محمد عبد السميع عثمان	الأستاذ المتفرغ بكلية التربية
١٣	د/ محمد عبد الرازق خالد	أستاذ مساعد ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية بكلية التربية
١٤	د/ إبراهيم حجاج	مدرس بقسم الخدمة الاجتماعية / وخدمة المجتمع بكلية التربية
١٥	أ.د/ أسامة أحمد البهنساوي	رئيس قسم الاقتصاد / كلية الزراعة
١٦	أ.د/ سيف الدين يوسف عابدون	أستاذ علم النفس التربوي بكلية التربية جامعة الأزهر

لجنة الزكاة

مسجد الرحمن (علم القرآن)

(مساكن القاهرة الأولى)

بمدينة السلام

إلى من يهمه الأمر

حضرة اليانحة حمداً أمينة عبد الله محمد / إلى مقر لجنة الزكاة بمسجد
الرحمن علم القرآن / ام القاهرة / ام القاهرة أولى وأخرى استبياناً
مع المستفيدين من اللجنة وعددهم ٥٠٠ خمسة مائة / عدد مشكلة
الفقر في المجتمع المصري وقد وزع عليهم استمارات وأخذها بعدما
أبصر المستفيدين آرائهم ،

هذا للعلم ، والله الموفق

آمينه ضرة كة لجنة زكاة مسجد الرحمن بالقاهرة

(محمد حسن)





الجمعية المصرية للتنمية المجتمعية

بأبواب الوقف أخميم

المشهرة برقم ٨٦٢ في ٢٠٠٧

شهادة

تشهد الجمعية المصرية للتنمية المجتمعية بان السيد الأستاذ حمدي أمين عبدا للاه محمد قام بمقابلة الحالات التي تعمل عليها الجمعية وهي ١٠٠ حالة تغطيهم الجمعية بصفة شهرية والحالات المستفيدة من لجنة الزكاة وقد قام الأستاذ حمدي أمين عبدا للاه محمد بتعرف علي مشاكل الإحالات الفقيرة

وهذا شهادة من الجمعية بذلك

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رئيس مجلس الإدارة

احمد علي دياب



Human Rights Association

Sohag

Registration number to 921 in 2008



RHDAR
FOR EGYPTION PEOPLE
human rights921@yahoo.com

جمعية حقوق الإنسان

بسوهاج ساقلة

المشهرة برقم ٩٢١ في ٢٠٠٨

شهادة

تشهد الجمعية الإقليمية للتنمية وحقوق الإنسان بساقلة بان السيد الأستاذ حمدي أمين عبدا للاه محمد قام بمقابلة الحالات التي تعمل عليها الجمعية وهي ٢٢٢ حالة تغطيهم الجمعية بتعاون مع بنك الطعام المصري بصفة شهرية والحالات المستفيدة من لجنة الزكاة وقد قام الأستاذ حمدي أمين عبدا للاه محمد بتعرف علي مشاكل الإحالات الفقيرة

وهذا شهادة من الجمعية بذلك

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

رئيس مجلس الإدارة

إسماعيل البدوي

السكرتيرة

عبير عبد العزيز



الجمعية الإقليمية
لحقوق الإنسان

جمعية مسجد الطاهرة

لرعاية الأيتام ببليس

المسجلة تحت رقم ٣٧٩

الحمد لله

حضرة الأستاذة وراة جبريل سحبيها لدرهم وثلثه
 الفقيرة من الجاهل الكايف لا شئوا منكم
 لا جباية من جمع السيرة العام لراة
 الأيتام ببليس من مشرعة زينة أعطى
 الشئ من صديقه أضيف ذلك إلى
 هذا الأيتام

فهرس المراجع

أولاً: - القرآن الكريم:

ثانياً: - كتب السنة النبوية:

١ - صحيح الإمام البخاري، ط ١ ابن كثير اليمامة، بيروت ط ٣، تحقيق مصطفى ديب البغا.

٢ - صحيح مسلم، للإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي.

- ٣- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث، ط دار الفكر تحقيق ومراجعة/ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٤- سنن الترمذي، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي الجامع الصحيح، ط دار النشر، ودار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ.
- ٥- سنن النسائي، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ.
- ٦- مستدرک الحاكم للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى تحقيق مصطفى عبد القادر عطا سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٧- الأدب المفرد للإمام البخاري، ط دار البشائر الإسلامية بيروت سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٨- موسوعة الحديث الشريف، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ٩- تخریج أحادیث مشكلة الفقر، للشيخ ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى، دار النشر- والمكتب الإسلامي بيروت سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م.
- ١٠- غاية المرام في تخریج أحادیث الحلال والحرام للشيخ الألباني دار النشر- المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١١- إرواء الغلیل في تخریج أحادیث منار السبیل للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- ١٢- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني بيروت سنة ١٩٨٥ ومكتبة المعارف بالرياض، بدون.
- ١٣- صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الألباني مكتبة المعارف بالرياض بدون.
- ١٤- مشكاة المصابيح للمؤلف/ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ج ٣ ط ٣ دار النشر- المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م بيروت تحقيق ومراجعة الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني.
- ١٥- صحيح وضعيف الجامع للشيخ الألباني، ط دار القلم بيروت بدون تاريخ.
- ١٦- حمل الأسفار في الأسفار في تخریج ما في الإحياء من أخبار، ط دار القلم بيروت بدون تاريخ.

١٧- مصنف عبد الرازق لأبي بكر الصنعاني المكتب الإسلامي بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ج١ الطبعة الثانية بدون.

ثالثاً : كتب التفسير:

- ١- تفسير الإمام ابن كثير، ط دار الحديث القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
- ٢- تفسير روح المعاني للإمام شهاب الدين الألوسي، ط دار الفكر، بدون تاريخ.
- ٣- تفسير صفوة البيان للشيخ/ محمد حسين مخلوف، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
- ٤- القاموس القويم للقرآن الكريم، تأليف/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة بدون تاريخ.

رابعاً: كتب السيرة والتاريخ:

- ١- البداية والنهاية للإمام ابن كثير، ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤١٨ هـ سنة ١٩٩٧ م.
- ٢- الروض الأنف المجلد الأول، الجزء الثاني ص ١٥٠ ط مؤسسة مختار للطباعة والنشر ١٩٧٣ م.
- ٣- الرحيق المختوم، الشيخ صفى الرحمن المباركفوري، المكتبة السلفية الهند.
- ٤- فقه السيرة للشيخ/ محمد الغزالي، ط دار الكتاب الحديث سنة ١٩٧٦ م.
- ٥- قصص الأنبياء د/ عبد الوهاب النجار، ط مكتبة دار التراث بالقاهرة، بدون تاريخ، دار الفكر سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.

خامساً: - كتب الفقه وعلوم الحديث:

- ١- حاشية ابن عابدين على الدر المختار، للعلامة محمد أمين ط المكتبة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣١٥ هـ.
- ٢- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدى / أحمد الدردير دار إحياء الكتب العربية، مكتبة عيسى ألباني الحلبي، بدون تاريخ.
- ٣- فقه السنة للشيخ/ سيد سابق ط الفتح للإعلام العربي ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٤ - مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، لأبى زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبعة مصطفى الحلبي ١٤٧٧هـ / ١٩٥٨م.

سادساً : كتب اللغة والمعاجم:

- ١ - التعريفات للجرجاني، ط دار الرشاد، بدون تاريخ.
- ٢ - رائد الطلاب، ط دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٩٧م، المؤلف/ جبران مسعود .
- ٣ - لسان العرب للإمام/ جمال الدين محمد بن كرم بن منظور، ط الأولى دار صادر بيروت لبنان سنة ٢٠٠٠م.

٤ - المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ط وزارة التربية والتعليم سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٥ - المنجد في اللغة والأدب، ط مكتبة الكتاب المقدس، بدون تاريخ.

سابعاً : الرسائل العلمية:

- ١ - التفكك الأسري في المجتمع المصري المعاصر، رسالة دكتوراه غير منشورة.
د/ محروس محمد محروس جامعة الأزهر المكتبة العامة برقم (٢١٩ / ١١٣٤٧).
- ٢ - دور رأس المال في الفكر الإسلامي إعداد/ شعبان فهمي عبد العزيز، رسالة ماجستير غير منشورة في الاقتصاد، سنة ١٩٧٩م، المكتبة المركزية برقم (٣٩٥٣).
- ٣ - ذوو الاحتياجات الخاصة وموقف الإسلام منهم، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الثقافة الإسلامية/ كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة جامعة الأزهر سنة ٢٠٠٧م، د/ محمد عبد المولى قاسم.
- ٤ - الضوابط الشرعية للاستثمار/ رسالة ماجستير منشورة، إعداد نصر محمد السلامي، ط دار الإيمان الإسكندرية سنة ٢٠٠٨م.
- ٥ - مشكلة الجوع في العالم وعلاج الإسلام لها رسالة ماجستير غير منشورة د/ حلمي صابر، مكتبة كلية أصول الدين بالقاهرة رقم (٩٢).
- ٦ - الولاية والشهادة في النكاح وحكم الزوج العرفي، رسالة ماجستير مقدمة من الباحث/ جمال الضمراني المحامي بالنقض، ط دار النهضة المصرية سنة ٢٠٠٧م.

ثامناً:- المراجع العامة:

- ١ - أباطرة الفساد، وزراء ورجال أعمال نهبوا ثروات مصر، تأليف / السيد عبدالفتاح ط دار الحياة للنشر والتوزيع سنة ٢٠١١م.
- ٢ - أبحاث ندوة الفقر والفقراء في نظر الاسلام أ.د/ حمدي عبد العظيم، ط مركز صالح كامل الاقتصادي جامعة الأزهر الأحد ٨ رجب ١٤٢٠هـ / ١٧ أكتوبر ١٩٩٩م.
- ٣ - أبنائنا مشكلات وحلول إعداد/ أسامة على متولى، ط دار الكتب المصرية سنة ٢٠٠٧م ط ١.
- ٤ - ابن خلدون، ط دار ابن خلدون بدون تاريخ.
- ٥ - إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ط دار القلم بيروت، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- ٦ - أخبار المصريين في القرن العشرين من سنة ١٩٧٦م إلى ٢٠٠٠م تأليف/ سعيد هارون عاشور، مكتبه الآداب سنة ٢٠١٠م.
- ٧ - إسلامية لماذا؟ معالم الدولة القادمة للمؤلف/ سعد الدين الحسيني، ط دار البينة سنة ١٩٩٣م.
- ٨ - أساليب الغزو الفكري د/ على محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق، ط دار الاعتصام بدون تاريخ.
- ٩ - الأسرة المسلمة في العالم المعاصر أ.د/ وهبة الزحيلي، ط دار الفكر المعاصر بيروت/ لبنان سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ١٠ - الإسلام والضمان الإجتماعي د/ محمد شوقي الفنجري، ط دار ثقيف للنشر والتأليف السعودية سنة ١٩٨٠م.
- ١١ - الإسلام وعدالة التوزيع أ.د/ محمد شوقي الفنجري، الطبعة الأولى دار ثقيف للنشر- والتأليف، السعودية، سنة ١٤٠٤هـ.
- ١٢ - الإسلام والأوضاع الاقتصادية للشيخ/ محمد الغزالي، ط دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ١٣ - الاستقلال الحضاري د/ محمد عمارة، ط نهضة مصر سنة ٢٠٠٨م.
- ١٤ - إشكالية القيم بين التهميش والتأصيل، ط مذكر صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، مؤتمر القيم الأخلاقية في الفترة من ١٥ إلى ١٦ أبريل سنة ٢٠٠٠م مجموعة من العلماء.
- ١٥ - الإصلاح الاقتصادي د/ منى قاسم، الناشر الدار المصرية اللبنانية للكتاب، سنة ١٩٩٨م.
- ١٦ - أصول البحث الاجتماعي/ عبد الباسط محمد حسن، مكتبة وهبة سنة ١٩٩٩م.

- ١٧- الأعمال الكاملة للشاعر أحمد مطر، ط كنوز المعرفة الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م.
- ١٨- الاغتصاب أسبابه وعلاجه تأليف / ناصر بن محمد السليمان، ط مكتبة الدعوة سنة ٢٠٠٢م.
- ١٩- الاقتصاد والمعونات الأجنبية ندوة الأربعاء ٥ / ٢ / ٢٠٠٣م، ط مركز صالح كامل، جامعة الأزهر مجموعة من العلماء.
- ٢٠- الاقتصاد الإسلامى بين التبعية والاستقلال د/ أحمد الشربيني، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٧م.
- ٢١- الأقليات الإسلامية أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشى سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٢- أمراض الفقر والمشكلات الصحية فى العالم الثالث تأليف د/ فليب عطية ط دار المعرفة ١٩٩٢م.
- ٢٣- انحراف الأطفال المسمى بجرائم الصغار تأليف / إبراهيم عبده الشرقاوي، ط مكتبة العفانى ط أولى سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢٤- أوراق مصرية، تأليف د/ مختار عبدالعال ود/ جلال أبو زيد، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ كيلو باترا للطباعة والكمبيوتر.
- ٢٥- البهائية فى منظور الإسلام للشيخ / محمد الخضر حسين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٨م.
- ٢٦- بينات الحل الإسلام د/ يوسف القرضاوى، ط الثانية مكتبة وهبة سنة ١٩٩٢م.
- ٢٧- التحرش الجنسي أسبابه وعلاجه إعداد/ لجنة التأليف بالإدارة العامة لبحوث الدعوة، ط وزارة الأوقاف سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٢٨- تشريح الشخصية المصرية د/ أحمد عكاشة، ط دار الشروق سنة ٢٠١٠م.
- ٢٩- تعدد الزوجات فى الشريعة الإسلامية د/ عبد الناصر العطار، مؤسسة البستانى للطباعة، ط الخامسة سنة ١٩٨٨م.
- ٣٠- تقرير وزارة الداخلية مصلحة الأمن العام، تقرير سنة ١٩٩٤م.
- ٣١- التلوث لعنة العصر مهندس/ سعد شعبان، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩م.
- ٣٢- ثقب فى الضمير د/ أحمد عكاشة، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٧م.
- ٣٣- جذور الفساد الإدارى فى مصر الدكتور/ عبد الخالق فاروق، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٨م.
- ٣٤- جغرافيا مصر والوطن العربى، ط وزارة التربية والتعليم ٢٠٠٩-٢٠١٠م، مطابع دار الشعب.

- ٣٥- الجهاد الاقتصادي فريضة شرعية د/ حسين شحاتة، ط دار الطباعة والنشر سنة ٢٠٠٢ م.
- ٣٦- حاضرم العالم الإسلامى وقضايا المعاصرة، د/ السعيد رزق فرج، مكتبة وصفى سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- ٣٧- الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب، ط وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ م، مطابع دار الشعب للنشر.
- ٣٨- خطب الشيخ محمد الغزالى ج ٢ ط دار الاعتصام سنة ١٩٨٨ م.
- ٣٩- الدراسات الاجتماعية للصف الخامس الابتدائى، ط وزارة التربية والتعليم سنة ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ م مطابع دار الشعب للنشر.
- ٤٠- دراسات فى الأديان والنحل د/ أحمد غلوش، ط مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٤١- الدستور المصرى القوانين الأساسية إعداد د/ نشأت حسن المحامى، ط البدر اوى للتوزيع سنة ٢٠٠٧ م.
- ٤٢- الدعوة الإسلامية فى عهدىها المدينى د/ رءوف شلبى، ط مكتبة الفجر الجديد سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٤٣- دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى د/ يوسف القرضاوى، ط مكتبة وهبة سنة ٢٠٠١ م.
- ٤٤- ديوان البوصيرى بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٤٥- ديوان المتنبى، ط دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٤٦- الديموجرافيا الأمنية تقرير الأمن العام، مطابع الشرطة للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٧ م.
- ٤٧- ذاتية السياسة الاقتصادية أ.د/ محمد شوقى الفنجرى ، ط الثانية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٤٨- رسالة الى الأمة د/ زغلول النجار، ط نهضة مصر للطباعة والنشر الطبعة الأولى أكتوبر ٢٠٠٩ م.
- ٤٩- الرعاية الاجتماعية لأحداث الجانحين تأليف/ أحمد محمد كرىز، دمشق مطبعة الإنشاء سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- ٥٠- سباق المستقبل بين الدين والشوعية، ط دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٦ م.

- ٥١- سبب الجريمة الدكتور/ عبد الله بن أحمد قادري، ط الثانية دار المجتمع للنشر- والتوزيع سنة ١٤١٠هـ / ١٩٨٦م.
- ٥٢- العدالة الاجتماعية في الإسلام / سيد قطب، ط دار الشروق سنة ١٩٦٨م.
- ٥٣- علل وأدوية للشيخ/ محمد الغزالي، ط دار الكتب الإسلامية الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.
- ٥٤- العودة إلى الحياة تجربتي مع زراعة الكلى د/ صلاح عبد اللطيف مطابع الأهرام سنة ٢٠٠٥م.
- ٥٥- الفتنة الطائفية متى، وكيف، ولماذا؟ د/ محمد عمارة، ط دار الشروق، سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٥٦- فضائل مصر لعمر محمد الكندي، ط الفكر سنة ١٣٩١هـ.
- ٥٧- الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار د/ محمد البهي، ط مكتبة وهبة ط الرابعة عشر سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٥٨- فكر المسلم المعاصر ما الذي يشغله؟ د/ محمد سيد طنطاوي ومجموعة من العلماء، ط مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٤م.
- ٥٩- قاموس العادات والتقاليد المصرية د/ أحمد أمين، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٧م.
- ٦٠- القيم الأخلاقية دراسة نقدية د/ سامية عبد الرحمن، ط الأولى سنة ١٩٩٢م مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.
- ٦١- القيم الدنية للشباب د/ نورهان منير حسن، ط المكتب الجامعي الحديث سنة ١٩٩٩م.
- ٦٢- القيم التي تعكسها الإعلانات في التلفزيون المصري، ط مركز صالح كامل، مؤتمر القيم ٨ / ١٢ / ١٩٩٩م حتي ٩ / ١ / ٢٠٠٠م، د/ محمود عبد العاطي.
- ٦٣- القيم والعادات الاجتماعية د / فوزية دياب، ط دار الكتاب العربي للنشر بدون تاريخ.
- ٦٤- كارت أحمر للرئيس تأليف / عبد الحميد قنديل، ط دار الثقافة الجديدة الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.
- ٦٥- الكتاب السنوي لجهاز التعبئة والإحصاء، سبتمبر سنة ٢٠٠٩م.
- ٦٦- لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ المؤلف / شكيب أرسلان، ط دار النشر، بدون تاريخ.
- ٦٧- لماذا لا يثور المصريون؟ تأليف / علاء الأسواني، ط دار الشروق سنة ٢٠١٠م.
- ٦٨- ماذا أعدت مصر لنفسها بعد أكثر من زلزال د/ عبد الصبور شاهين، ط دار الاعتصام سنة ١٩٩٦م.

- ٦٩- ماذا حدث للمصريين د/ جلال أمين، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٩ م.
- ٧٠- المجتمع المصرى تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب جامعة القاهرة، مراجعة الدكتور/ محمد حمدى إبراهيم سنة ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م ط خاصة بالكلية.
- ٧١- محاضرات في مفهوم الاستشراق والتبشير د/ محمد زين العابدين محمد الطشو، ط ١٩٨٨ م بدون ذكر الناشر.
- ٧٢- مستقبل الأمة الإسلامية تقديم د/ محمود حمدى زقروك عن مجموعة من العلماء ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٧٣- مشكلة الفقر وكيف عالجها في الاسلام، د/ يوسف القرضاوى، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة السابعة سنة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٧٤- مصر المحروسة من تانى أ.د/ على السلمى، ط مكتبة الشروق الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- ٧٥- مصر فى عهد الجماهير الغفيرة د/ جلال أمين، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٩ م.
- ٧٦- مصر والمصريون فى عهد مبارك د/ جلال أمين ط دار الشروق الطبعة الأولى ٢٠١١ م.
- ٧٧- مصر والدائرة المتوسطة د/ سمعان بطرس فرج الله، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٢ م.
- ٧٨- مصر النهضة صناعة تاريخ مصر د/ حمادة محمود أحمد، ط دار الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٧ م.
- ٧٩- مصر والعالم الخارجى الواقع وآفاق المستقبل حتى عام ٢٠٢٠ م د/ على عبد العزيز سليمان، ط دار الشروق سنة ٢٠٠٥ م.
- ٨٠- مصر والمصريون، ترجمة عاطف معتمد، ط دار الشروق سنة ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- ٨١- مصر دولة عظمى خلال خمسين سنة المؤلف/ شفاء عبد الغنى مطابع الفاروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م.
- ٨٢- مفاهيم أساسية فى إدارة الموارد البشرية، ط الجامعة العمالية، المؤسسة الثقافية، د/ عماد الدين حسن والدكتور/ حنفى محمود سليمان، بدون تاريخ.
- ٨٣- مليارديرات حول الرئيس تأليف مصطفى عبيد، ط كنوز للنشر والتوزيع سنة ٢٠١١ م.
- ٨٤- من أجل الإسلام تأليف/ حيدر قفة ج ١ الطبعة الأولى سنة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، المكتبة الوطنية عمان.

- ٨٥- منهج الإسلام في علاج حاضر العالم الإسلامي د/ كمال مصطفى، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ دار أبو المجد للطباعة.
- ٨٦- منهج التربية في الإسلام د/ محمد قطب، ط دار الشروق ج ١ سنة ١٩٨٩ م بالقاهرة.
- ٨٧- منهج التغيير الإجتماعي في الإسلام د/ محمد فتحى عثمان، ط الدار السعودية بالرياض سنة ١٩٨٥ م.
- ٨٨- مؤتمر القيم الأخلاقية والإسلامية والاقتصادية، مطبعة مركز صالح كامل سنة ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٠ م مجموعة من العلماء.
- ٨٩- الموسوعة الإسلامية العامة أ.د / جعفر عبد السلام ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ م.
- ٩٠- المياة والتنمية الاقتصادية أ/ أشرف صبحي عبد العاطي، وعمرو على حسن ، ط دار مكتبة الإسراء سنة ١٩٩٩ م.
- ٩١- الناس شركاء في الأموال العامة د/ عبدالعزيز الخياط، ط دار السلام سنة ١٩٨٥ م.
- ٩٢- نظرات في فقه الفاروق عمر للشيخ / محمد المدنى، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٢ م.
- ٩٣- هموم داعية للشيخ / محمد الغزالي، ط دار النشر سنة ١٤٠٥ هـ.
- ٩٤- وسائل المجتمع الاقتصادية لتأهيل الشباب المبكر للحياة الاجتماعية د/ عدنان حسن باحارث، ط دار المجتمع للنشر والتوزيع الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- تاسعاً : - الصحف والدوريات:
- ١ - صحيفة الأخبار المصرية.
 - ٢ - صحيفة الأهرام المصرية.
 - ٣ - مجلة البيان الكويتية.
 - ٤ - مجلة التصوف الإسلامى.

- ٥ - حولية كلية الدعوة الإسلامية ج ٢ الثقافة الإسلامية الإصدار الثاني العدد الحادي والعشرون سنة ١٤٢٧ / ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ م.
- ٦ - صحيفة الجمهورية المصرية.
- ٧ - صحيفة الحوادث المصرية.
- ٨ - صحيفة صوت الأمة.
- ٩ - صحيفة المصري اليوم.
- ١٠ - مجلة منبر الاسلام.
- ١١ - صحيفة الوفد.
- ١٢ - صحيفة العربي

فهرس الموضوعات

٢	 المقدمة
٥	 أهداف البحث
٦	 أسباب كتابة هذا البحث
٧	 أهمية هذا البحث
٨	 الدراسات السابقة
١١	 منهج البحث
١٧	 التمهيد

الباب الأول: (الإطار النظري)

الفصل الأول

٣٤	 <u>المجتمع المصري وعلاقته بالقيم:</u>
٣٥	 <u>المطلب الأول: قيمة التدين الفطرى والاعتزاز بالهوية العربية والإسلامية</u>
٤٢	 <u>المطلب الثانى: قيمة التكافل وحسن الجوار</u>
٤٦	 <u>المطلب الثالث: قيمة الصبر الإيجابى ومواجهة الأزمات بحكمة واقتدار</u>
٤٩	 <u>المطلب الرابع: قيمة تفعيل الإحساس بالمسئولية نحو الإسلام والمسلمين</u>

الفصل الثانى

٥٥	 <u>أهم مظاهر الفقر فى المجتمع المصرى:</u>
----	---

- المطلب الأول: قلة مستوى الدخل الفردي والأسرى في مصر..... ٥٦
- المطلب الثاني: عدم كفاية المساكن ورداءة مستواها..... ٦٠
- المطلب الثالث: البنية الأساسية ومستوى الخدمات..... ٦٢

الفصل الثالث

- أسباب الفقر في المجتمع المصري:..... ٦٥
- المبحث الأول: الأسباب الخارجية:..... ٦٦
- المطلب الأول: رغبة الدول الكبرى في إبقاء مصر دولة فقيرة..... ٦٧
- المطلب الثاني: الاتفاقيات الاقتصادية الغير متكافئة..... ٧٠
- المطلب الثالث: تصدير التكنولوجيا الاستهلاكية لنا، وتسهيل الحصول عليها..... ٧٢
- المطلب الرابع: الإعانات المشروطة والتي تصب في خدمة المانح..... ٧٤
- المبحث الثاني: الأسباب الداخلية:..... ٧٦
- المطلب الأول: عدم دراسة المشكلة بالقدر الكافي..... ٧٧
- المطلب الثاني: الاعتماد شبه التام على الاستيراد، لسد حاجات المجتمع..... ٨٣
- المطلب الثالث: وجود العقبات أمام المشاريع الإنتاجية..... ٨٥
- المطلب الرابع: عدم مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل..... ٩٠
- المطلب الخامس: الانشغال عن الانتاج بوسائل غير جادة ونافعة..... ١٠٠
- المطلب السادس: الإسراف والتبذير..... ١٠٢
- المطلب السابع: الفساد المالي والإداري وغياب الرقابة الرادعة..... ١٠٦

الفصل الرابع

- ١٠٩ علاقة الفقر بالقيم والأخلاق:
- ١١٢ التمهيد:
- ١١٩ المبحث الأول: أثر مشكلة الفقر على العقيدة:
- ١٢٠ المطلب الأول: سوء الظن - بالله تعالى - والشك في عدله والاعتماد على غيره.
- ١٢٢ المطلب الثاني: الاستعداد لقبول الأفكار الهدامة والمذاهب الإلحادية.....
- ١٢٤ المبحث الثاني: أثر مشكلة الفقر على العبادة:
- ١٢٥ المطلب الأول: التقاعس في التزام الفرائض بدعوى (العمل عبادة).....
- ١٢٧ المطلب الثاني: تقلص الوقف الإسلامي.....
- ١٢٨ المطلب الثالث: البخل وعدم إخراج الزكاة بالقدر الذي يسد حاجة المجتمع.
- ١٣٠ المطلب الرابع: مزاحمة الشعائر الدينية بالمشاريع الإنتاجية.....
- ١٣١ المبحث الثالث: أثر مشكلة الفقر على الأخلاق والسلوك:
- ١٣٢ المطلب الأول: ظاهرة السب والمجاهرة بالألفاظ غير اللائقة.....
- ١٣٤ المطلب الثاني: الاعتداء على الوالدين والأولاد والمحارم.....
- ١٣٦ المطلب الثالث: قبول العمل في المهن اللاأخلاقية، والكسب اللامشروع...
- ١٤٢ المطلب الرابع: الحقد والحسد من الفقراء على الأغنياء.....
- ١٤٥ المطلب الخامس: إهمال قيم التسامح في المعاملات وكثرة التقاضي بين الناس.
- ١٤٨ المبحث الرابع: أثر مشكلة الفقر على العلم والفكر والإبداع:
- ١٤٩ المطلب الأول: الرغبة عن التعليم الديني إلى المدارس الأجنبية خشية الفقر.

- المطلب الثاني: التفكير المستمر في الحصول على مقومات الحياة..... ١٥١
- المطلب الثالث: ضعف الإرادة وفقد الثقة في النفس والقدرة على التفكير والإبداع. ١٥٢
- المبحث الخامس: أثر مشكلة الفقر على الترابط الأسري:..... ١٥٦
- المطلب الأول: التفكك الأسري وزيادة معدلات الطلاق..... ١٥٧
- المطلب الثاني: ضعف دور الوالدين في تربية الأولاد بسبب الخروج للكسب ومضاعفة
- ساعات العمل..... ١٦٠
- المطلب الثالث: الهروب من المسؤولية بدعوى عدم القدرة على النفقة..... ١٦٣
- المطلب الرابع: العزوف عن الزواج والإحساس بالعجز عن تكوين الأسرة..... ١٦٥
- المطلب الخامس: كثرة العداوات والخلافات بين الأقارب..... ١٦٨
- المبحث السادس: أثر مشكلة الفقر على أمن المجتمع واستقراره:..... ١٧٠
- المطلب الأول: زيادة معدلات الجريمة..... ١٧١
- المطلب الثاني: تبدل الحس وترك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..... ١٧٩
- المطلب الثالث: زيادة عدد اللقطاء وأطفال الشوارع..... ١٨٢
- المبحث السابع: أثر مشكلة الفقر على الكيان السياسى للدولة:..... ١٩٠
- تمهيد..... ١٩١
- المطلب الأول: فتور العلاقة بين عامة الشعب والسلطة الحاكمة..... ١٩٢
- المطلب الثاني: السخرية والاستهزاء وكتمان العداء للسلطة..... ١٩٥
- المطلب الثالث: قيام الاحتجاجات للمطالبة بتوفير ضرورات الحياة..... ١٩٧

- المطلب الرابع: ظهور التيارات المناوئة لنظام الحكم سياسية كانت أو اجتماعية.. ٢٠٠
- المطلب الخامس: ظهور الثورات المطالبة بالحرية والعدالة الاجتماعية..... ٢٠٢
- ثانيًا: الباب الثاني (الإطار الميداني):
- الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة..... ٢١٠
- الفصل السادس: تحليل وتفسير نتائج الدراسة الميدانية..... ٢٢٥

الفصل السابع

- الحلول والمقترحات:..... ٢٥٤
- التمهيد..... ٢٥٥
- المبحث الأول: الحلول الثقافية الضرورية لمواجهة المشكلة:..... ٢٦٢
- المطلب الأول: الاهتمام بالتوعية والتعليم والثقافة الإنتاجية، وغيرها..... ٢٦٣
- المطلب الثاني: الاستفادة من الأبحاث العلمية ومن أهل الخبرة وتفعيل مقترحاتهم ٢٦٨
- المبحث الثاني: الحلول المادية الضرورية لمواجهة المشكلة:..... ٢٧٠
- المطلب الأول: مراعاة العدالة في توزيع الثروات وفرص العمل..... ٢٧١
- المطلب الثاني: المزيد من تشجيع العمل والإنتاج بالوسائل الممكنة..... ٢٧٤
- المطلب الثالث: الاهتمام الخاص بالأمن الغذائي ومشكلة السكن والعلاج..... ٢٨١
- المطلب الرابع: محاسبة المتسببين في الفساد ليكونوا عبرة لغيرهم..... ٢٩٢
- المطلب الخامس: مراجعة قوانين الاستثمار الأجنبي، واستيراد السلع لصالح المنتج المحلي ٢٩٦
- خاتمة البحث: وتشتمل على:

٢٩٩	 أولاً: نتائج البحث.
٣٠٣	 ثانياً: توصيات البحث.
٣٠٦	 ثالثاً: ملاحق الدراسة الميدانية.
٣٢١	 رابعاً: فهرس المراجع.
٣٣٠	 خامساً: فهرس الموضوعات.

* * *